بسم الله الرحمن الرحيم

سلسلة أثر عمل القلب (٨)

أثر عمل القلب على الشهادتين

د.ابراهيم بن حسن الحضريتي

أثر عمل القلب على الشهادتين

د.ابراهيم بن حسن الحضريتي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمدَ لله، نحمدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يهدهِ اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يضْلِل فلا هاديَ له، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ لهُ، وأشهدُ أن محمدًا عبدُهُ ورسولُه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن لعمل القلب أثر كبير وعظيم على تحقيق أثر الشهادتين في حياة العبد، ومجرد النطق بهما بدون عمل القلب، لا يثمر للعبد أسباب سعادته في الدنيا والآخرة، فإنه ليس المقصود بالشهادتين مجرد النطق بهما، بل المطلوب التصديق بمعانيهما، وإخلاص العبادة لله، والتصديق بنبوة محمد ﷺ، والإقرار ظاهراً وباطناً بما جاء به، فهذه هي الشهادة التي يتفق فيها القلب مع اللسان فتنفع صاحبها عند الله عزوجل[١].

هذا الكتاب الذي أعانني الله عليه، ووفقني لأن أكتبه هو الثامن في هذه السلسلة المباركة(أثر

(١) ينظر: حقيقة الإيمان ونواقضه(٤٨).

عمل القلب).

وأسأل الله العظيم بمنه وكرمه أن يرزقني الإخلاص فيه، وأن ينفعني به وكل من قرأه والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وسيكون بإذن الله محاور هذا الموضوع حول العناصر الآتية:

الفصل الأول: في كلمة التوحيد وما يتعلق بها من معاني وأركان وشروط، وفيه تمهيد وعدة مباحث.

المبحث الأول: أثر عمل القلب على معنى كلمة التوحيد، ومجمل عقيدة أهل السنة والجماعة في عمل القلب، وفيه مطلبان.

المطلب الأول: معنى لا إله إلا الله، وفيه مسائل.

المسألة الأولى: مدلول كلمة إله.

المسألة الثانية: معنى لا إله إلا الله.

المسألة الثالثة: شرح معنى لا إله إلا الله والأدلة عليه.

المسألة الرابعة: ارتباط معنى لا إله إلا الله وشروطها ولوازمها بالقلب.

المسألة الخامسة: بعض المعاني المنحرفة أو القاصرة في معنى كلمة التوحيد.

المطلب الثاني: ارتباط الشهادتين بقول القلب وعمله، وقول اللسان وعمله، وفيه مسائل.

المسألة الأولى: الإيمان قول وعمل، والأدلة على ذلك.

المسألة الثانية: أقوال السلف في أن الإيمان قول وعمل.

المسألة الثالثة: قول القلب، وعمله.

المسألة الرابعة: قول اللسان وعمله.

المبحث الثاني: أركان كلمة التوحيد، وارتباطها بعمل القلب، وفيه مطلبان.

المطلب الأول: ركنا كلمة التوحيد ومعناهما والأدلة عليهما.

المطلب الثاني: ارتباط النفي والإثبات في كلمة التوحيد بعمل القلب.

المبحث الثالث: أثر عمل القلب على شروط لا إله إلا الله، وفيه تمهيد وعدة مطالب.

تمهيد: وفيه الكلام على شروط لا إله إلا الله مجملة.

المطلب الأول: من شروط لا إله إلا الله: العلم، وفيه ثلاث مسائل.

المسألة الأولى :معناه

المسألة الثانية: الأدلة على إثباته

المسألة الثالثة: آثاره ولوازمه المتعلقة بعمل القلب.

المطلب الثاني: الشرط الثاني من شروط لا إله إلا الله: الإخلاص، وفيه ثلاث مسائل.

المسألة الأولى :معناه

المسألة الثانية: الأدلة على إثباته

المسألة الثالثة: آثاره ولوازمه المتعلقة بعمل القلب.

المطلب الثالث: الشرط الثالث من شروط لا إله إلا الله: اليقين، وفيه ثلاث مسائل.

المسألة الأولى :معناه

المسألة الثانية: الأدلة على إثباته

المسألة الثالثة: آثاره ولوازمه المتعلقة بعمل القلب.

المطلب الرابع: الشرط الرابع من شروط لا إله إلا الله: القبول، وفيه ثلاث مسائل.

المسألة الأولى :معناه

المسألة الثانية: الأدلة على إثباته

المسألة الثالثة: آثاره ولوازمه المتعلقة بعمل القلب.

المطلب الخامس: من شروط لا إله إلا الله: الانقياد، وفيه ثلاث مسائل.

المسألة الأولى :معناه

المسألة الثانية: الأدلة على إثباته

المسألة الثالثة: آثاره ولوازمه المتعلقة بعمل القلب.

المطلب السادس: من شروط لا إله إلا الله: الصدق، وفيه ثلاث مسائل.

المسألة الأولى :معناه

المسألة الثانية: الأدلة على إثباته

المسألة الثالثة: آثاره ولوازمه المتعلقة بعمل القلب.

المطلب السابع: من شروط لا إله إلا الله: المحبة ، وفيه ثلاث مسائل.

المسألة الأولى :معناه

المسألة الثانية: الأدلة على إثباته

المسألة الثالثة: آثاره ولوازمه المتعلقة بعمل القلب.

المطلب الثامن: من شروط لا إله إلا الله: الكفر بما يعبد من دون الله، وفيه ثلاث مسائل.

المسألة الأولى :معناه

المسألة الثانية: الأدلة على إثباته

المسألة الثالثة: آثاره ولوازمه المتعلقة بعمل القلب.

الفصل الثاني: شهادة أن محمداً رسول الله وما يتعلق بها من معاني وأركان ومقتضيات، وفيه مبحثان.

المبحث الأول : شهادة أن محمداً عبده ورسوله معناها وأركانها، وفيه مطلبان.

المطلب الأول: معناها.

المطلب الثاني: أركان شهادة أن محمداً عبده ورسوله.

المبحث الثاني: مقتضيات شهادة أن محمداً رسول ولوازمها المتعلقة بعمل القلب.

الفصل الثالث: وجوب الحذر من الغلو فيه ﷺ وتجاوز الحد الذي شرعه الله، وفيه تمهيد ومباحث.

الفصل الرابع: نواقض الشهادتين، وفيه مبحثان.

المبحث الأول : ضوابط التكفير وموانعه وعلاقتها بعمل القلب، وفيه مطالب.

المطلب الأول : معنى التكفير وخطره، وفيه مسائل.

المسألة الأولى: معنى التكفير وبيان أنه حكم شرعي.

المسألة الثانية: الأدلة على التحذير من التساهل في التكفير.

المسألة الثالثة: من أقوال أهل العلم في التحذير من التكفير بغير علم.

المطلب الثاني: من ضوابط التكفير، وفيه مسائل:

المسألة الأولى: التفريق بين الإطلاق والتعيين في الكفر.

المسألة الثانية: الحكم يكون على الظاهر، وأدلة ذلك.

الأدلة على الحكم بالظاهر.

المطلب الثالث: قيام الحجة وفهمها، وفيه مسائل.

المسألة الأولى: معنى قيام الحجة والأدلة على ذلك.

المسألة الثانية: يختلف قيام الحجة بحسب الأزمنة والأمكنة والأشخاص.

المسألة الثالثة: من أقوال العلماء في عدم تكفير الجاهل المعين قبل قيام الحجة عليه.

المسألة الرابعة: فهم الحجة، وأقوال العلماء في ذلك.

المطلب الرابع: شروط تكفير المعين وموانعه وفيه تمهيد ومسائل.

التمهيد.

المسألة الأولى: شروط التكفير .

المسألة الثانية: موانع التكفير.

المطلب الرابع: علاقة ضوابط التكفير وشروطه وموانعه بعمل القلب.

المبحث الثاني: نواقض الشهادتين الاعتقادية، وفيه تمهيد وعدة مطالب.

التمهيد: نواقض الشهادتين وارتباطها بعمل القلب بإجمال.

المطلب الأول: الشرك في الربوبية.

المطلب الثاني: الشرك في الألوهية.

المطلب الثالث: كفر الجحود والتكذيب.

المطلب الرابع: استحلال ما علم تحريمه من الدين بالضرورة.

المطلب الخامس: الشك في حكم من أحكام الله أو خبر من أخباره.

المطلب السادس: من اعتقد أن بعض الناس لا يجب عليه اتباع النبي ﷺ.

المطلب السابع: شرك النيات والمقاصد.

المطلب الثامن: شرك المحبة.

المطلب التاسع: كفر الإباء والاستكبار.

المطلب العاشر: الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به.

المطلب الحادي عشر: النفاق الاعتقادي، وفيه تمهيد وعدة مسائل.

التمهيد.

المسألة الأولى: تكذيب الرسول ﷺ أو تكذيب بعض ما جاء به.

المسألة الثانية: بغض الرسول ﷺ أو بغض بعض ما جاء به.

المسألة الثالثة: المسرة بانخفاض دين الرسول ﷺ أو كراهية انتصار دين الرسول ﷺ.

المسألة الربعة: عدم اعتقاد تصديقه فيما أخبر به ﷺ.

المسألة الخامسة: أذية الرسول ﷺ أو عيبه أو لمزه.

المسألة السادسة: مظاهرة الكافرين ومناصرتهم على المؤمنين.

المسألة السابعة: الاستهزاء بالله ورسوله ﷺ والمؤمنين لأجل طاعتهم لله ولرسوله.

المسألة الثامنة: التولي والإعراض عن حكم الله وحكم رسوله.

المبحث الثالث: ترك العمل بالكلية ناقض من نواقض الإيمان، وفيه ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: الأدلة على أن ترك العمل الظاهر بالكلية ناقض للإيمان، وفيه مسألتان.

المسألة الأولى: مفهوم التلازم بين الظاهر والباطن.

المسألة الثانية: الأدلة على التلازم بين الظاهر والباطن.

المطلب الثاني: إجماع أهل السنة على أن العمل جزء لا يصح الإيمان إلا به.

المطلب الثالث: أقوال أهل العلم في بيان منزلة أعمال الجوارح من الإيمان.

الفصل الخامس: مقتضيات الشهادتين وآثارهما العامة على أمة الإسلام، وفيه تمهيد وعدة مباحث.

التمهيد.

المبحث الأول: اجتماع كلمة المسلمين وتوحد صفهم.

المبحث الثاني: النصر والتمكين في الأرض.

المبحث الثالث: انتشار الأمن في بلاد المسلمين.

المبحث الرابع: سلامة الأمة من داء الوهن الذي هو من أعظم أسباب تسلط الأعداء على الأمة.

المبحث الخامس: تميز الأمة المسلمة بسمو أخلاقها.

المبحث السادس: شعور المسلمين بتميزهم بإسلامهم وعزتهم بربهم ودينهم.

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد

الفصل الأول في كلمة التوحيد وما يتعلق بها من معاني وأركان وشروط، وفيه تمهيد وعدة مباحث.

التمهيد، وفيه فضائل كلمة التوحيد.

ولكلمة التوحيد فضائل كثيرة نذكر منها على سبيل المثال(١):

أولاً: فضائل لا إله إلا الله في القرآن العظيم، ومنها:

١- **كلمة التوحيد التي شهد الله بها لنفسه، وشهد له بها ملائكته وأهل العلم من عباده**، فقال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾ الآية [آل عمران: ١٨].

قال ابن كثير رحمه الله: «شهد تعالى وكفى به شهيداً، وهو أصدق الشاهدين وأعدلهم، وأصدق القائلين ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: المتفرد بالإلهية لجميع الخلائق، وأن الجميع عبيده وخلقه، والفقراء إليه، وهو الغني عما سواه كما قال تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٦٦].

ثم قرن شهادة ملائكته وأولي العلم بشهادته، فقال: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾، وهذه خصوصية عظيمة للعلماء في هذا المقام»(٢).

---

(١) ينظر في ذلك على سبيل المثال الكتب الآتية: كلمة الإخلاص لابن رجب فقد ذكر جمعاً من فضائلها، مسألة في التوحيد وفضائل لا إله إلا الله يوسف بن عبد الهادي فقد ذكر ما يقارب ١٩٩ فضيلة(٨٩-١١٦)، معارج القبول بشرح سلم الوصول لحافظ الحكمي (٢/ ٤١٠- ٤١٥)، تنبيه المؤمن الأواه بفضائل لا إله إلا الله(ص٥٣- ١٠٧)، كلمة التوحيد لعبد الرزاق البدر(٥-٢٤).

(٢) تفسير ابن كثير – ت السلامة (٢/ ٢٤).

٢- **وهي أعظم نعمة أنعم الله بها على عباده وهداهم لها، وذكرها في أول النعم التي أنعم بها عباده في سورة النحل التي تسمى سورة النعم، وقدمها على جميع النعم**، فقال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ [النحل: ٢].

وقال تعالى: ﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ﴾ [لقمان: ٢٠]، قال مجاهد رحمه الله في تفسير ذلك: لا إله إلا الله(١).

وقال ابن عيينة رحمه الله:" ما أنعم الله على العباد نعمة أعظم من أن عرفهم لا إله إلا الله "(٢).

٣- هي العروة الوثقى التي من تمسك بها نجا، ومن لم يتمسك بها هلك، قال الله تعالى عنها: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ﴾ [البقرة: ٢٥٦] وفسرها سعيد بن جبير والضحاك بلا إله إلا الله(٣).

وسميت كلمة التوحيد بالعروة الوثقى لأن من تمسك بها نجا من الهلكة في الدنيا والآخره، ووصفها سبحانه بأنها ﴿ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾ لأنها في نفسها قوية متينة وربطها قوي شديد لا تنقطع بمن استمسك بها حتى يصل بها إلى الجنة، ولهذا قال سبحانه: ﴿لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، قال معاذ رضي الله عنه: أي: لا انقطاع لها دون دخول الجنة(٤).

٤- **وهي العهد الذي ذكر الله في قوله تعالى**: ﴿ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ [مريم: ٨٧]، قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: «بمعنى: لكن من اتخذ عند الرحمن عهداً، وهو شهادة أن لا إله إلا الله، والقيام بحقها،

---

(١) تفسير الطبري جامع البيان – ط هجر (١٨/ ٥٦٧).

(٢) الشكر لابن أبي الدنيا (ص٣٤).

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير – ت السلامة (١/ ٦٨٤).

(٤) ينظر: تفسير ابن كثير – ت السلامة (١/ ٦٨٤).

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: قال: ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا﴾ العهد: شهادة أن لا إله إلا الله، ويبرأ إلى الله من الحول والقوة، ولا يرجو إلا الله، عز وجل»[1].

٥- **وهي القول الثابت في قوله تعالى:** ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

أي يثبت الله تعالى المؤمن الذي عمل الصالحات في دنياه وعند موته وفي قبره يثبته الله على التوحيد على قول لا إله إلا الله في كل أحوال حياته في الدنيا والآخرة.

٦- **وصفها الله في القرآن بأنها الكلمة الطيبة التي قال عنها:** ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم: ٢٤].

عن محمد بن كعب القُرَظِيِّ -من طريق موسى بن عبيدة الرَّبَذِيّ- في قوله عز وجل: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ﴾ ، قال: "هي لا إله إلا الله، لا يزال صاحبُها يجتني منها خيرًا؛ صلاة، صيامًا، صدقة، حجًّا، عمرة"[2].

٧- **هي الكلمة الباقية التي جعلها إبراهيم عليه السلام في عقبه لعلهم يرجعون**، قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ٢٧ وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٨].

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير لهذه الكلمة: " وهي عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، وخلع ما سواه من الأوثان، وهي "لا إله إلا الله" أي: جعلها دائمة في

(١) تفسير ابن كثير - ت السلامة (٥/ ٢٦٥).

(٢) موسوعة التفسير المأثور (١٢/ ٢٢١).

ذريته يقتدي به فيها من هداه الله من ذرية إبراهيم، عليه السلام، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: إليها.

وقال عكرمة، ومجاهد، والضحاك، وقتادة، والسدي، وغيرهم في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ يعني: لا إله إلا الله، لا يزال في ذريته من يقولها. وروي نحوه عن ابن عباس"(١).

وفضائل هذه الكلمة في القرآن كثيرة، نكتفي بما سبق.

ثانياً: فضائل لا إله إلا الله في السنة كثيرة، ومنها:

١- **هي سبب النجاة من النار**، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: "مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ النَّارَ"(٢).

٢- **سبب دخول الجنة، عن** ابي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله ﷺ :"فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ، فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ"(٣).

وعَنْ أَنَسٍ، وعَنْ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ صَادِقًا مِنْ قَلْبِهِ، دَخَلَ الْجَنَّةَ"(٤).

٣- **سبب لشفاعة النبي ﷺ**: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لاَ يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا

---

(١) تفسير ابن كثير – ت السلامة (٧/ ٢٢٥).

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٤٣ ط التركية)ح(٢٩).

(٣) أخرجه مسلم (١/ ٦٠) ح(٣١).

(٤) أخرجه أحمد في المسند ط الرسالة (٣٦/ ٣٢٩) (٢٢٠٠٣)، قال محقق المسند (٣٦/ ٣٢٩): إسناده صحيح على شرط الشيخين، شعب الإيمان (١/ ٩٧) ح(٧)، مسند أبي يعلى الموصلي (٦/ ١٠) ح(٣٢٢٨)، وقال محققه: إسناده صحيح.

رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الحَدِيثِ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ»[1].

٤- **وهي أثقل شيء في ميزان العبد يوم القيامة**، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في وصية نوح لابنه، فقال: «..آمُرُكَ بِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَإِنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ، وَالْأَرَضِينَ السَّبْعَ، لَوْ وُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ، وَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فِي كِفَّةٍ، رَجَحَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَلَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرَضِينَ السَّبْعَ، كُنَّ حَلْقَةً مُبْهَمَةً، قَصَمَتْهُنَّ[2] لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ "[3].

وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ العَاصِ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: " إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ "، قَالَ: «فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ»[4].

وفضائل لا إله إلا الله كثيرة في السنة النبوية اكتفي بما سبق.

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٣١)ح (٩٩).

(٢) كسرتهن.

(٣) أخرجه في المسند(١١/ ١٥٠-١٥١ ط الرسالة)ح(٦٥٨٣)، وقال محققه:"إسناده صحيح"، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (ص٢٠٦)ح(٥٤٨).

(٤) أخرجه في المسند(١١/ ٥٧٠ ط الرسالة)ح(٦٩٩٤)، وسنن الترمذي وهذا لفظه (٥/ ٢٤ ت شاكر)ح(٢٦٣٩) وقال:"هذا حديث حسن غريب"، وسنن ابن ماجه (٢/ ١٤٣٧ ت عبد الباقي)ح(٤٣٠٠)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٢٢٣)ح(١٥٣٣)، وقال محقق المسند:"إسناده قوي".

المبحث الأول: أثر عمل القلب على معنى كلمة التوحيد، ومجمل عقيدة أهل السنة والجماعة في عمل القلب، وفيه مطلبان.

المطلب الأول: معنى لا إله إلا الله[١]، وفيه مسائل.

المسألة الأولى: مدلول كلمة إله.

لفظ إله فعال بمعنى مفعول، إله بمعنى مألوه أي معبود، كقولك كتاب بمعنى مكتوب، وفراش بمعنى مفروش[٢]، فإله بمعنى مألوه معبود، قال ابن القيم رحمه الله: "فإنّ الإله هو الذي تَأْلَهُهُ العباد حبًّا وذلًّا، وخوفًا ورجاءً، وتعظيمًا وطاعةً، «إله» بمعنى مألوهٍ، وهو الذي تألهه القلوب، أي تُحبُّه وتَذِلُّ له. وأصل التّألُّه التّعبُّد"[٣].

وقال شيخ الإسلام رحمه الله:«فإن الإله هو المألوه، والمألوه هو الذي يستحق أن يعبد»[٤].

وقال ابن رجب رحمه الله" فإن الإله هُوَ الَّذِي يطاع فَلَا يَعْصِي محبَّة وخوفاً ورجاء وَمن تَمام محبته محبَّة مَا يُحِبهُ وَكَرَاهَة مَا يكرههُ "[٥].

وقال حافظ الحكمي رحمه الله: «الإله هو المألوه الذي تألهه القلوب أي: تعبده محبة وتذللاً وخوفاً ورجاء ورغباً ورهباً وتوكلاً عليه واطراحاً بين يديه واستعانة به والتجاء إليه وافتقاراً إليه.

(١) ينظر في ذلك: تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد (ص٥٢)، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص٣٦)، حاشية كتاب التوحيد (ص٢٥)، معارج القبول بشرح سلم الوصول (٢/٣٩٣، ٤١٦)، فتاوى نور على الدرب لابن باز بعناية الشويعر (١/ ٤٩-٦٢)، فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام ط المكتبة الإسلامية (١/ ٤٥٢).

(٢) ينظر: الصحاح(٦/ ٢٢٢٣)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٦/ ٣٠٣ ط عطاءات العلم)، فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام ط المكتبة الإسلامية (٤/ ٤٤٢).

(٣) مدارج السالكين (٣/ ٣٩٤ ط عطاءات العلم).

(٤) مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٤٩).

(٥) كلمة الإخلاص وتحقيق معناها - ط المكتب الإسلامي (ص٢٩).

وذلك لا ينبغي إلا لله عز وجل خالق كل شيء ومصوره ومصرفه ومدبره، مبدى الخلق ومعيده، ومحييه ومبيده، الفعال لما يريد، الذي هو على كل شيء شهيد، الذي لا ملجأ ولا منجى منه إلا إليه، ولا حول ولا قوة إلا بالله»(١).

وقال الشنقيطي رحمه الله: «والإله: المعبود، فهو فعال بمعنى مفعول، وإتيان الفعال بمعنى المفعول جاء منه أمثلة في اللغة العربية، كالإله بمعنى المألوه، أي: المعبود، والكتاب بمعنى المكتوب، واللباس بمعنى الملبوس، والإمام بمعنى المؤتم به»(٢).

وقال ابن عثيمين رحمه الله: "وقوله: «إله» بمعنى: مألوه، فهي فعال بمعنى: مفعول، وصيغته هذه موجودة في اللغة العربية كثيراً، فإنه يقال: غراس بمعنى: مغروس، وفراش بمعنى: مفروش، وبناء، بمعنى: مبني"(٣).

وقال أيضاً: «فالإله بمعني المألوه، أي: المعبود المتذلل له»(٤).

---

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول (٢/ ٤٣٤).

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٦/ ٣٠٣ ط عطاءات العلم).

(٣) فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام ط المكتبة الإسلامية (٤/ ٤٤٢).

(٤)شرح العقيدة الواسطية – العثيمين (١/ ٣٦٥).

المسألة الثانية: معنى لا إله إلا الله.

المعنى الحق لهذه الكلمة: لا معبود بحق إلا الله.

قال ابن جرير رحمه الله عند تفسير قوله تعالى﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [غافر: ٦٥]: «يقول: لا معبود بحق تجوز عبادته، وتصلح الألوهة له إلا الله الذي هذه الصفات صفاته»[(١)].

وفي فتح المجيد شرح كتاب التوحيد: «ومعنى "لا إله إلا الله" لا معبود بحق إلا الله»[(٢)]،[(٣)].

المسألة الثالثة: شرح معنى لا إله إلا الله والأدلة عليه.

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله:" ومعنى "لا إله إلا الله" لا معبود بحق إلا الله.

وهو في غير موضع من القرآن.. كما قال تعالى: ﴿وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، وقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ٦٥]، فأجابوه رداً عليه بقولهم: ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأعراف: ٧٠]، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَـٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢].

فتضمن ذلك نفي الإلهية عما سوى الله، وهي العبادة. وإثباتها لله وحده لا شريك له، والقرآن من أوله إلى آخره يبين هذا ويقرره ويرشد إليه.

---

(١) تفسير الطبري (٢٠/ ٣٥٧).

(٢) (ص٣٦).

(٣) وقال بهذا التعريف الشيخ حافظ الحكمي، والشيخ ابن باز، والشيخ ابن عثيمين رحمة الله عليهم.

ينظر: معارج القبول بشرح سلم الوصول (٢/ ٤١٦)، العقيدة الصحيحة وما يضادها ونواقض الإسلام لابن باز(ص٨)، مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٩/ ٥٥)، وقال به غيرهم كثير.

فالعبادة بجميع أنواعها إنما تصدر عن تأله القلب بالحب والخضوع والتذلل رغباً ورهباً، وهذا كله لا يستحقه إلا الله تعالى.. فمن صرف من ذلك شيئاً لغير الله فقد جعله لله نداً، فلا ينفعه مع ذلك قول ولا عمل»[(1)].

ويقول الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله: «وهو الله سبحانه وتعالى أي: هو الإله الحق، فكما تفرد تعالى بالخلق والرزق والإحياء والإماتة والإيجاد والإعدام والنفع والضر والإعزاز والإذلال والهداية والإضلال وغير ذلك من معاني ربوبيته ولم يشركه أحد في خلق المخلوقات ولا في التصرف في شيء منها، وتفرد بالأسماء الحسنى والصفات العلا ولم يتصف بها غيره ولم يشبهه شيء فيها، فكذلك تفرد سبحانه بالإلهية حقاً، فلا شريك له فيها: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢].

﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١-٩٢].

﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢١-٢٣].

﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٤٢-٤٤].

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [المائدة: ٧٣].

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص٣٦).

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ٦٢].

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨].

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ [فاطر: ٤٠].

﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الأحقاف: ٤].

﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّاۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُۗ أَمْ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾ [الرعد: ١٦].

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ﴾ [ص: ٦٥-٦٦]"(١).

---

(١)معارج القبول بشرح سلم الوصول (٢/ ٤١٧- ٤١٨).

وقال الشيخ ابن باز:" معنى الشهادة أن يشهد بلسانه وبقلبه، أنه لا معبود حق إلا الله، يشهد بلسانه ويؤمن بقلبه أنه لا إله إلا الله، يعني لا معبود حق إلا الله، وأن ما عبده الناس من دون الله من أصنام أو أموات أو أشجار أو أحجار أو ملائكة أو غيرهم كله باطل، كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ﴾ [الحج: ٦٢].

هذا معنى شهادة أن لا إله إلا لله، أن تشهد عن علم ويقين وصدق أنه لا معبود حق إلا الله، وأن ما عبده الناس من دون الله كله باطل"(١).

المسألة الرابعة: ارتباط معنى لا إله إلا الله وشروطها ولوازمها بالقلب.

يرتبط معنى لا إله إلا الله بالقلب؛ لأن الاعتقاد بأن الله المستحق للعبادة وحده لا شريك له قول القلب وعمله الذي يظهر أثره على الجوارح للتلازم ما بين الظاهر والباطن؛ ولأنه داخل في قول القلب الذي هو الاعتقاد، ومرتبط بعمل القلب؛ لأن شروط لا إله إلا الله وأن محمداً رسول ومقتضاهما مرتبط بعمل القلب، وسيأتي تفصيل ذلك في المباحث القادمة.

المسألة الخامسة: بعض المعاني المنحرفة أو القاصرة في معنى كلمة التوحيد(٢).

وإذا كان المعنى الحق لكلمة التوحيد هو (لا معبود بحق إلا الله) فهناك معاني قاصرة أو منحرفة في معنى لا إله إلا الله، ودونك بعضها على سبيل الإجمال:

١- **لا موجود إلا الله**، وهذا معنى باطل لأنه يثبت المفهوم المنحرف الضال عند غلاة الصوفية: مفهوم الاتحاد ووحدة الوجود، وهو يعنى أن الخلق كلهم الله والله حل في مخلوقاته، تعالى الله وتقدس عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

٢- **لا معبود إلا الله**، وهذا التعريف لا يصح على ظاهره لأن هناك أشياء عبدت من دون الله ﷻ.

---

(١) فتاوى نور على الدرب لابن باز بعناية الشويعر (١/ ٤٩).

(٢) ينظر: تيسير العزيز الحميد (ص٥٤)، معجم التوحيد (١/ ١٨)، شروط لا إله إلا الله (ص٤١٣)، معنى لا إله إلا الله ومقتضاها وآثارها في الفرد والمجتمع (ص٢٢)، مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١/ ٨٣، ٤/ ٢٣٦، ٧/ ٣٠)، شرح كشف الشبهات ويليه شرح الأصول الستة (ص٣٢).

٣- **لا خالق إلا الله، أو لا رب إلا الله**، وهذا معنى ناقص لا ينفع لأن أهل الكفر من مشركي مكة كانوا يقرون بذلك فلم يك ينفعهم، يقول الله عنهم: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦١] والآيات في ذلك كثيرة.

٤- **وقيل: معنى لا إله إلا الله لا حاكمية إلا لله**، وهذا جزء من معناها فهو تفسير ناقص لا يكفي.

٥- **وقيل: إخراج اليقين الفاسد على الأشياء وإدخال اليقين الصادق على الله**، أنه هو الضار والنافع والمحيي والمميت، وكل شيء لا يضر ولا ينفع وأن الله هو الذي وضع فيه الضر والنفع.

وقال الشيخ ابن عثيمين في بيان أن هذا المعنى ناقص: «فأجاب بقوله: قول هذا القائل قول ناقص، فإن هذا معنى من معاني " لا إله إلا الله " ومعناها الحقيقي الذي دعا إليه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وكفر به المشركون أنه لا معبود بحق إلا الله»(١).

وقال رحمه الله في معنى مشابه: «ومن الناس من يفسرها بأن المراد بها "إخراج اليقين الصادق عن ذات الأشياء، وإدخال اليقين الصادق على ذات الله" وهذا التفسير باطل لم يعرفه السلف الصالح»(٢).

٦- **لا قادر على الاختراع إلا الله**، وهذا المعنى ينسب إلى أهل الكلام وهو تفسير باطل وقاصر وهو يعنى توحيد الربوبية فقط الذي كان يقر به المشركون ولم يك ينفعهم، لأنهم يشركون في الألوهية.

يقول ابن عثيمين رحمه الله في تعليقه على كتاب التوحيد: «حيث يقولون: إن الإله هو القادر على الاختراع، وإنه لا قادر على الاختراع والإيجاد والإبداع إلا الله، وهذا تفسير باطل.

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١/ ٨٣).

(٢) شرح كشف الشبهات ويليه شرح الأصول الستة (ص٣٢).

نعم، هو حق لا قادر على الاختراع إلا الله، لكن ليس هذا معنى لا إله إلا الله، ولكن المعنى: لا معبود حق إلا الله؛ لأننا لو قلنا: إن معنى لا إله إلا الله: لا قادر على الاختراع إلا الله؛ صار المشركون الذين قاتلهم الرسول صلى الله عليه وسلم واستباح نساءهم وذريتهم وأموالهم مسلمين؛ فالظاهر من كلامه رحمه الله أنه أراد أهل الكلام الذين يفسرون لا إله إلا الله بتوحيد الربوبية، وكذلك الذين يعبدون الرسول والأولياء ويقولون: نحن نقول لا إله إلا الله»[1].

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٣٥٦).

المطلب الثاني: ارتباط الشهادتين بقول القلب وعمله، وقول اللسان وعمله، وفيه مسائل.

أهل السنة والجماعة يعتقدون أن الإيمان قول وعمل، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وأن أعمال القلوب داخلة في مسمى الإيمان، وهي قول القلب وعمله، ويدخل في ذلك ما يتعلق بالشهادتين ولوازمهما ومقتضياتهما، ولها كذلك تعلق وثيق بقول اللسان وعمله.

المسألة الأولى: الإيمان قول وعمل، والأدلة على ذلك.

جاءت نصوص الكتاب والسنة دالة على أن الإيمان قول وعمل، ومن ذلك:

الدليل الأول: قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

وفي هذه الآية الكريمة جعل الله ﷻ الدين في عمل القلب وعمل الجوارح، فشملت القول والعمل، روى الإمام اللالكائي عن الإمام البخاري -رحمهما الله- أنه لقي أكثر من ألف رجل كلهم يقول: الدين قول وعمل، ويستدل بهذه الآية[١].

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير لهذه الآية الكريمة: "وقد استدل كثير من الأئمة – كالزهري والشافعي – بهذه الآية الكريمة على أن الأعمال داخلة في الإيمان"[٢].

الدليل الثاني: قوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

استدل الإمام الآجُرِّيُّ رحمه الله بهذه الآية على فرضية الإيمان باللسان[٣].

---

(١) ينظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٩٥)، وصحح إسناده الحافظ ابن حجر في الفتح (١/ ٤٧).

(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ٤٥٧).

(٣) ينظر: الشريعة للآجري (٢/ ٦١٢).

ولكن هذا القول باللسان يستلزم أن يكون القلب متواطئًا مع اللسان ليترتب عليه الثواب والجزاء؛ لأن نطق اللسان بدون اعتقاد القلب نفاقٌ وكفر، وقول اللسان الخالي من عمل القلب عديم الفائدة قليل النفع، وإن العبد يؤجر عليه إذا كان خيرًا ومعه أصل الإيمان، ولكن الفرق كبير بين قول مجرد وقول حضر معه القلب(١)، والله أعلم.

الدليل الثالث: قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡ﴾ [المائدة: ٤١].

استدل الإمام ابن بطة رحمه الله بهذه الآية على عمل القلب فقال: "وقال: ﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ﴾ [المائدة: ٤١]، فذلك ما فرضه على القلب من الإقرار والمعرفة والتصديق، وهو رأس الإيمان وهو عمله، وفرض على اللسان القول والتعبير عن القلب، وما عقد عليه وأقر به"(٢).

الدليل الرابع: قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ [البقرة: ٨٢]، وذكر الله ذلك في مواضع كثيرة من كتابه.

وذكر الإمام الآجري كلامًا متينًا معلّقًا على هذه الآيات الكثيرة التي جمعت بين الإيمان والعمل، فقال رحمه الله: "اعلموا -رحمنا الله وإياكم يا أهل القرآن، ويا أهل العلم، ويا أهل السنن والآثار، ويا معشر من فقههم الله تعالى في الدين بعلم الحلال والحرام- أنكم إن تدبرتم القرآن كما أمركم الله تعالى؛ علمتم أن الله تعالى أوجب على المؤمنين بعد إيمانهم به وبرسوله

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (٦٧).

(٢) الإبانة الكبرى لابن بطة (٢/ ٧٦٦).

العمل، وأنه تعالى لم يثن على المؤمنين بأنه قد رضي عنهم، وأنهم قد رضوا عنه، وأثابهم على ذلك الدخول إلى الجنة والنجاة من النار، إلا الإيمان والعمل الصالح، وقرن مع الإيمان العمل الصالح، لم يدخلهم الجنة بالإيمان وحده حتى ضم إليه العمل الصالح الذي قد وفقهم له، فصار الإيمان لا يتم لأحد حتى يكون مصدقًا بقلبه، وناطقًا بلسانه، وعاملًا بجوارحه.

لا يخفى على من تدبر القرآن وتصفحه، وجده كما ذكرت، واعلموا -رحمنا الله تعالى وإياكم- أني قد تصفَّحت القرآن، فوجدت فيه ما ذكرته في ستة وخمسين موضعًا من كتاب الله ﷻ(١)، أن الله تبارك وتعالى لم يدخل المؤمنين الجنة بالإيمان وحده، بل أدخلهم الجنة برحمته إياهم، وبما وفَّقهم له من الإيمان به والعمل الصالح"(٢).

الدليل الخامس: قَالَ أَبو هُرَيْرَةَ ﵁: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي نَفْسَهُ وَمَالَهُ، إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ»(٣).

قال الآجري رحمه الله في تعليقه على هذا الحديث: "فهذا الإيمان باللسان نطقا فرضًا واجبًا، وأما الإيمان بما فرض على الجوارح تصديقًا بما آمن به القلب ونطق به اللسان فقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ﴾ إلى قوله: ﴿تُفۡلِحُونَ ﴾ [الحج: ٧٧]، وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، في غير موضع من القرآن"(٤).

والأدلة في إثبات أن الإيمان قول وعمل كثيرة جدًّا(٥).

---

(١) وقد سردها رحمه الله في كتابه الشريعة (٢/ ٦٢١-٦٣١).

(٢) الشريعة للآجري (٢/ ٦١٨).

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ٤٨) ح (٢٩٤٦)، ومسلم (١/ ٥٢) ح (٢١).

(٤) الشريعة للآجري (٢/ ٦١٣).

(٥) ينظر في هذه الأدلة في الإبانة الكبرى لابن بطة (٧٦٠-٨٠٨)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٤/ ٩١١-٩١٢).

المسألة الثانية: أقوال السلف في أن الإيمان قول وعمل.

يقول الإمام البخاري رحمه الله: "كتبتُ عن ألف نفر من العلماء وزيادة، ولم أكتب إلا عمن قال: الإيمان قول وعمل، ولم أكتب عمن قال: الإيمان قول"، وقد سبق نقله عنه.

وقد نقل الحافظ ابن عبد البر رحمه الله الإجماع على ذلك، فقال: "أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل"(١).

ونقل اللالكائي هذا القول عن الكثير من السلف، ومنهم: "أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم قال: سألت أبي وأبا زرعة عن مذاهب أهل السنة في أصول الدين، وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار، وما يعتقدان من ذلك، فقالا: "أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازًا وعراقًا وشامًا ويمنًا، فكان من مذهبهم: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص"(٢).

قال ابن كثير رحمه الله: «بل قد حكاه الشافعي وأحمد بن حنبل وأبو عبيد وغير واحد إجماعاً: أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص»(٣).

المسألة الثالثة: قول القلب، وعمله.

قول القلب هو الاعتقاد وهو أركان الإيمان، وعمله هي حركة القلب بالخوف والرجاء والمحبة ونحو ذلك.

قول القلب، قال عنه شيخ الإسلام: "فأما قول القلب فهو التصديق الجازم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ويدخل فيه الإيمان بكل ما جاء به الرسول ﷺ"(٤).

---

(١) التمهيد (٩/ ٢٣٨).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٩٨).

(٣) تفسير ابن كثير – ت السلامة (١/ ١٦٥).

(٤) مجموع الفتاوى (٧/ ٦٧٢).

وعمل القلب، يشمل: "حب الله ورسوله وتعظيم الله ورسوله وتعزير الرسول وتوقيره، وخشية الله والإنابة إليه والإخلاص له والتوكل عليه، إلى غير ذلك من الأحوال، فهذه الأعمال القلبية كلها من الإيمان، وهي مما يوجبها التصديق والاعتقاد إيجاب العلة للمعلول"(١).

ويقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «فقول القلب: هو إقراره وتصديقه وإيمانه.

وفعله: رجاؤه وخوفه وتوكله وما أشبه ذلك ففيه نوع حركة قلبية، أما القول فهو: إقرار وتصديق»(٢).

وقال أيضاً:" الفرق بين قول القلب وعمل القلب: فقول القلب: إقراره وإيمانه بالشيء، وعمله: حركته بمعنى: المحبة الخوف الرجاء وما أشبه ذلك، هذه لا تسمى قول القلب وإنما تسمى عمل القلب، لكن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر هذا يسمى قول القلب، هذا هو الفرق بين قول القلب وعمل القلب"(٣).

وعلى هذا فشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وما يتعلق بهما من شروط ولوازم ومقتضيات هي من قول والقلب وعمله في الأصل، ولها تعلق وثيق بقول اللسان وعمله، وهذا ما سيأتي توضيحه في الفقرة الآتية.

المسألة الرابعة: قول اللسان وعمله.

ويذكر ابن القيم رحمه الله أن قول اللسان يعني الإخبار باللسان عما اعتقده في قلبه مما أخبر الله به عن نفسه وأسمائه وصفاته وأفعاله وملائكته ولقائه على لسان رسوله ﷺ، فقول اللسان الإخبار عن ذلك والدعوة إليه، والذَّبُّ عنه، وتبيينُ بطلان البدع المخالفة له، والقيامُ بذكره، وتبليغُ أوامره(٤).

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٦٧٢).

(٢) تفسير العثيمين: المائدة (١/ ١٥١).

(٣) لقاء الباب المفتوح (١٥٧/ ١٥ بترقيم الشاملة آليا).

(٤) ينظر: مدارج السالكين (١/ ١٥٣ ط عطاءات العلم).

وعلى هذا فقول اللسان هو النطق بالشهادتين والإقرار بلوازمهما، ويقول حافظ الحكمي رحمه الله: «قول اللسان وهو النطق بالشهادتين: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله والإقرار بلوازمها، قال الله: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ [البقرة: ١٣٦]، ﴿وَإِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ﴾ [القصص: ٥٣] ﴿وَإِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ﴾ [القصص: ٥٣] ، ﴿وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ﴾ [الشورى: ١٥]، وقال تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ ﴾ [الزخرف: ٨٦]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ [الأحقاف: ١٣]، وقال صلى الله عليه وسلم: "أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ.."(١) »(٢).

«قول اللسان ويندرج فيه عمله، يشمل: "النطق بالشهادتين: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله والإقرار بلوازمها قولاً وعملاً.

والعمل الذي يكون باللسان ما يقوم به من تلاوة، وذكر، ودعاء، واستغفار، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، ودعوة إلى الله ونحو ذلك»(٣).

و من هنا نعلم أنه لا بد من إرتباط اللسان والجوارح بالقلب في القول والعمل، فقول اللسان وعمله لا ينفع صاحبه إلا بقول القلب وعمله، فالإيمان كما يقول أهل السنة: تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح(٤).

---

(١) الحديث أصله في الصحيحين وهذا اللفظ في سنن ابن ماجه (١/ ٢٧ ت عبد الباقي) ح(٧١)، وسنن النسائي (٦/ ٦)ح(٣٠٩٤) وغيرهما.

(٢) معارج القبول بشرح سلم الوصول (٢/ ٥٨٩).

(٣) ينظر: أثر أعمال القلوب على الداعية والدعوة (ص١١٣ بترقيم الشاملة آليا).

(٤) ينظر: كتاب الإبانة الكبرى لابن بطة(٢/٧٦٠)، الشريعة للآجري (٢/ ٦١١)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٤/ ٩٣٢).

المبحث الثاني: أركان كلمة التوحيد(١) وارتباطها بعمل القلب، وفيه مطلبان.

تتركب كلمة التوحيد من ركنين هما:

الأول: النفي(لا إله).

الثاني: الإثبات(إلا الله).

ودونك تفصيل ذلك في المطلبين الآتيين.

المطلب الأول: ركنا كلمة التوحيد ومعناهما والأدلة عليهما.

أولاً: معناهما.

أما الركن الأول: النفي(لا إله)، فمعناه: نفي الإلهية عما سوى الله من سائر المخلوقات، فتنفي جميع ما يعبد من دون الله، فلا يستحق أن يعبد سواه.

وأما الركن الثاني: الإثبات(إلا الله)، فمعناه: إثبات الإلهية لله سبحانه وحده لا شريك له، لأنه هو الإله المستحق للعبادة، وما سواه من الألهة التي اتخذها المشركون فكلها باطلة، كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج: ٦٢].

قال ابن القيم رحمه الله:«هذه أعظمُ كلمةٍ تضمَّنت بالوضع نفيَ الإلهيَّة عما سوى الله، وإثباتها له بوصف الاختصاصِ، فدلالتها على إثبات إلاهيَّته أعظمُ من دلالة قولنا: "الله إلهٌ"، ولا يستريبُ أحدٌ في هذا ألْبتَّة»(٢).

وقال الزركشي رحمه الله: «قول لا إله إلا الله أي على هذه الصيغة الخاصة الجامعة بين النفي والإثبات ليدل على حصر الإلهية لله تعالى فإن الجمع بين النفي والإثبات أبلغ

---

(١) ينظر: تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد (ص٣٢)، معنى لا إله إلا الله ومقتضاها وآثارها في الفرد والمجتمع (ص١٦)، معجم التوحيد (١/ ٢١).

(٢) بدائع الفوائد – ط عطاءات العلم (٣/ ٩٢٦).

صيغ الحصر وقد ثبت العلم الضروري بالاكتفاء بهذه الكلمة الشريفة في إثبات التوحيد لله تعالى..»[1].

وقال عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ رحمه الله:«قد دلت بمنطوقها وموضوعها على نفي استحقاق الإلهية عن غيره تعالى، والبراءة من كل معبود سواه، قولاً وفعلاً، وإثبات استحقاق الإلهية على وجه الكمال لله تعالى»[2].

ثانياً: الأدلة على الركنين.

١- **أدلة القرآن العظيم**، وذلك" «أن طريقة القرآن في مثل هذا أن يقرن النفي بالإثبات فينفي عبادة ما سوى الله ويثبت عبادته، وهذا هو حقيقة التوحيد، والنفي المحض ليس بتوحيد، وكذلك الإثبات بدون النفي فلا يكون التوحيد إلا متضمناً للنفي والإثبات، وهذا حقيقة لا إله إلا الله»[3].

والأدلة على ذلك كثيرة، ومنها:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٨].

قال الشنقيطي رحمه الله في بيان معنى النفي والإثبات في الآيات السابقة:" «لأن لا إله إلا الله نفي وإثبات، فمعنى النفي منها هو البراءة من جميع المعبودات غير الله في جميع أنواع العبادات، وهذا المعنى جاء موضحًا في قوله: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾.

(١) معنى لا إله إلا الله - الزركشي (ص٨٣).

(٢) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٢/ ٣٢٦).

(٣) بدائع الفوائد - ط الكتاب العربي (١/ ١٣٤).

ومعنى الإثبات منها هو إفراد الله وحده بجميع أنواع العبادات على الوجه الذي شرعه على ألسنة رسله، وهذا المعنى جاء موضحًا في قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾»[١].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

قال الشنقيطي رحمه الله في معنى الآية: «ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أنه بعث في كل أمة رسولًا بعبادة الله وحده، واجتناب عبادة ما سواه، وهذا هو معنى "لا إله إلا الله"؛ لأنها مركبة من نفي وإثبات، فنفيها هو خلع جميع المعبودات غير الله تعالى في جميع أنواع العبادات، وإثباتها هو إفراده جل وعلا بجميع أنواع العبادات بإخلاص، علي الوجه الذي شرعه علي ألسنة رسله عليهم صلوات الله وسلامه»[٢].

وقال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

قال ابن باز رحمه الله: «ومعنى الكفر بالطاغوت البراءة من عبادة غير الله، واعتقاد بطلانها، هذا معنى الكفر بالطاغوت، وهي أن تتبرأ من عبادة غير الله، وأن تعتقد بطلان ذلك، وأن العبادة بحق لله وحده سبحانه وتعالى، ليس له شريك، لا ملك ولا نبي ولا شجر ولا حجر ولا ميت ولا غير ذلك»[٣].

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: ٦٤].

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٧/ ٢٤٧ ط عطاءات العلم).

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣/ ٣٢٥ ط عطاءات العلم).

(٣) فتاوى نور على الدرب لابن باز بعناية الشويعر (١/ ٦٢).

«فتضمنت هذه الآية معنى " لا إله إلا الله " من نفي الإلهية عما سوى الله وتفردة بالعبادة دون كل ما سواه»[1].

قال عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله مستدلاً بالآية السابقة : «اعلم رحمك الله أن كلمة الإخلاص لا إله إلا الله لا تنفع قائلها إلا بمعرفة معناها، وهو نفي الإلهية عما سوى الله، والبراءة من الشرك في العبادة، وإفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة»[2].

وقال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣].

وقال في فتح المجيد شرح كتاب التوحيد بعد ذكره الآية السابقة وآيات تماثلها:

«فتضمن ذلك نفي الإلهية عما سوى الله، وهي العبادة. وإثباتها لله وحده لا شريك له، والقرآن من أوله إلى آخره يبين هذا ويقرره ويرشد إليه.

فالعبادة بجميع أنواعها إنما تصدر عن تأله القلب بالحب والخضوع والتذلل رغباً ورهباً، وهذا كله لا يستحقه إلا الله تعالى،..فمن صرف من ذلك شيئاً لغير الله فقد جعله لله نداً، فلا ينفعه مع ذلك قول ولا عمل»[3].

وقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣].

«فقوله: ﴿ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ ﴾ : نفي استحقاق العبادة لغيره، وأثبتها لنفسه بقوله: ﴿إِلَّآ إِيَّاهُ﴾»[4].

قال السعدي رحمه الله: «فقال: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ ﴾ قضاء دينياً وأمر أمراً شرعياً ﴿ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ ﴾ أحداً من أهل الأرض والسماوات الأحياء والأموات.

﴿إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ لأنه الواحد الأحد الفرد الصمد الذي له كل صفة كمال، وله من تلك الصفة أعظمها على وجه لا يشبهه أحد من خلقه، وهو المنعم بالنعم الظاهرة

---

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٢/ ٢١٤).

(٢) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٢/ ٢٥٢).

(٣) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص٣٦).

(٤) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٢/ ٢١٣).

والباطنة، الدافع لجميع النقم الخالق الرازق المدبر لجميع الأمور، فهو المتفرد بذلك كله وغيره ليس له من ذلك شيء»(١).

والآيات في هذا المعنى كثيرة.

٢- أما الأدلة من السنة على النفي والإثبات، فمنها:

يَقُولُ صلى الله عليه وسلم: « مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ»(٢).

قال في فتح المجيد: «اعلم أن النبي صلي الله عليه وسلم علق عصمة المال والدم في هذا الحديث بأمرين: الأول: قول "لا إله إلا الله" عن علم ويقين، كما هو قيد في قولها في غير ما حديث.. والثاني: الكفر بما يعبد من دون الله، فلم يكتف باللفظ المجرد عن المعنى. بل لا بد من قولها والعمل بها»(٣).

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله معلقاً على الحديث السابق: « وهذا من أعظم ما يبين معنى " لا إله إلا الله "، فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصماً للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله؛ فإن شك أو توقف لم يحرم ماله ودمه.

فيالها من مسألة ما أعظمها وأجلها! وياله من بيان ما أوضحه! وحجة ما أقطعها للمنازع»(٤).

قال السعدي رحمه الله معلقاً على كلام الإمام ابن عبد الوهاب: «فتبين بذلك أنه لا بد من اعتقاد وجوب عبادة الله وحده لا شريك له، ومن الإقرار بذلك اعتقاداً ونطقاً، ولا بد من القيام بعبودية الله وحده طاعة لله وانقياداً، ولا بد من البراءة مما ينافي ذلك عقلاً وقولاً وفعلاً.

---

(١) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص٤٥٦).

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٤٠ ط التركية)ح(٢٣).

(٣) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص١١١).

(٤) التوحيد لابن عبد الوهاب (ص٢٦).

ولا يتم ذلك إلا بمحبة القائمين بتوحيد الله وموالاتهم ونصرتهم، وبغض أهل الكفر والشرك ومعاداتهم، لا تغني في هذا المقام الألفاظ المجردة، ولا الدعاوى الخالية من الحقيقة، بل لا بد أن يتطابق العلم والاعتقاد والقول والعمل، فإن هذه الأشياء متلازمة متى تخلف واحد منها تخلفت البقية والله أعلم»(١).

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: «لَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه، وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ الْعَرَبِ، فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ؟ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَمَنْ قَالَهَا فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ" فَقَالَ: وَاللهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ، وَاللهِ لَوْ مَنَعُونِي عَنَاقًا كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهَا قَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: فَوَاللهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ قَدْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه. فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ»(٢).

وقال في تيسير العزيز الحميد: «فانظر كيف فهم صديق الأمة أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يرد مجرد اللفظ بها من غير إلزام لمعناها وأحكامها، فكان ذلك هو الصواب، واتفق عليه الصحابة، ولم يختلف فيه منهم اثنان إلا ما كان من عمر حتى رجع إلى الحق، وكان فهم الصديق هو الموافق لنصوص القرآن والسنة»(٣).

(١) القول السديد شرح كتاب التوحيد ط النفائس (ص٤٠).

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ١٠٥)ح(١٣٩٩)، ومسلم (١/ ٣٨ ط التركية) ح(٢٠).

(٣) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد (ص١١٦-١١٧).

المطلب الثاني: ارتباط النفي والإثبات في كلمة التوحيد بعمل القلب.

هذا النفي والإثبات في كلمة التوحيد لا يقع مؤثراً في حياة العبد إلا إذا كان نابعاً من القلب منطلقاً منه، أما مجرد النطق بالنفي والإثبات بدون عقيدة في القلب فلا ينفع صاحبه، وإذا تمكنت هذه العقيدة من القلب ظهر أثرها في حياة العبد، ويكون ذلك بما يأتي:

١- «نفي جميع الآلهة المعبودة من دون الله تعالى، ونفيها يستلزم إبطالها، والكفر بها، وبغضها، وإزالتها عند القدرة، وبيان ضعفها وحقارتها، وأنها لا تستحق مثقال ذرة من العبادة ولا أدنى من ذلك»[1].

٢- «والمقصود بالإثبات هو إثبات الألوهية لله تعالى وحده دون ما سواه، ثم إفراده عز وجل بأنواع العبادة»[2].

٣- «والمقصود أن نفي الأوثان الذي دلت عليه كلمة الإخلاص يحصل بتركها والرغبة عنها والبراءة منها، والكفر بها وبمن يعبدها، واعتزالها واعتزال عابديها، وبغضها وعداوتها. وكل هذا في القرآن مبيناً، وقد انتفت عبادة كل ما عبد من دون الله مما هو موجود في الخارج مما يعبده المشركون سلفاً وخلفاً بهذه الكلمة كما تقدم.

وقد ذكر تعالى عن خليله عليه السلام أنه قال: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٧ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٧٧-٧٨] الآيات، وبالله التوفيق»[3].

٤- الخوف من الوقوع في الشرك وهو لا يشعر.

فإذا أتضح معنى النفي والإثبات في قلب العبد أثمر ذلك خوفه من الوقوع في الشرك، وحذره الشديد من كل أنواعه.

---

(١) القواعد في توحيد العبادة (١/ ٥٢٧).

(٢) القواعد في توحيد العبادة (١/ ٥٢٧).

(٣) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية - ط المنار (٤/ ٣٤٣).

ولقد خاف من الشرك خليل الرحمن أبو الأنبياء عليه السلام ودعى ربه قائلاً: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ۝٣٥ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ﴾ [إبراهيم: ٣٥-٣٦].

وقال في التمهيد لشرح كتاب التوحيد: «فكيف بمن دون إبراهيم ..والواقع أن عامة الأمة لا يخافون من الشرك، فمن الذي يخافه إذًا؟ الذي يخافه هو الذي يسعى في تحقيق التوحيد.

قال إبراهيم التيمي رحمه الله وهو من سادات التابعين لما تلا هذه الآية قال: "ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم"؟!![1] إذا كان إبراهيم عليه السلام وهو الذي حقق التوحيد، وهو الذي وُصِفَ بما وُصِفَ به، وهو الذي كسَّر الأصنام بيده يخاف من الفتنة بها فمن يأمن البلاء بعده؟!إذًا فما ثمَّ إلا غرور أهل الغرور.

والمقصود: أن هذا يوجب الخوف الشديد من الشرك؛ لأن إبراهيم عليه السلام مع كونه سيد المحققين للتوحيد في زمانه، بل وبعد زمانه إلى نبينا صلى الله عليه وسلم ما أعطي الضمان والأمان من الوقوع في الشرك»[2].

وخاف من الشرك النبي صلى الله عليه وسلم على أمته، وعلى رأسهم أصحابه رضوان الله عليهم، وهم خيرة الموحدين، فكيف بمن عداهم؟

وعَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ؟ قَالَ: «الرِّيَاءُ؛ إِنَّ اللهَ يَقُولُ يَوْمَ تُجَازَى الْعِبَادُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ بِأَعْمَالِكُمْ فِي الدُّنْيَا، فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً؟!»[3].

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (١٣/ ٦٨٨).

(٢) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص٥٠).

(٣) أخرجه أحمد (٣٩/ ٤٣-٤٤) ح (٢٣٦٣٦)، وجوّد إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٣٤) ح (٥٠)، وحسن إسناده ابن حجر في بلوغ المرام من أدلة الأحكام ت الفحل (ص٥٤٤)ح(١٤٨٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٠٢) ح (٣٧٥): "رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح"، وصححه الألباني في صحيح الترغيب =

ويقول ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ؟» قَالَ: قُلْنَا: بَلَى، فَقَالَ: «الشِّرْكُ الْخَفِيُّ، أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّي، فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ؛ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ»[(١)].

وقال سليمان بن عبد الله آل الشيخ تعليقاً على الحديث السابق: «وفي الحديث من الفوائد شفقته صلى الله عليه وسلم على أمته ونصحه لهم، وأن الرياء أخوف على الصالحين من فتنة الدجال، والحذر من الرياء ومن الشرك الأكبر، إذ كان صلى الله عليه وسلم يخاف الرياء على أصحابه مع علمهم وفضلهم، فغيرهم أولى بالخوف»[(٢)].

وبوب الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله باباً في كتاب التوحيد بعنوان باب الخوف من الشرك[(٣)] وأورد فيه النصوص الآتية:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨].

وقال الخليل عليه السلام:﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

وفي الحديث: «أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ»، فسئل عنه، فقال: «الرِّيَاءُ».رواه أحمد والطبراني والبيهقي.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ نِدًّا دَخَلَ النَّارَ». رواه البخاري.

والترهيب (١/ ١٢٠) ح (٣٢)، وقال شعيب الأرناؤوط في تحقيقه للمسند (٣٩/ ٤٤) ح (٢٣٦٣٦): "إسناده حسن".

(١) أخرجه أحمد (١٧/ ٣٥٤ ط الرسالة)ح(١١٢٥٢)، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب الرياء والسمعة (٢/ ١٤٠٦) ح (٤٢٠٤)، والحاكم في المستدرك في كتاب الرقاق (٤/ ٣٦٥) ح (٧٩٣٦) وصححه ووافقه الذهبي، وحسن إسناده البوصيري في زوائد ابن ماجه (٤/ ٢٣٦) ح (١٥٠٥)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ١١٩) ح (٣٠).

(٢) تيسير العزيز الحميد (ص٤٦١).

(٣) التوحيد لابن عبد الوهاب (ص١٨).

ولمسلم عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « مَنْ لَقِيَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ».

٥- إخلاص العبادة لله تعالى.

ومن ثمرات وضوح معنى النفي والإثبات في كلمة التوحيد الحرص على إخلاص العبادة لله تعالى والاجتهاد في ذلك، والحرص على سلامة المقاصد لله تعالى خالصة.

وسيأتي مزيد بيان لهذا الأمر عند شروط لا إله إلا الله.

المبحث الثالث: أثر عمل القلب على شروط لا إله إلا الله، وفيه تمهيد وعدة مطالب.

تمهيد:

الكلام على شروط لا إله إلا الله مجملة.

وكلمة التوحيد ليست مجرد كلمة تردد فقط باللسان، والقلب خال من لوازمها ومقتضياتها، بل هي قول وعمل، ولا تنفع من يقولها إلا إذا أتى بشروطها وحققها في قلبه، وسلم قلبه مما ينقضها أو يضعفها، ولذا أثر عن الحسن ووهب بن منبه رحمهما الله ما يدل على ذلك.

قال الحسن للفرزدق -وهو يدفن امرأته-: "ما أعددت لهذا اليوم؟ قال: شهادة أن لا إله إلا الله منذ سبعين سنة. قال الحسن: نعم العُدة إن لـ "لا إله إلا الله" شروطاً؛ فإياك وقذف المحصنة"(١).

وقيل للحسن: إن ناسًا يَقُولُونَ: من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة؟ فَقَالَ: "من قال: لا إله إلا الله، فأدّى حقها وفرضها دخل الجنة"(٢).

وقال وهب بن منبه لمن سأله: أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة؟ قال: "بلى، ولكن ليس مفتاح إلا وله أسنانٌ؛ فإن جئت بمفتاح له أسنان فُتح لك، وإلا لم يُفتَح لك"(٣).

وأستنبط العلماء باستقراء النصوص شروط لا إله إلا الله التي لا بد من تحقيقها في قلب من يقولها ويظهر أثرها على جوارحه، ودونكها ملخصة، ثم يأتي تفصيلها بعد ذلك.

الشرط الأول: العلم بمعناه نفياً وإثباتاً المنافي للجهل.

الشرط الثاني: الإخلاص المنافي للشرك.

الشرط الثالث: اليقين المنافي للشك.

---

(١)كلمة الإخلاص وتحقيق معناها - ضمن رسائل ابن رجب (٣/ ٤٧).

(٢)كلمة الإخلاص وتحقيق معناها - ضمن رسائل ابن رجب (٣/ ٤٧)

(٣)كلمة الإخلاص وتحقيق معناها - ضمن رسائل ابن رجب (٣/ ٤٧).

الشرط الرابع: القبول المنافي للرد.

الشرط الخامس: الانقياد المنافي للترك.

الشرط السادس: الصدق المنافي للكذب.

الشرط السابع: المحبة المنافية للبغض والكره.

الشرط الثامن: الكفر بما يعبد من دون الله.

وإليك تفصيلها في المطالب الآتية.

المطلب الأول: الشرط الأول من شروط لا إله إلا الله[١]: العلم المنافي للجهل، وفيه ثلاث مسائل.

المسألة الأولى :معنى شرط العلم.

العلم بمعنى لا إله إلا الله من خلال فهم معنى النفي والإثبات الذي سبق الكلام عنه، فلا يكفي في كلمة التوحيد مجرد النطق بها، بل لا بد من العلم بها من عدة جهات:

الأول: العلم بمعنى لا إله إلا الله نفياً وإثباتاً المنافي للجهل بذلك.

وقد سبق الكلام عنه في أركان شهادة التوحيد.

الثاني: العلم بلا إله إلا الله بمقتضاها ومدلولها ولوازمها، وعلاقة ذلك بالقلب.

سيأتي الكلام عليه في المسألة الثالثة من هذا المطلب آثار شرط العلم ولوازمه المتعلقة بعمل القلب.

الثالث: العلم بما ينقض كلمة التوحيد، أو يؤثر عليها فيضعف أثرها في القلب.

وهذا سيأتي الكلام عليه في الفصل الرابع[٢].

---

(١) ينظر في شروط لا إله إلا الله: معارج القبول بشرح سلم الوصول (٢/ ٤١٩-٤٢٧)، شروط لا إله إلا الله (ص٤١٨-٤٤٥) بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية، السنة٢٦، عدد١٠٢،١٠١، عام ١٤١٤/١٤١٥، معجم التوحيد (١/ ٢٤-٣٤)، ومن أوسع المصادر في ذلك كتاب شروط لا إله إلا الله تأصيلاً ودراسة، للدكتور: محمد عبد الله مختار، وهو في الأصل رسالة دكتوراه من الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية.

(٢) ينظر: ص

المسألة الثانية: الأدلة على إثبات شرط العلم، وهي كثيرة ومنها.

قال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ..﴾ الآية [محمد: ١٩].

قال السعدي رحمه الله في معنى هذه الآية: «العلم لا بد فيه من إقرار القلب ومعرفته، بمعنى ما طلب منه علمه، وتمامه أن يعمل بمقتضاه.

وهذا العلم الذي أمر الله به -وهو العلم بتوحيد الله- فرض عين على كل إنسان، لا يسقط عن أحد، كائناً من كان، بل كل مضطر إلى ذلك.

والطريق إلى العلم بأنه لا إله إلا هو أمور:

أحدها بل أعظمها: تدبر أسمائه وصفاته، وأفعاله الدالة على كماله وعظمته وجلالته فإنها توجب بذل الجهد في التأله له، والتعبد للرب الكامل الذي له كل حمد ومجد وجلال وجمال.

الثاني: العلم بأنه تعالى المنفرد بالخلق والتدبير، فيعلم بذلك أنه المنفرد بالألوهية.

الثالث: العلم بأنه المنفرد بالنعم الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية، فإن ذلك يوجب تعلق القلب به ومحبته، والتأله له وحده لا شريك له.

الرابع: ما نراه ونسمعه من الثواب لأوليائه القائمين بتوحيده من النصر والنعم العاجلة، ومن عقوبته لأعدائه المشركين به، فإن هذا داع إلى العلم، بأنه تعالى وحده المستحق للعبادة كلها.

الخامس: معرفة أوصاف الأوثان والأنداد التي عبدت مع الله، واتخذت آلهة، وأنها ناقصة من جميع الوجوه، فقيرة بالذات، لا تملك لنفسها ولا لعابديها نفعاً ولا ضراً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، ولا ينصرون من عبدهم، ولا ينفعونهم بمثقال ذرة، من جلب خير أو دفع شر، فإن العلم بذلك يوجب العلم بأنه لا إله إلا هو وبطلان إلهية ما سواه.

السادس: اتفاق كتب الله على ذلك، وتواطؤها عليه.

السابع: أن خواص الخلق، الذين هم أكمل الخليقة أخلاقاً وعقولاً ورأياً وصواباً، وعلما -وهم الرسل والأنبياء والعلماء الربانيون- قد شهدوا لله بذلك.

الثامن: ما أقامه الله من الأدلة الأفقية والنفسية، التي تدل على التوحيد أعظم دلالة، وتنادي عليه بلسان حالها بما أودعها من لطائف صنعته، وبديع حكمته، وغرائب خلقه.

فهذه الطرق التي أكثر الله من دعوة الخلق بها إلى أنه لا إله إلا الله، وأبداها في كتابه وأعادها عند تأمل العبد في بعضها، لا بد أن يكون عنده يقين وعلم بذلك، فكيف إذا اجتمعت وتواطأت واتفقت، وقامت أدلة التوحيد من كل جانب، فهناك يرسخ الإيمان والعلم بذلك في قلب العبد، بحيث يكون كالجبال الرواسي، لا تزلزله الشبه والخيالات، ولا يزداد -على تكرر الباطل والشبه- إلا نمواً وكمالاً.

هذا، وإن نظرت إلى الدليل العظيم، والأمر الكبير -وهو تدبر هذا القرآن العظيم، والتأمل في آياته- فإنه الباب الأعظم إلى العلم بالتوحيد ويحصل به من تفاصيله وجمله ما لا يحصل في غيره»(١).

وقال تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦].

قال البغوي رحمه الله: «وأراد بشهادة الحق قوله لا إله إلا الله كلمة التوحيد، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم»(٢).

وقال تعالى: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ..﴾ الآية [إبراهيم: ٥٢].

قال ابن كثير رحمه الله: «أي: يستدلوا بما فيه(٣) من الحجج والدلالات على أنه لا إله إلا هو»(٤).

وعَنْ عُثْمَانَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: « مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»(٥).

---

(١) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص٧٨٧).

(٢) تفسير البغوي – طيبة (٧/ ٢٢٤).

(٣) أي القرآن العظيم.

(٤) تفسير ابن كثير – ت السلامة (٤/ ٥٢٣).

(٥) أخرجه مسلم (١/ ٤١ ط التركية)ح(٢٦).

قال الدكتور عواد المعتق:«هذه بعض الأدلة من الكتاب والسنة التي توضح شرطية العلم بلا إله إلا الله ولاشك أن العلم لا يكون علماً إلا إذا كان نافعاً ولا يكون نافعاً إلا مع العمل، فمن لم ينتفع بهذه الشهادة بالعمل بما تقتضيه لم يتحقق لديه شرط العلم.

قال البقاعي: " لا إله إلا الله أي انتفى انتفاء عظيماً أن يكون معبوداً بحق غير الملك الأعظم، فإن هذا العلم هو أعظم الذكرى المنجية من أهوال الساعة، وإنما يكون علماً إذا كان نافعاً وإنما يكون نافعاً إذا كان مع الإذعان والعمل بما تقتضيه وإلا فهو جهل صرف"[(١)].

والمراد من هذه الكلمة.. معناها وتحقيقها بالعمل بمقتضاها لا مجرد لفظها فإن المنافقين كانوا يقولونها وهم تحت الكفار في الدرك الأسفل من النار[(٢)].

والكفار – مع جهلهم بما جاء في الكتاب والسنة – يعلمون أن مراد النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الكلمة هو إفراد الله بالتعلق والكفر بما يعبد من دون الله والبراءة منه، فإنه لما قال لهم: "قولوا: لا إله إلا الله"[(٣)]، قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ﴾ [ص: ٥].

، فإذا عرفت أن جهال الكفار يعرفون ذلك، فالعجب ممن يدعي الإسلام وهولا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفرة بل يظن أن ذلك: هو التلفظ بحروفها من غير

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٨/ ٢٣٠).

(٢) كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٤٥].

(٣) وفي سنن الترمذي (٥/ ٣٦٥ ت شاكر) ح(٣٢٣٢) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: مَرِضَ أَبُو طَالِبٍ فَجَاءَتْهُ قُرَيْشٌ، وَجَاءَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وَعِنْدَ أَبِي طَالِبٍ مَجْلِسُ رَجُلٍ، فَقَامَ أَبُو جَهْلٍ كَيْ يَمْنَعَهُ قَالَ: وَشَكَوْهُ إِلَى أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي مَا تُرِيدُ مِنْ قَوْمِكَ؟ قَالَ: «إِنِّي أُرِيدُ مِنْهُمْ كَلِمَةً وَاحِدَةً تَدِينُ لَهُمْ بِهَا العَرَبُ، وَتُؤَدِّي إِلَيْهِمُ العَجَمُ الجِزْيَةَ». قَالَ: كَلِمَةً وَاحِدَةً؟ قَالَ: «كَلِمَةً وَاحِدَةً» قَالَ: " يَا عَمِّ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ " فَقَالُوا: إِلَهًا وَاحِدًا مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي المِلَّةِ الآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ. قَالَ: فَنَزَلَ فِيهِمُ القُرْآنُ: ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ﴾ [ص: ١-٢]، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ﴾ [ص: ٧]. قال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

اعتقاد القلب لشيء من المعاني، والحاذق منهم يظن أن معناها: لا يخلق ولا يرزق إلا الله.
فلا خير في إنسان جهال الكفار أعلم منه بلا اله إلا الله.

وبسبب هذا الجهل ضل من ضل منهم حين قلبوا حقيقة المعنى فأثبتوا الإلهية المنفية لمن نفيت عنه من المخلوقين أرباب القبور والمشاهد والأشجار والأحجار والجن وغير ذلك.

فلهذا تجدهم يقولون لا إله إلا الله وهم يدعون مع الله غيره، وما ذاك إلا بسبب الجهل بمعنى لا إله إلا الله[١].

والحد الأدنى للعلم بشهادة أن لا إله إلا الله العلم بمعناها بصورة إجمالية ويأتي بعد هذا الحد درجات يتفاوت الناس فيها في العلم بهذه الشهادة أعلاها البصيرة التي تكون بنسبة المعلوم فيها إلى القلب كنسبة المرئي إلى البصر[٢].

وبقدر العلم والجهل يحصل التفاضل في الإيمان بها، إذ أن العلم يستلزم العمل فكلما زاد العلم زاد العمل، وبذلك يزداد الإيمان ومن ثم يحصل التفاضل فيه»[٣].

---

(١) ينظر: كشف الشبهات (ص٩ ط الأوقاف السعودية).

(٢) ينظر: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص٨١).

(٣) شروط لا إله إلا الله (ص٤٢١-٤٢٢).

المسألة الثالثة: آثار شرط العلم ولوازمه المتعلقة بعمل القلب.

ولشرط العلم في كلمة التوحيد أثره على عمل القلب، ويتضح ذلك في الآثار الآتية:

١- **خشية الله وتعظيم أمره الذي يوجب للعبد الانكفاف عن المعاصي والاستعداد للقاء من يخشاه**، كما يقول الله تعالى عن العلماء: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟ۗ﴾ [فاطر: ٢٨].

قال ابن كثير رحمه الله: «أي: إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به؛ لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى ،كلما كانت المعرفة به أتم والعلم به أكمل، كانت الخشية له أعظم وأكثر»[١].

وقال السعدي رحمه الله: «فكل من كان بالله أعلم، كان أكثر له خشية، وأوجبت له خشية الله، الانكفاف عن المعاصي، والاستعداد للقاء من يخشاه، وهذا دليل على فضيلة العلم، فإنه داع إلى خشية الله، وأهل خشيته هم أهل كرامته، كما قال تعالى: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾ [البينة: ٨]»[٢].

ومن كان عالماً بمعنى لا إله إلا الله زاد في طاعته وقربه لله، كما قال تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ [الزمر: ٩].

وانظر إلى هذه النماذج القليلة التي تبين هذا المعنى العظيم من خشية الله، كيف ظهر أثرها لما عظم الله في قلوبهم، وكان علمهم به عظيماً:

---

(١) تفسير ابن كثير – ت السلامة (٦/ ٥٤٤).

(٢) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص٦٨٩).

عن أبي بكر الصديق ﷺ أنه كان يمسك لسانه ويقول: "هذا الذي أوردني الموارد"، وقال: "يا ليتني كنت شجرة تعضد ثم تؤكل". وكذلك قال طلحة وأبو الدرداء وأبو ذر ﷺ[١].

وقال عمر ﷺ: "لو نادى منادي من السماء: أيها الناس، إنكم داخلون الجنة كلكم إلا رجلًا واحدًا، لخفت أن أكون أنا هو"[٢].

وقال عبد الله بن عامر بن ربيعة ﷺ: رأيت عمر بن الخطاب أخذ تبنة من الأرض فقال: "يا ليتني هذه التبنة، ليتني لم أكن شيئًا، ليت أمي لم تلدني، ليتني كنت نسيًا منسيًّا"[٣].

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: "كان رأس عمر على فخذي في مرضه الذي مات فيه، فقال لي: ضع رأسي، قال: فوضعته على الأرض، فقال: ويلي وويل أمي إن لم يرحمني ربي"[٤].

وقال المسور بن مخرمة ﷺ: لما طعن عمر قال: "لو أن لي طلاع الأرض[٥] ذهبًا، لافتديت به من عذاب الله قبل أن أراه"[٦].

وبكى أبو هريرة ﷺ في مرضه، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: "أما إني لا أبكي على دنياكم هذه، ولكن أبكي على بُعدِ سفري وقلة زادي، وإني أمسيت في صعود على جنة أو نار، لا أدري إلى أيتهما يؤخذ بي"[٧].

---

(١) ينظر هذه الآثار في: حلية الأولياء (١/ ٣٣، ٢/ ٢٣٦)، إحياء علوم الدين (٣/ ١١١)، مختصر منهاج القاصدين (٣١٣)، البداية والنهاية (١/ ٩٥).

(٢) حلية الأولياء (١/ ٥٣).

(٣) شرح السنة (١٤/ ٣٧٣)، وينظر أيضًا: سير أعلام النبلاء (الخلفاء الراشدون/ ٨٣).

(٤) حلية الأولياء (١/ ٥٢)، شرح السنة (١٤/ ٣٧٣).

(٥) قال الأصمعي: "طلاع الأرض: ملؤها". نقله عنه الجوهري في الصحاح (٣/ ١٢٥٤).

(٦) حلية الأولياء (١/ ٥٢)، شرح السنة (١٤/ ٣٧٣).

(٧) حلية الأولياء (١/ ٣٨٣)، شرح السنة (١٤/ ٣٧٣).

وقال عبد الله بن مسعود ﷺ: "إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه في أصل جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه قال به هكذا فطار"(١).

وقال الحسن أيضًا: "لقد مضى بين أيديكم أقوام لو أن أحدهم أنفق عدد هذا الحصى، لخشي أن لا ينجو من عظم ذلك اليوم"(٢).

ويقول ابن باز رحمه الله: فكلما قوي علم العبد بالله كان ذلك سبباً لكمال تقواه وإخلاصه ووقوفه عند الحدود وحذره من المعاصي.

ولهذا قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾ [فاطر: ٢٨]، فالعلماء بالله وبدينه، هم أخشى الناس لله، وأتقاهم له، وأقومهم بدينه، وعلى رأسهم الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ثم أتباعهم بإحسان.

ولهذا أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن من علامات السعادة أن يفقه العبد في دين الله، فقال عليه الصلاة والسلام، «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» أخرجاه في الصحيحين من حديث معاوية رضي الله عنه، وما ذاك إلا لأن الفقه في الدين يحفز العبد على القيام بأمر الله، وخشيته وأداء فرائضه، والحذر من مساخطه ويدعوه إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، والنصح لله ولعباده»(٣).

٢- العلم التام بالتوحيد وأهميته العظيمة والحرص على تحقيقه وسلامته من شوائب الشرك كبيره وصغيره، ظاهره وخفيه.

وهذه من أعظم الآثار القلبية للعلم بكلمة التوحيد، وجود الحرص الشديد على تعلم التوحيد، وأن يكون القلب مستشعراً لأهميته وعظيم مكانته، حريصاً على تحقيقه وسلامته من شوائب الشرك، وهذا يجعل القلب خائفاً من الشرك حذراً

(١) البخاري (٨/ ٦٨)، والترمذي واللفظ له (٤/ ٦٥٨).

(٢) شرح السنة (١٤/ ٣٧٤).

(٣) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز (٢/ ٣٢٣-٣٢٤).

منه لشدة خطره العظيم على العبد، وهذا يؤدي أن يبذل العبد جهداً كبيراً في تعلم التوحيد وتحقيقه والحرص على سلامته من جميع شوائب الشرك.

٣- **الخوف من الشرك والحذر منه لعظيم خطره في الدنيا والآخرة.**

ولا يحصل ذلك إلا ممن كان عنده علم بمعنى هذه الكلمة العظيمة العلم الذي يثمر في القلب خوفاً شديداً من الشرك كبيره وصغيره ظاهره وخفيه، ولأن من عَلِمَ معنى لا إله إلا الله علماً نافعاً مثمراً لا بد أن يقدر الله في قلبه حق قدره ويعرف عظيم حقه، فيفر من الشرك كبيره وصغيره، ولا شك أن مما أوقع أهل الشرك فيه عدم علمهم بالله مما أدى إلى أنهم لا يقدرونه حق قدره فوقعوا في أعظم ظلم على وجه الأرض حيث وقعوا في الشرك قال تعالى عن الشرك: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، وأعظم سبب لذلك عدم علمهم بالله كما قال الله تعالى عنهم: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [الزمر: ٦٧].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ٧٣ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٧٣-٧٤].

ولأن علم القلب بالله هو الأصل الذي تبنى عليه بقية أمور الدين، وهو العلم النافع الذي يجعل العبد يقدر الله حق قدره فلا يشرك به، وفي هذا المعنى يروي الحسن البصري رحمه الله حديثاً مرسلاً عن النبي صلى الله عليه وسلم: «العلمُ

عِلْمانِ؛ عِلمٌ في القلبِ، فذاك العلمُ النافعُ، وعلمٌ على اللسان، فذاك حُجَّةُ الله على ابنِ آدمَ»[١].

٤- **حرصه العظيم على نشر التوحيد.**

فمن علم معنى لا إله إلا الله حقاً وصدقاً عرف قدر التوحيد في قلبه وشعر بمكانته العظيمة عند الله، فتجده من أحرص الناس على نشره بين العالمين، وبيانه للناس، والصبر على ذلك، مع تحذيره الشديد المستمر من خطر الشرك وعظيم جرمه.

---

(١) أورده ابن المبارك في الزهد والرقائق - ابن المبارك - ت الأعظمي (ص٤٠٧)، ومصنف ابن أبي شيبة (١٩/ ٢٧٠ ت الشثري)، وجامع بيان العلم وفضله (١/ ٦٦٢)، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (١/ ٥١)ح(٦٨)، والأصح أنه موقوف على الحسن من كلامه، يقول ابن تيمية في درء تعارض العقل والنقل (٧/ ٤٥٣): «وقد روي ذلك عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلاً، وقد قيل: إنه من كلام الحسن، وهو أقرب».

المطلب الثاني: الشرط الثاني من شروط لا إله إلا الله: الإخلاص المنافي للشرك، وفيه ثلاث مسائل.

المسألة الأولى :معنى شرط الإخلاص.

وقد فسر النبي صلى الله عليه وسلم الإخلاص في هذه الكلمة بقوله لأبي هريرة رضي الله عنه: «شَفَاعَتِي لِمَنْ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُخْلِصًا، يُصَدِّقُ قَلْبُهُ لِسَانَهُ، وَلِسَانُهُ قَلْبَهُ»(١).

ومعنى شرط الإخلاص في هذه الكلمة: « تصفية العمل من جميع شوائب الشرك بأن لا يقصد بقولها طمعًا من مطامع الدنيا ولا رياء ولا سمعة»(٢).

«فمن لم يخلص العبادة لله تعالى بأن أراد بها الرياء أو السمعة أو الدنيا أو نحوها لم يحقق الشهادة لانتفاء شرط الإخلاص.

قال شيخ الإسلام ابن تيميه: "وأصل الإسلام أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فمن طلب بعبادته الرياء والسمعة فلم يحقق شهادة أن لا إله إلا الله ..."(٣)؛ لأنه لم يخلص في مقتضاها»(٤).

أي يخلص في قولها وتحقيقها قاصداً لها من قلبه، مخلصاً لله في قولها والعمل بمقتضاها؛ لأن لا إله إلا الله هي أعلى شعب الإيمان وأفضلها، كما في الحديث «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ – أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ – شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، ..»(٥).

---

(١) أخرجه أحمد (١٦/ ٤١٧ ط الرسالة)ح(١٠٧١٣)، والحاكم(١/ ١٤١)ح(٢٣٣) وصححه ووافقه الذهبي، وقال في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١٠/ ٤٠٤)ح(١٨٦٨٤):«رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح غير معاوية بن معتب، وهو ثقة»، وقال محقق مسند أحمد (١٦/ ٤١٧ ط الرسالة) ح(١٠٧١٣): «حديث صحيح، وهذا إسناد منقطع».

(٢) معجم التوحيد (١/ ٣٤).

(٣) مجموع الفتاوى (١١/ ٦١٧).

(٤) شروط لا إله إلا الله (ص٤٢٨).

(٥) أخرجه مسلم (١/ ٦٣)ح(٣٥).

وفي رواية قَالَ ﷺ:" الْإِيمَانُ أَرْبَعَةٌ وَسِتُّونَ بَابًا، أَرْفَعُهَا وَأَعْلَاهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ.."[١].

فهي أعلى الإيمان، والإيمان قول وعمل[٢]، فلا بد من القول والعمل بالقلب واللسان في هذه الكلمة العظيمة، والإخلاص في ذلك لله تعالى.

(١) وهي في مسند أحمد (١٤/ ٤٩٦)ح(٨٩٢٦) وقال المحقق:" إسناده صحيح على شرط مسلم".

(٢) ينظر: شروط لا إله إلا الله(٢/٦٥٠).

المسألة الثانية: الأدلة على إثبات شرط الإخلاص كثيرة، منها.

قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

وقال تعالى: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: ٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١٤٥-١٤٦].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لاَ يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الحَدِيثِ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ»(١).

ومن حديث عتبان بن مالك رضي الله عنه، قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "..فَإِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ" الحديث(٢).

(١) أخرجه البخاري (١/ ٣١)ح (٩٩).

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٩٣) ح(٤٢٥)، ومسلم (٢/ ١٢٦ ط التركية)ح(٣٣).

المسألة الثالثة: آثار شرط الإخلاص ولوازمه المتعلقة بعمل القلب.

ولشرط الإخلاص في كلمة التوحيد آثار ولوازم متعلقة بالقلب منها:

١- **حرصه العظيم على تحقيق التوحيد وصفائه ونقائه من شوائب الشرك.**

وهذا من أوضح آثار الإخلاص لله في تحقيق كلمة التوحيد، فمن قالها خالصاً من قلبه فتح الله له أبواب التوفيق، ومن أعظمها حرصه على تحقيق توحيده وسلامته من شوائب الشرك، خوفاً على عمله من البطلان، كما سيأتي في الفقرة الآتية.

٢- **الخوف من الشرك والحذر من الوقوع في صغيره وكبيره وجليه وخفيه.**

وكلما زاد إخلاص العبد لربه في تحقيق كلمة التوحيد، زاد في قلبه خوفه وحذره من الشرك بكل أنواعه؛ خوفاً على عمله من البطلان بسبب الشرك، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

٣- **الخوف من عدم قبول العمل، الذي يجعله حريصاً أشد الحرص على الإخلاص والمتابعة للنبي ﷺ لأنه لا يقبل العمل إلا بالإخلاص لله تعالى فيه والمتابعة**، قَالَ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا، وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ»(١).

وقال ﷺ عن المتابعة له: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»(٢).

وفي الرواية الأخرى في صحيح مسلم عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»(٣).

---

(١) أخرجه النسائي (٦/ ٢٥) ح (٣١٤٠)، وجوَّد إسناده ابن حجر في الفتح (٦/ ٢٨)، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ١١٨) ح (٥٢)، وقال في صحيح سنن النسائي (٢/ ٣٨٣-٣٨٤) ح (٣١٤٠): "حسن صحيح".

(٢) أخرجه مسلم (٣/ ١٣٤٣)ح(١٧١٨).

(٣) أخرجه مسلم (٣/ ١٣٤٣)ح(١٧١٨).

قال الفضيل بن عياض رحمه الله في معنى قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]: "هو أخلصه وأصوبه"، قالوا: يا أبا علي، ما أخلصه وأصوبه؟ فقال: "إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل، حتى يكون خالصًا صوابًا، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة"، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠][1].

٤- **الحذر الشديد مما يفسد الإخلاص من الرياء والسمعة، فإنهما من أعظم ما يفسد ذلك في القلب، ويجلب على العبد الخسارة العظيمة في الآخرة**، ودونك بعض الأدلة التي تبين ذلك:

أ- عن أبي هريرة رضي الله عنه: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ»[2].

---

(١) ينظر: حلية الأولياء (٨/ ٩٥)، مدارج السالكين (٢/ ٨٨-٨٩) مع بعض التصرف.

(٢) أخرجه مسلم (٣/ ١٥١٣) ح (١٩٠٥).

والحديث من أعظم الزواجر عن الرياء والسمعة التي هي من نواقض الإخلاص.

ب- وقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللَّهُ بِهِ»(١).

وذكر الخطابي رحمة الله في معني الحديث: أن من عمل عملًا على غير إخلاص، وإنما يريد أن يراه الناس ويسمعوه، جزاه الله على ذلك بأن يشهره ويفضحه، ويظهر ما كان يبطنه(٢).

وأضاف ابن حجر إلى ما ذكره الخطابي، فقال: "وقيل: من قصد بعمله الجاه والمنزلة عند الناس، ولم يرد به وجه الله، فإن الله يجعله حديثًا عند الناس الذين أراد نيل المنزلة عندهم، ولا ثواب له في الآخرة ومعنى «يرائي»: يطلعهم على أنه فعل ذلك لهم لا لوجهه"(٣).

ت- وعَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ؟ قَالَ: «الرِّيَاءُ؛ إِنَّ اللهَ يَقُولُ يَوْمَ تُجَازَى الْعِبَادُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ بِأَعْمَالِكُمْ فِي الدُّنْيَا، فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً؟!»(٤).

ث- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»(٥).

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له عن جندب (٨/ ١٠٤) ﷺ ح (٦٤٩٩)، ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما (٤/ ٢٢٨٩) ح (٢٩٨٦).

(٢) ينظر: أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري للخطابي(٣/٢٢٥٧).

(٣) فتح الباري (١١/ ٣٣٦).

(٤) أخرجه أحمد (٣٩/ ٤٣-٤٤) ح (٢٣٦٣٦)، وجوّد إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٣٤) ح (٥٠)، وحسن إسناده ابن حجر في بلوغ المرام من أدلة الأحكام ت الفحل (ص٥٤٤)ح(١٤٨٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٠٢) ح (٣٧٥): "رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح"، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ١٢٠) ح (٣٢)، وقال شعيب الأرناؤوط في تحقيقه للمسند (٣٩/ ٤٤) ح (٢٣٦٣٦): "إسناده حسن".

(٥) أخرجه مسلم(٤/ ٢٢٨٩) ح (٢٩٨٥).

والفرق بينها وبين الرياء: أن السمعة تتعلق بحاسة السمع[١]، والرياء يتعلق بحاسة البصر[٢]. وكلاهما بمعنى متقارب في نتيجة الحكم عليهما كما سيأتي.

حكم السمعة: السمعة حكمها كحكم الرياء، فكل ما ورد في الرياء من الأدلة يرد فيها، وقد جاء في السنة ما يبين عظيم خطرها، ومن ذلك:

أ- قول النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللَّهُ بِهِ».

ب- وعن جندب ﷺ: سَمِعْتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللَّهُ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ» الحديث[٣].

ت- وكان عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما يُحَدِّثُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «مَنْ سَمَّعَ النَّاسَ بِعَمَلِهِ سَمَّعَ اللهُ بِهِ سَامِعَ خَلْقِهِ، وَصَغَّرَهُ وَحَقَّرَهُ»، قَالَ: فَذَرَفَتْ عَيْنَا عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ[٤].

ث- وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ سَمَّعَ النَّاسَ بِعَمَلِهِ سَمَّعَ اللهُ بِهِ سَامِعَ خَلْقِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَحَقَّرَهُ وَصَغَّرَهُ»[٥].

---

(١) أي: الأعمال التي تسمع من تلاوة أو ذكر أو دعاء ونحو ذلك؛ لأجل سماع مدح الناس.

(٢) ينظر: فتح الباري (١١/ ٣٣٦).

(٣) أخرجه البخاري(٩/ ٦٤) ح (٧١٥٢).

(٤) أخرجه أحمد (١١/ ٤٣٠) ح (٦٨٣٩)، وقال في مجمع الزوائد(١٠/ ٢٢٢) ح (١٧٦٦٠): "رجال أحمد، وأحد أسانيد الطبراني في الكبير رجال الصحيح"، وقال محقق المسند (١١/ ٤٣٠) ح(٦٨٣٩): "إسناده صحيح على شرط الشيخين".

(٥) أخرجه أحمد (١١/ ٥٦٦) ح (٦٩٨٦)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ١١٧) ح (٢٥)، وقال محقق المسند (١١/ ٥٦٦) ح (٦٩٨٦): "إسناده صحيح على شرط الشيخين".

٥- **سلامة القلب من كثرة الوساوس والرياء**، قال أبو سليمان الداراني رحمه الله: "إذا أخلص العبد انقطعت عنه كثرة الوساوس والرياء"(١).

٦- **أن يكفيه الله ما بينه وبين الناس ويقيه من شرهم، ويسلم من مقت الله له فيشينه عند خلقه**، وكتب عمر إلى أبي موسى رضي الله تعالى عنهما: "من خلصت نيته كفاه الله تعالى ما بينه وبين الناس، ومن تزين للناس بغير ما يعلم الله من قلبه شانه الله ﷻ"(٢).

٧- **"ومن ثمرات الإخلاص: أنه يحرر العبد من عبودية غير الله، فيكون عمله كله لله فينصرف عن كل مراد لنفسه أو للشيطان ويصبح همُّه إرضاء ربه.**

قال ابن تيمية رحمه الله: "وإذا كان العبد مخلصًا لله اجتباه ربه فأحيا قلبه واجتذبه إليه فينصرف عنه ما يضاد ذلك من السوء والفحشاء، ويخاف من ضد ذلك، بخلاف القلب الذي لم يخلص لله فإن فيه طلبًا وإرادة وحبًا مطلقًا فيهوى ما يسنح له ويتشبث بما يهواه، كالغصن أي نسيم مر بعطفه أماله، فتارة تجذبه الصور المحرمة وغير المحرمة فيبقى أسيرًا عبدًا لمن لو اتخذه عبدًا له كان ذلك نقصًا وعيبًا وذمًا.

وتارة يجذبه الشرف والرئاسة فترضيه الكلمة وتغضبه الكلمة، ويستعبده من يثني عليه ولو بالباطل، ويعادي من يذمه ولو بالحق.

وتارة يستعبده الدرهم والدينار وأمثال ذلك من الأمور التي تستعبد القلوب والقلوب تهواها، فيتخذ إلهه هواه، ويتبع هواه بغير هدى من الله.

ومن لم يكن مخلصًا لله عبدًا له قد صار قلبه مستعبدًا لربه وحده لا شريك له بحيث يكون هو أحب مما سواه، ويكون ذليلًا خاضعًا له وإلا استعبدته الكائنات، واستولت على قلبه الشياطين، وكان من الغاوين إخوان الشياطين، وصار فيه من السوء والفحشاء

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٩٢)، البداية والنهاية (١٤/ ١٥٠).

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء - ط السعادة (١/ ٥٠).

ما لا يعلمه إلا الله، وهذا أمر ضروري لا حيلة فيه"[1][2].

٨- **يتذوق حلاوة العبودية لله تعالى وحده لا شريك له، فإذا اخلص في توحيده لربه صفا قلبه ورق وتلذذ بحلاوة العبادة لله، ونفر قلبه من عبودية غيره**، يقول شيخ الإسلام رحمه الله: «فإن المخلص لله ذاق من حلاوة عبوديته لله ما يمنعه عن عبوديته لغيره، ومن حلاوة محبته لله ما يمنعه عن محبة غيره، إذ ليس عند القلب لا أحلى، ولا ألذ، ولا أطيب، ولا ألين، ولا أنعم من حلاوة الإيمان المتضمن عبوديته لله ومحبته له، وإخلاصه الدين له»[3].

---

(١) العبودية (ص١٢٤-١٢٥).

(٢)معجم التوحيد (١/ ٧١-٧٢).

(٣) مجموع الفتاوى (١٠/ ٢١٥).

المطلب الثالث: الشرط الثالث من شروط لا إله إلا الله: اليقين المنافي للشك، وفيه ثلاث مسائل.

المسألة الأولى :معنى شرط اليقين.

عرفه شيخ الإسلام رحمه الله بقوله: "أما اليقين فهو: طمأنينة القلب، واستقرار العلم فيه"(١).

وقال ابن رجب رحمه الله: «اليقين: هو العلم الحاصل للقلب بعد النظر والاستدلال، فيوجب قوة التصديق حتى ينفي الريب ويوجب طمأنينة القلب بالإيمان وسكونه وارتياحه به، وقد جعله ابن مسعود الإيمان كله، وكذا قال الشعبي»(٢).

وقال حافظ الحكمي رحمه الله في معنى شرط اليقين: «بأن يكون قائلها(٣) مستيقناً بمدلول هذه الكلمة يقيناً جازماً، فإن الإيمان لا يغني فيه إلا علم اليقين لا علم الظن»(٤).

وقال بن جبرين رحمه الله:" اليقين وضده الشك والتوقف أو مجرد الظن والريب، والمعنى أن من أتى بالشهادتين، فلا بد أن يوقن بقلبه ويعتقد صحة ما يقوله، من أحقية إلهية الله تعالى، وصحة نبوة محمد ﷺ، وبطلان إلهية غير الله بأي نوع من التأله، وبطلان كل من ادعى النبوة بعد محمد ﷺ، فإن شك في صحة معناها، أو توقف في بطلان عبادة غير الله، لم تنفعه هاتان الشهادتان"(٥).

المسألة الثانية: الأدلة على إثبات شرط اليقين.

قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥]. "فاشترط في

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٢٩).

(٢) فتح الباري لابن رجب (١/ ١٥).

(٣) أي: لا إله إلا الله.

(٤) معارج القبول بشرح سلم الوصول (٢/ ٤١٩).

(٥) الشهادتان معناهما وما تستلزمه كل منهما(٤٨).

صدق إيمانهم بالله ورسوله كونهم لم يرتابوا أي: لم يشكوا، فأما المرتاب فهو من المنافقين، والعياذ بالله، الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ إِنَّمَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱرۡتَابَتۡ قُلُوبُهُمۡ فَهُمۡ فِي رَيۡبِهِمۡ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ [التوبة: ٤٥]"(١).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله ﷺ :"فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ، فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ"(٢).

«فاشترط في دخول قائلها الجنة أن يكون مستيقناً بها قلبه غير شاك فيها، وإذا انتفى الشرط انتفى المشروط»(٣).

وقال ﷺ: "أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، لَا يَلْقَى اللهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِمَا إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ"(٤).

وقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، لَا يَلْقَى اللهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فَيُحْجَبَ عَنِ الْجَنَّةِ"(٥).

وفي شروط لا إله إلا الله:«فهذه الأحاديث - كما نرى - تدل صراحة على اشتراط اليقين بالشهادة بل سماه بعض الأئمة أصل الإيمان كما قال ابن حجر في شرحه لقول ابن مسعود: "اليقين الإيمان كله"(٦).

---

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول (٢/ ٤١٩).

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٦٠) ح(٣١).

(٣) معارج القبول بشرح سلم الوصول (٢/ ٤٢٠).

(٤) أخرجه مسلم (١/ ٤١ ط التركية)ح(٢٧).

(٥) أخرجه مسلم (١/ ٤٢ ط التركية)ح(٢٧).

(٦) أخرجه البخاري (١/ ١١).

"إن مراد ابن مسعود أن اليقين هو أصل الإيمان، فإذا أيقن القلب -كما ينبغي- انبعثت الجوارح كلها للقاء الله بالأعمال الصالحات. حتى قال سفيان الثوري: "لو أن اليقين وقع في القلب -كما ينبغي- لطار اشتياقاً إلى الجنة وهرباً من النار" (١).

إذا عرفنا ما ذكر اتضح أهمية اليقين بالشهادة وأنه فضلاً عن كونه شرطاً لتحققها وفارقاً بين المؤمن والمنافق وشرطاً للمغفرة ودخول الجنة، أنه أصل الإيمان كما قال ابن حجر.

أما القول بأن التلفظ بالشهادتين بدون استيقان القلب كاف في الإيمان فهو مذهب غلاة المرجئة، والآيات والأحاديث الآنف ذكرها كلها تدل على فساده، بل هو مذهب معلوم الفساد من الشريعة لمن وقف عليها، ولأنه يلزم منه تسويق النفاق والحكم للمنافق بالإيمان الصحيح وهو باطل قطعاً(٢)، والله أعلم»(٣).

المسألة الثالثة: آثار شرط اليقين ولوازمه المتعلقة بعمل القلب، ومنها.

١- **نفور القلب من عبادة غير الله،** فإذا شهد العبد بكلمة التوحيد متقيناً من قلبه بمعناها ومقتضاها، نفر قلبه من صرف العبادة لغير الله، لحصول اليقين بأن ذلك من عدم تقدير الله حق قدره، فمن قدر الله حق قدره يقيناً مقت قلبه الشرك كبيره وصغيره وظاهره وخفيه، وامتلأ قلبه بتعظيم الله ونفر من عبادة غيره.

٢- **سلامة القلب من الشك والريب في قضية الإيمان بالله،** الذي يترتب عليه اليقين الجازم الذي لا يعتريه شك ولا ارتياب في قضايا الإيمان بالله تعالى وسائر أركان الإيمان، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ﴾ [الحجرات: ١٥]، وعلى هذا يقوم أساس الدين.

---

(١) فتح الباري لابن حجر (١/ ٤٨ ط السلفية).

(٢) ينظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (١/ ٢٠٤).

(٣) شروط لا إله إلا الله (ص٤٢٥-٤٢٦).

٣- **أن يطير القلب شوقاً وفرحاً إلى الجنة، أو خوفاً من النار**، وعن سفيان الثوري رحمه الله قال: "لو أن اليقين، استقر في القلب كما ينبغي لطار فرحًا وحزنًا وشوقًا إلى الجنة، أو خوفًا من النار"(١).

وقال الحسن البصري رحمه الله: «باليقين طلبت الجنة، وباليقين هرب من النار، وباليقين أديت الفرائض، وباليقين صبر على الحق»(٢).

٤- **ومن آثار اليقين على القلب كما قال ابن القيم رحمه الله:** "فإذا باشر القلب اليقين امتلأ نورًا وانتفى عنه كل ريب وشك، وعوفي من أمراضه القاتلة، وامتلأ شكرًا لله وذكرًا له ومحبة وخوفًا"(٣).

٥- **الرضا والتسليم بما قدر الله، ومما قاله ابن القيم في ذلك:** "ولا تثبت قدم الرضا إلا على درجة اليقين، قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١١]، قال ابن مسعود رضي الله عنه: (هو العبد تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من الله، فيرضى ويسلم)(٤)، فلهذا لم يحصل له هداية القلب والرضا والتسليم إلا بيقينه"(٥).

---

(١) حلية الأولياء (٧/ ١٧).

(٢) الزهد لأحمد بن حنبل (ص٢٢٨).

(٣) مفتاح دار السعادة (١/ ١٥٤).

(٤) نسبه ابن جرير إلى علقمة، ينظر: تفسير الطبري (٢٣/ ١٢).

(٥) مفتاح دار السعادة (١/ ١٥٥).

المطلب الرابع: الشرط الرابع من شروط لا إله إلا الله: القبول المنافي للرد، وفيه ثلاث مسائل.

المسألة الأولى :معنى شرط القبول.

«القبول لما اقتضته هذه الكلمة بقلبه ولسانه، وقد قص الله عز وجل علينا من أنباء ما قد سبق من إنجاء من قبلها وانتقامه ممن ردها وأباها»(١) وسيأتي بيان ذلك في الأدلة.

"وذلك أن يقبل ما دلت عليه هذه الكلمة بقلبه ولسانه ويرضى بذلك؛ ولهذا كان المشركون يعرفون معنى لا إله إلا الله ولكنهم لم يقبلوها فذمهم الله تعالى"(٢)، كما سيأتي بيان ذلك في الأدلة.

المسألة الثانية: الأدلة على إثبات شرط القبول.

قال تعالى عن المشركين ذاماً لهم حين لم يقبلوا هذه الكلمة: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۝٣٥ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [الصافات: ٣٥-٣٦].

وقال تعالى: ﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ۝٣ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ۝٦ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾ [ص: ١-٧].

وقال تعالى في بيان إنجاء من قبلها وانتقامه ممن ردها وأباها: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ١٠٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

---

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول (٢/ ٤٢٠).

(٢) العروة الوثقى في ضوء الكتاب والسنة (ص٣٥).

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ۝٢٣ ۞ قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ۝٢٤ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [الزخرف: ٢٣-٢٥].

وقال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ ۝٨٩ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [النمل: ٨٩-٩٠].

عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ، قَبِلَتِ الْمَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ، لَا تُمْسِكُ مَاءً، وَلَا تُنْبِتُ كَلأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ»(١).

«والشاهد: قوله " ... ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به ".

ومن هديه صلى الله عليه وسلم: شهادة أن لا إله إلا الله (معناها ومقتضاها) والحديث ظاهر في عدم انتفاع من لم يقبل ذلك الهدى. وعليه فلا ينتفع قائل الشهادة إذا لم يقبل معناها ومقتضاها.

وقوله صلى الله عليه وسلم " مَنْ قَبِلَ مِنِّي الْكَلِمَةَ الَّتِي عَرَضْتُ عَلَى عَمِّي، فَرَدَّهَا عَلَيَّ، فَهِيَ لَهُ نَجَاةٌ " (٢).

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٢٧)ح(٧٩)، ومسلم (٧/ ٦٣ ط التركية)ح(٢٢٨٢).

(٢) أخرجه في المسند(١/ ٢٠١ ط الرسالة)ح(٢٠)، ومسند أبي يعلى (١/ ٢٠ ت حسين أسد)ح(٩)، وقال محقق مسند أحمد (١/ ٢٠٢ ط الرسالة): «المرفوع منه صحيح بشواهده»، وقال أيضاً (١/ ٢٠٤ ط الرسالة)ح(٢٤): «حديث صحيح بشواهده».

والشاهد: قوله "من قبل مني الكلمة ... " حيث اشترط القبول للشهادة حتى ينجو صاحبها. كل ذلك دليل على اشتراط القبول للشهادة.

وبذلك يتضح أن القبول للا إله إلا الله ولما اقتضته يتحقق بالقلب، وذلك بانشراحه لهذه الكلمة ولما اقتضته من أوامر ونواهي، وباللسان وسائر الجوارح، فلا يتكلم أو يعمل عملاً فيه رد لهذه الكلمة أو شيئاً من مقتضياتها. والله أعلم»[١].

المسألة الثالثة: آثار شرط القبول ولوازمه المتعلقة بعمل القلب، ومنها.

١- القبول في القلب لكل ما جاء به الكتاب والسنة، وعدم رد أي شيء من ذلك، بل قبوله بتسليم واستسلام تام، ولا يقدم قول أي أحد كائناً من كان على قول الله تعالى وقول رسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١].
وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: ١].

٢- عند الاختلاف والتنازع الرد إلى الكتاب والسنة، والأخذ بهما وقبولهما بلا ممانعة ولا مدافعة ولا معارضة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

٣- السلامة من مرض النفاق؛ لأن من علامة مرض القلب بذلك عدم قبول أمر الله أو أمر رسوله والصدود عنهما، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا﴾ [النساء: ٦١].

---

(١) شروط لا إله إلا الله (ص٤٤٥).

المطلب الخامس: من شروط لا إله إلا الله: الانقياد المنافي للترك، وفيه ثلاث مسائل.

المسألة الأولى :معنى شرط الانقياد.

«والمراد هنا: الانقياد التام للا إله إلا الله ولما اقتضته ظاهراً وباطناً انقياداً منافياً للترك»(١).

«فينقاد لما دلت عليه، ويعبد الله وحده، ويعمل بشريعته، ويؤمن بها ويعتقد أنها الحق»(٢).

«ويحصل الانقياد بالعمل بما فرضه الله وترك ما حرمه والتزام ذلك. لأن الإسلام حقيقة: أن يسلم العبد بقلبه وجوارحه لله، وينقاد له بالتوحيد والطاعة»(٣).

وقال ابن جبرين رحمه الله:" الانقياد: هو الاستسلام، والإذعان، وعدم التعقيب لشيء من أحكام الله تعالى"(٤).

والانقياد يكون بالقلب الذي يؤدي حتماً إلى انقياد الجوارح للتلازم بين القلب والجوارح، كما في الحديث: «أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ»(٥).

---

(١) شروط لا إله إلا الله (ص٤٣٩).

(٢) عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة (١/ ٣٣).

(٣) شروط لا إله إلا الله (ص٤٣٩).

(٤) الشهادتان معناهما وما تستلزمه كل منهما(٤٩).

(٥) أخرجه البخاري (١/ ٢٠) ح (٥٢)، ومسلم (٣/ ١٢١٩) ح (١٥٩٩).

المسألة الثانية: الأدلة على إثبات شرط الانقياد.

قال تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [الزمر: ٥٤].

وقال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ﴾ [النساء: ١٢٥].

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ ﴾ [لقمان: ٢٢].

«والآيات – كما نرى – تدل على وجوب الإسلام لله تعالى.

والمراد هو: الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد لما جاء به الرسول صلى الله عيه وسلم عن ربه سبحانه وتعالى بالطاعة، وذلك بالعمل بما فرضه الله وترك ما حرمه والتزام ذلك. ولا ينتفع قائل لا اله إلا الله بها إلا بهذا الانقياد»[(١)].

«وكما أن الاستسلام لله واجب كذلك الاستسلام لرسوله صلى الله عليه وسلم واجب، فلا يسمى الإنسان مؤمناً إلا به ولذا أقسم الحق بنفسه مؤكدا هذا الواجب. فقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾[النساء: ٦٥]»[(٢)].

قال ابن كثير رحمه الله: «يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة: أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع الأمور، فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطناً وظاهراً؛ ولهذا قال: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾ أي: إذا حكموك يطيعونك في بواطنهم فلا يجدون في أنفسهم حرجاً مما حكمت به،

(١) شروط لا إله إلا الله (ص٤٤٠).

(٢) شروط لا إله إلا الله (ص٤٤٠).

وينقادون له في الظاهر والباطن فيسلمون لذلك تسليماً كلياً من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة»[١].

وقال ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ»[٢]، وهذا يدل على تمام الانقياد وغايته[٣].

المسألة الثالثة: آثار شرط الانقياد ولوازمه المتعلقة بعمل القلب.

١- **الاستسلام التام في داخل القلب، والانقياد الكامل بدون أدنى معارضة أو ممانعة لأمر الله ﷻ وأمر رسوله ﷺ**، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾[النساء: ٦٥].

قال ابن القيم رحمه الله: «فأقسم سبحانه بنفسه أنَّا لا نؤمن حتى نُحكِّم رسوله في جميع ما شجر بيننا وتتسع صدورنا بحكمه، فلا يبقى فيها حرجٌ، ونُسلِّم لحكمه تسليمًا؛ فلا نعارضه بعقلٍ ولا رأيٍ ولا هوًى ولا غيره. فقد أقسم الربُّ سبحانه بنفسه على نفي الإيمان عن هؤلاء الذين يُقدِّمون العقل على ما جاء به الرَّسول، وقد شهدوا هم على أنفسهم بأنهم غير مؤمنين بمعناه، وإن آمنوا بلفظه»[٤].

---

(١) تفسير ابن كثير – ت السلامة (٢/ ٣٤٩).

(٢) السنة لابن أبي عاصم (١/ ١٢)ح(١٥)، والخطيب في تاريخ بغداد ت بشار (٦/ ٢٠)، وقال ابن حجر في فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٢٨٩ ط السلفية): «ورجاله ثقات »، وقال النووي في الأربعين النووية (ص١١٣): «حديث حسن صحيح، رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح».

(٣) معارج القبول بشرح سلم الوصول (٢/ ٤٢٢).

(٤) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة – ط عطاءات العلم (١/ ٤٩٨).

٢- **من آثار الانقياد في القلب الرضا التام بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولاً، فيثمر له ذلك ذوق طعم الإيمان ولذته**، قال ﷺ:«ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا»(١).

٣- **الحذر من الشرك بكل أنواعه والخوف منه.**

٤- **من أعظم الدلائل على شرط الانقياد تعظيم أمر الله وشرعه في القلب، وهذا دليل على التقوى في قلب العبد**، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

٥- **من أعظم ثمرات الانقياد لهذه الكلمة الحرص على القيام بحقوقها ولوازمها ومخالفة الهوى في ذلك**،«فمن قالها وعرف معناها ولم ينقد للإتيان بحقوقها ولوازمها من عبادة الله والعمل بشرائع الإسلام، ولم يعمل إلا ما يوافق هواه أو ما فيه تحصيل دنياه لم يستفد من هذه الكلمة شيئاً»(٢).

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٦٢)ح(٣٤).

(٢) تسهيل العقيدة الإسلامية (ص٦٢ ط ٢).

المطلب السادس: من شروط لا إله إلا الله: الصدق المنافي للكذب، وفيه ثلاث مسائل.

المسألة الأولى :معنى شرط الصدق.

قال حافظ الحكمي رحمه الله في معنى شرط الصدق في الشهادة: «وهو أن يقولها صدقاً من قلبه يواطئ قلبه لسانه..فلا ينفعه مجرد اللفظ بدون مواطأة القلب»[١].

أي: « يقولها وهو صادق في ذلك صدقاً من قلبه يطابق قلبه لسانه ولسانه قلبه؛ فإن قالها باللسان فقط وقلبه لم يؤمن بمعناها فيكون من جملة المنافقين»[٢].

فأما من قال لا إله إلا الله بلسانه، ولم يصدق قلبه ما ينطق به لسانه، وانكر قلبه مدلولها، فإنها لا تنجيه[٣]، ولا تنفعه، لفقد شرط الصدق.

المسألة الثانية: الأدلة على إثبات شرط الصدق.

وقال تعالى في شأن المنافقين الذين لم يصدقوا في قول لا إله إلا الله: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [المنافقون: ١].

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ٩ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ﴾ [البقرة: ٨-١٠].

وقال تعالى في وصف المنافقين: ﴿يَقُولُونَ بِأَلۡسِنَتِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ ﴾ [الفتح: ١١].

وقال تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ ﴾ [آل عمران: ١٦٧].

ووجه الاستشهاد على شرط الصدق أنه ﷻ وصف المنافقين بأنهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم فدل ذلك على أن المؤمن عكس ذلك، فهو الذي يصدق قلبه لسانه[٤].

---

(١) معارج القبول (٢/ ٤٢٢).

(٢) العروة الوثقى في ضوء الكتاب والسنة (ص٣٦-٣٧).

(٣) ينظر: الشهادتان معناهما وما تستلزمه كل منهما(٥٠).

(٤) ينظر: شروط شهادة أن لا إله إلا الله(٢/٥٩٥).

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣].

وعَنْ أَنَسٍ، عَنْ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ صَادِقًا مِنْ قَلْبِهِ، دَخَلَ الْجَنَّةَ"(١).

«فاشترط في إنجاء من قال هذه الكلمة من النار أن يقولها صدقاً من قلبه، فلا ينفعه مجرد اللفظ بدون مواطأة القلب»(٢).

المسألة الثالثة: آثار شرط الصدق ولوازمه المتعلقة بعمل القلب.

١- **طهارة القلب من التعلق بغير الله**، فإن هذه الكلمة إذا صدق قائلها طهر قلبه من التعلق بغير الله، ومتى بقي في القلب تعلق وأثر سوى الله فمن قلة الصدق في قولها(٣).

٢- **من آثار الصدق في هذه الكلمة العظيم على القلب**،«من صَدَق في قوله: لا إله إلا الله، لم يحبّ سواه، ولم يرج إلا إياه، ولم يخش أحدًا إلا الله، ولم يتوكل إلا عَلَى الله، ولم يبق له بقية من آثار نفسه وهواه، ومع هذا فلا تظنوا أن المراد أن المحب مطالب بالعصمة(٤)، وإنَّما هو مطالب كلما زَلَّ أن يتلافى تلك الوصمة(٥)» (٦).

٣- **«من صدق في توحيده خلا قلبه من العبودية لغير الله»**(٧).

---

(١) أخرجه في المسندط الرسالة (٣٦/ ٣٢٩) (٢٢٠٠٣)، قال محقق المسند (٣٦/ ٣٢٩): "إسناده صحيح على شرط الشيخين"، وشعب الإيمان (١/ ٩٧) ح(٧)، ومسند أبي يعلى الموصلي (٦/ ١٠) ح(٣٢٢٨)، وقال محققه: إسناده صحيح.

(٢) معارج القبول بشرح سلم الوصول (٢/ ٤٢٢).

(٣) ينظر: كلمة الإخلاص وتحقيق معناها - ضمن رسائل ابن رجب (٣/ ٦٩).

(٤) المراد أنه ليس معصوماً من الذنب.

(٥) أي عليه أن يبادر بالتوبة إلى الله من ذنوبه.

(٦) كلمة الإخلاص وتحقيق معناها - ضمن رسائل ابن رجب (٣/ ٦٩).

(٧) شرح كلمة الإخلاص لابن رجب (ص١٣٦) للبراك.

لكن هذا لا يتعارض مع وجود المحبوبات الطبيعية في القلب" لكن لا نقول: إنه يخلو قلبه من غير الله مطلقاً، فالقلب فيه تعلقات طبيعية، ومحبة طبيعية، وخوف طبيعي، وهكذا، فالإنسان لا يخرج من طبيعته الإنسانية، لكن من شهد أن «لا إله إلا الله» صدقاً من قلبه، أو مستيقناً بها، فإن قلبه حينئذ يخلو من العبودية لغير الله"(١).

«فالرسل وأتباعهم كانت تعرض لهم العوارض الطبيعية، وهم أكمل الخلق حباً لله، وتعظيماً لله، وعبودية لله فهذا إبراهيم عليه السلام لما دخل عليه ضيفه خاف منهم، فقال: ﴿قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ۝٥٢ قَالُواْ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ [الحجر: ٥٢-٥٣]، ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات: ٢٨].

وهذا موسى عليه السلام لما ألقى السحرة عصيهم وحبالهم وخيل إليه -من سحرهم- أنها تسعى خاف، كما قال تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ۝٦٧ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [طه: ٦٧-٦٨]، وشواهد هذا كثيرة.

وهكذا المحبة للأشياء الطبيعية، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم «يُحِبُّ الحَلْوَى وَيُحِبُّ الْعَسَلَ»(٢)، وكان «يُحِبُّ الدُّبَّاءَ»(٣)- كما جاء في حديث أنس رضي الله عنه - وكان يقول: «حُبِّبَ إِلَيَّ مِن دُنياكُمُ النِّساءُ والطِّيبُ»(٤).

فكل هذا لا ينافي محبة الله، وإنما الذي ينافي محبة الله هي المحبة التي فيها عبودية، بحيث إنه يؤثر هذه المحبوبات على أمر الله، وعلى شرع الله، وعلى ما يحبه الله، فيقدم هواه وما يحبه من هذه المحبوبات على ما يحبه الله ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ

(١) شرح كلمة الإخلاص لابن رجب (ص١٣٦) للبراك.

(٢) أخرجه في المسند(٤٠/ ٣٦٦ ط الرسالة)ح(٢٤٣١٦) وقال محققه مسند أحمد (٤٠/ ٣٦٧ ط الرسالة): «إسناده صحيح على شرط الشيخين».

(٣) أخرجه في المسند(٢٠/ ٢٠٠ ط الرسالة)ح(١٢٨١١) وقال محققه:"إسناده صحيح على شرط الشيخين".

(٤) السنن الكبير للبيهقي (١٣/ ٥٨٦ ت التركي) وهو في مسند أحمد (١٩/ ٣٠٥ ط الرسالة)ح(١٢٢٩٣)، وسنن النسائي (٧/ ٦١)ح(٣٩٣٩) وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٣/ ٨٢٧)ح(٣٦٨١).

وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤]، وفي الحديث: "تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ"(١)،(٢).

(١) أخرجه البخاري (٤/ ٣٤)ح(٢٨٨٧).

(٢) شرح كلمة الإخلاص لابن رجب (ص١٣٦) للبراك.

المطلب السابع: من شروط لا إله إلا الله: المحبة المنافية لضدها، وفيه ثلاث مسائل.

المسألة الأولى :معنى شرط المحبة.

ومعنى ذلك كما يقول حافظ الحكمي رحمه الله: « المحبة لهذه الكلمة ولما اقتضته ودلت عليه ولأهلها العاملين بها الملتزمين لشروطها، وبغض ما ناقض ذلك»[١].

ويقول ابن جبرين رحمه الله:" المحبة المنافية لضدها من الكراهية والبغضاء، فيجب على العبد محبة الله ومحبة رسوله ومحبة كل ما يحبه من الأعمال والأقوال، ومحبة أوليائه وأهل طاعته، فهذه المحبة متى كانت صحيحة ظهرت آثارها على البدن، فترى العبد الصادق يطيع الله ويتبع رسوله ﷺ، ويعبد الله حق عبادته، ويلتذ بطاعته، ويسارعالى كل ما يحبه مولاه من الأقوال والأعمال، وتراه يحذر المعاصي ويبتعد عنها، ويمقت أهلها ويبغضهم، ولو كانت تلك المعاصي محبوبة للنفس ولذيذة في العادة؛ لعلمه بأن النار حفت بالشهوات، والجنة حفت بالمكاره، فمتى كان كذلك فهو صادق المحبة"[٢].

و«المراد هنا: المحبة، وهي: المودة والرغبة للا إله إلا الله، ولما اقتضته ودلت عليه من الأقوال والأفعال محبة منافية لضدها.

ومن ذلك: أن يكون الله سبحانه ورسوله أحب إليه مما سواهما، والمحبة لأهلها العاملين بها الملتزمين بشروطها، وبغض من ناقض ذلك.

ذلك أنه لا يحصل لقائلها معرفة وقبول إلا بالمحبة، لأن المحبة تدل على الإخلاص المنافي للشرك، ومن أحب الله تعالى أحب دينه»[٣].

---

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول (٢/ ٤٢٤).

(٢) الشهادتان معناهما وما تستلزمه كل منهما(٥١).

(٣) شروط لا إله إلا الله (ص٤٣٥).

المسألة الثانية: الأدلة على إثبات شرط المحبة.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وجه الاستشهاد بالآية على شرط المحبة في كلمة التوحيد، أن الله عاب على المشركين محبتهم آلهتهم محبة مساوية لمحبة الله تعالى، لأن ذلك فيه نوع تشريك في المحبة الذي ينبغي أن تكون خالصة لله تعالى، وهذا التشريك ينافي أصل التوحيد، فدل ذلك على وجوب إفراد الله سبحانه بهذه المحبة[(١)].

وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤].

دل الآية على اشتراط المحبة لصحة شهادة التوحيد؛ لأن الله تعالى أخبر أنه إن ارتد بعض المؤمنين فسوف يأتي الله بقوم خير منهم، من صفاتهم انهم يحبون الله ويحبهم، فدل على أن المرتد على نقيض ذلك، فصح أنه محتاج إلى هذا الشرط لنفي الردة -إن وجدت- وذلك وجه الشرطية[(٢)].

وقال حافظ الحكمي رحمه الله معلقاً على ما سبق من الآيات: «فأخبرنا الله عز وجل أن عباده المؤمنين أشد حباً له؛ وذلك لأنهم لم يشركوا معه في محبته أحداً كما فعل مدعو محبته من المشركين الذين اتخذوا من دونه أنداداً يحبونهم كحبه، وعلامة حب العبد ربه تقديم محابه وإن خالفت هواه وبغض ما يبغض ربه وإن مال إليه هواه، وموالاة من والى الله ورسوله ومعاداة من عاداه، واتباع رسوله صلى الله عليه وسلم واقتفاء أثره وقبول هداه، وكل هذه العلامات شروط في المحبة لا يتصور وجود المحبة مع عدم وجود شرط منها»[(٣)].

---

(١) ينظر: شروط شهادة أن لا إله إلا الله(٢/٧٧١).

(٢) ينظر: شروط شهادة أن لا إله إلا الله(٢/٧٧٢).

(٣) معارج القبول بشرح سلم الوصول (٢/ ٤٢٤).

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

قال الآجري رحمه الله: «ثم أعلمنا مولانا الكريم: أن علامة صحة من ادعى محبة الله تعالى، أن يكون محباً لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم متبعاً له ، وإلا لم تصح له المحبة لله عز وجل قال الله عز وجل»[1].

«وقال تعالى في شأن الموالاة والمعاداة فيه: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤] الآيات، وقال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ﴾ [المجادلة: ٢٢] الآية.

وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١] الآيات، وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَـٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَـٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٣-٢٤]، وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة: ١] إلى آخر السورة، وغير ذلك من الآيات»[2].

---

(١) الشريعة للآجري (٣/ ١٣٩١).

(٢) معارج القبول بشرح سلم الوصول (٢/ ٤٢٥).

أما النصوص من السنة الدالة على شرط المحبة فكثيرة ومنها:

وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ "(١).

وعَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»(٢).

وعن عَبْدِ اللهِ بْنَ هِشَامٍ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَهْوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: "لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الْآنَ وَاللهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: الْآنَ يَا عُمَرُ"(٣).

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ، وَأَبْغَضَ لِلَّهِ، وَأَعْطَى لِلَّهِ، وَمَنَعَ لِلَّهِ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ»(٤).

فدلت هذه النصوص على وجوب اشتراط المحبة لله ولرسوله وتقديم محبة الله تعالى ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم -وهي تابعة لمحبة الله ولازمة لها- على كل محبوب، ثم يلي ذلك محبة ما يحبه ورسوله التي من مقتضى ولوازم الشهادتين.

---

(١) أخرجه البخاري (٩/ ٢٠) ح(٦٩٤١)، ومسلم (١/ ٦٦) ح (٤٣).

(٢) أخرجه البخاري (١/ ١٢) ح (١٥)، ومسلم(١/ ٦٧) ح (٤٤).

(٣) أخرجه البخاري (٨/ ١٢٩)ح(٦٦٣٢).

(٤) أخرجه أبو داود (٤/ ٢٢٠ ت محيي الدين عبد الحميد)ح(٤٦٨١)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين (٢/ ١٧٨ ط العلمية)ح(٢٦٩٤) وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٢/ ١٠٣٤)ح(٥٩٦٥).

«ومن هنا يعلم أنه لا تتم شهادة أن لا إله إلا الله إلا بشهادة أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا علم أنه لا تتم محبة الله عز وجل إلا بمحبة ما يحبه وكراهة ما يكرهه، فلا طريق إلى معرفة ما يحبه تعالى ويرضاه وما يكرهه ويأباه إلا باتباع ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم واجتناب ما نهى عنه، فصارت محبته مستلزمة لمحبة رسول الله وتصديقه ومتابعته؛ ولهذا قرن محبته بمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في مواضع كثيرة من القرآن، كقوله عز وجل: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤]، وغير ذلك من الآيات»[١].

ويقول ابن تيمية رحمه الله: «فإن تحقيق الشهادة بالتوحيد يقتضي أن لا يحب إلا لله ولا يبغض إلا لله، ولا يوالي إلا لله، ولا يعادي إلا لله وأن يحب ما يحبه الله ويبغض ما أبغضه ويأمر بما أمر الله به، وينهى عما نهى الله عنه وأنك لا ترجو إلا الله ولا تخاف إلا الله ولا تسأل إلا الله وهذا ملة إبراهيم وهذا الإسلام الذي بعث الله به جميع المرسلين»[٢].

(١) معارج القبول(٢/ ٤٢٧).

(٢) مجموع الفتاوى (٨/ ٣٣٧).

المسألة الثالثة: آثار شرط المحبة ولوازمه المتعلقة بعمل القلب.

١- **محبة طاعة الله تعالى والمسارعة إليها،** «وقال الحسن: اعلمْ أنك لن تحب الله حتى تحب طاعته»[١].

وذكر ابن رجب رحمه الله عن بعض السلف قولهم: "من عرف الله أحبه، ومن أحبه أطاعه، فإن المحبة تقتضي الطاعة كما قال بعض العارفين: الموافقة في جميع الأحوال"[٢].

٢- **تلذذ القلب بالمحبة وتنعمه بها،** قال ابن القيم رحمه الله: "المحبّة هي حياة القلوب وغذاء الأرواح، وليس للقلب لذّة، ولا نعيم، ولا فلاح، ولا حياة إلّا بها.
وإذا فقدها القلب كان ألمه أعظم من ألم العين إذا فقدت نورها، والأذن إذا فقدت سمعها، والأنف إذا فقد شمّه، واللّسان إذا فقد نطقه، بل فساد القلب إذا خلا من محبّة فاطره وبارئه وإلهه الحقّ أعظم من فساد البدن إذا خلا من الرّوح، وهذا الأمر لا يصدّق به إلّا من فيه حياة"[٣].

٣- **فرح القلب بالمحبة وشعوره بآثار محبة الله له،** وقال أيضًا[٤]: "المحبّ الصّادق لا بدّ أن يقارنه أحيانًا فرح بمحبوبه، ويشتدّ فرحه به، ويرى مواقع لطفه به، وبرّه به، وإحسانه إليه، وحسن دفاعه عنه، والتّلطّف في إيصاله المنافع والمسارّ والمبارّ إليه بكلّ طريق، ودفع المضارّ والمكاره عنه بكلّ طريق"[٥].

٤- **كمال الأنس في القلب بمناجاة الله والتلذذ بذلك في الخلوة،** قال ابن قدامة رحمه الله: "علامة المحبّة كمال الأنس بمناجاة المحبوب، وكمال التّنعّم بالخلوة، وكمال

---

(١) كلمة الإخلاص وتحقيق معناها - ضمن رسائل ابن رجب (٣/ ٦٠).

(٢) فتح الباري لابن رجب (١/ ٥١-٥٢).

(٣) الجواب الكافي (١/ ٥٤٥-٥٤٦).

(٤) أي ابن القيم رحمه الله.

(٥) مدارج السالكين (٢/ ٣٣٩-٣٤٠).

الاستيحاش من كلّ ما ينقض عليه الخلوة، ومتى غلب الحبّ والأنس صارت الخلوة والمناجاة قرّة عين تدفع جميع الهموم، بل يستغرق الحبّ والأنس قلبه"(١).

٥- **التلذذ بتلاوة الكتاب العزيز وأن القلب لا يشبع منه تلاوة وتدبراً**، قال ابن القيم رحمه الله: "فإن المحب الصادق أحب شيء إليه الخبر عن محبوبه وذكره، كما قال عثمان بن عفان ﷺ: (لو طهرت قلوبنا لما شبعت من كلام الله)(٢)، وقال بعض العارفين: كيف يشبعون من كلام محبوبهم وهو غاية مطلوبهم؟!"(٣).

٦- **ومن أبرز علامات محبة الله في القلب**:« تقديم محابه وإن خالفت هواه وبغض ما يبغض ربه وإن مال إليه هواه، وموالاة من والى الله ورسوله ومعاداة من عاداه، واتباع رسوله صلى الله عليه وسلم واقتفاء أثره وقبول هداه»(٤).

٧- **ومن ثمرة محبة الله حلاوة الإيمان ولذته التي يجدها في قلبه**، وفي الحديث: " ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ". وهذه جنة الدنيا المعجلة من ذاقها عرف قدرها وشعر بذلك، ولكن لابد من تحقيق أسبابها.

٨- **ومن أعظم ثمرات محبة الله للعبد المؤمن حفظه وحمايته ورعايته الخاصة له**، كما في الحديث: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ» الحديث(٥).

---

(١) مختصر منهاج القاصدين (٣٥١).

(٢) ينظر: حلية الأولياء (٧/ ٢٧٢، ٣٠٠).

(٣) مدارج السالكين (٣/ ٢٩١).

(٤) معارج القبول(٢/ ٤٢٤).

(٥) أخرجه البخاري (٨/ ١٠٥)ح(٦٥٠٢).

المطلب الثامن: من شروط لا إله إلا الله: الكفر بما يعبد من دون الله المنافي لضده، وفيه ثلاث مسائل.

المسألة الأولى :معنى شرط الكفر بما يعبد من دون الله.

«ومعناه أن يتبرأ من عبادة غير الله ويعتقد أنها باطلة»(١).

وذلك بالكفر بالطاغوت والإيمان بالله تعالى، ولا يؤمن أحد إلا إذا كفر بما يعبد من دون الله.

«فالطاغوت يطلق على كل من طغى وتجاوز حده بعبادة أو طاعة»(٢).

ويقول محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: «والطاغوت عام، فكل ما عُبد من دون الله، ورضي بالعبادة من معبود أو متبوع أو مطاع في غير طاعة الله ورسوله، فهو طاغوت.

والطواغيت كثيرة ورؤوسهم خمسة:

(الأول) : الشيطان الداعي إلى عبادة غير الله، والدليل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٦٠].

(الثاني) : الحاكم الجائر المغير لأحكام الله تعالى، والدليل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦۖ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠].

(الثالث) : الذي يحكم بغير ما أنزل الله، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز (٧/ ٥٧).

(٢) القواعد في توحيد العبادة (١/ ٥٤٢).

(الرابع) : الذي يدعي علم الغيب من دون الله، والدليل قوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ [الجن: ٢٦-٢٧]. وقال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

(الخامس) : الذي يعبد من دون الله وهو راض بالعبادة، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٢٩].

واعلم أن الإنسان ما يصير مؤمنا بالله إلا بالكفر بالطاغوت، والدليل قوله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

(الرشد) دين محمد صلى الله عليه وسلم، و(الغي) دين أبي جهل، و(العروة الوثقى) شهادة أن لا إله إلا الله، وهي متضمنة للنفي والإثبات؛ تنفي جميع أنواع العبادة عن غير الله تعالى، وتثبت جميع أنواع العبادة كلها لله وحده لا شريك له»[(١)].

المسألة الثانية: الأدلة على إثبات شرط الكفر بما يعبد من دون الله.

قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

قال الشنقيطي رحمه الله: «وأشار إلى أنه لا يؤمن أحد حتى يكفر بالطاغوت بقوله: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾، ومفهوم الشرط أن من لم يكفر بالطاغوت لم يستمسك بالعروة الوثقى، وهو كذلك، ومن لم يستمسك بالعروة الوثقى فهو بمعزل عن الإيمان، لأن الإيمان بالله هو العروة الوثقى، والإيمان بالطاغوت يستحيل

---

(١) مجموعة رسائل في التوحيد والإيمان (ص٣٧٧-٣٧٨).

اجتماعه مع الإيمان بالله أو ركن منه، كما هو صريح قوله: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾ الآية»[١].

وفي الحديث يقول صلى الله عليه وسلم: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ»[٢].

و وفي لفظ آخر يقول ﷺ: « مَنْ وَحَّدَ اللهَ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ»[٣].

وقال محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعليقاً على الحديث السابق: «وهذا من أعظم ما يبين معنى " لا إله إلا الله "، فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصماً للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله؛ فإن شك أو توقف لم يحرم ماله ودمه.

فيالها من مسألة ما أعظمها وأجلها! وياله من بيان ما أوضحه! وحجة ما أقطعها للمنازع»[٤].

وقال سليمان بن عبد الله آل الشيخ رحمه الله: «اعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث[٥] علق عصمة المال والدم بأمرين: الأول: قول: لا إله إلا الله. الثاني: الكفر بما يعبد من دون الله، فلم يكتف باللفظ المجرد عن المعنى، بل لا بد من قولها والعمل بها»[٦].

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١/ ٣٩٣ ط عطاءات العلم).

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٤٠ ط التركية)ح(٢٣).

(٣) أخرجه مسلم (١/ ٤٠ ط التركية)ح(٢٣).

(٤) التوحيد لابن عبد الوهاب (ص٢٦).

(٥) يقصد الحديث السابق: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ».

(٦) تيسير العزيز الحميد (ص١١٥).

المسألة الثالثة: آثار شرط الكفر بما يعبد من دون الله ولوازمه المتعلقة بعمل القلب.

١- **لا يصح الإيمان والتوحيد إلا بتحقيق الكفر بالطاغوت في القلب، لأنه الركن الأصيل،** « وإذا فقد ركن الشيء زالت ماهيته، وبطل وجوده، وتحول عن مسماه الشرعي، فلا يبقى بدون تحقيقه إيمان شرعي في القلب»[١]؛ لأن «ركنية الكفر بالطاغوت وشرطيته في صحة الإيمان، وقيام الإسلام منشؤه من التلازم الكلي التام - الذي لا ينفك أبدًا- بينه وبين الإيمان الشرعي الصحيح بالله تعالى، وبين بغض الطاغوت وعداوته، وبين محبة الرب سبحانه وتعالى، ولذا لا يوجد إيمان صحيح في القلب بالله تعالى بدون الكفر بالطاغوت، ولا محبة شرعية مقبولة عند الله تعالى بدون بغض وعداوة للطاغوت»[٢].

٢- **من لوازم الكفر بالطاغوت في القلب،** « الكفر بأهله وأنصاره، وبغضهم وعدم موادتهم، والبراءة منهم ومن أعمالهم، وجهادهم باللسان والسنان في ذات الله تعالى، نصرة للتوحيد، ولتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى»[٣].

---

(١) القواعد في توحيد العبادة (١/ ٥٥٣).

(٢) القواعد في توحيد العبادة (١/ ٥٥٤).

(٣) القواعد في توحيد العبادة (١/ ٥٥٦).

الفصل الثاني: شهادة أن محمداً رسول الله وما يتعلق بها من معاني وأركان ومقتضيات، وفيه عدة مباحث.

المبحث الأول : شهادة أن محمداً عبده ورسوله معناها وأركانها(١)، وفيه مطلبان.

المطلب الأول: معنى شهادة أن محمداً رسول الله.

التصديق الجازم بالقلب والإقرار باللسان بأن محمداً ﷺ عبد الله ورسوله إلى جميع الخلق من الجن والإنس، ولهذه الشهادة لوازم ومقتضيات لاتقبل إلا بها، وسيأتي الكلام عنها.

قال القاضي عياض رحمه الله: «والإيمان به صلى الله عليه وسلم هو تصديق نبوته ورسالة الله له وتصديقه في جميع ما جاء به وما قاله ومطابقة تصديق القلب بذلك شهادة اللسان بأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا اجتمع التصديق به بالقلب والنطق بالشهادة بذلك باللسان تم الإيمان به والتصديق له»(٢).

وقال محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: «ومعنى شهادة أن محمداً رسول الله: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما عنه نهى وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع»(٣).

وقال حافظ الحكمي رحمه الله: «هو التصديق الجازم من صميم القلب المواطئ لقول اللسان بأن محمداً عبده ورسوله إلى كافة الناس إنسهم وجنهم ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَـٰكَ شَـٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦] ..»(٤).

---

(١) ينظر: عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها من الشرك الأكبر والأصغر والتعطيل والبدع وغير ذلك (ص٤٠)، معجم التوحيد (٢/ ٥٣٢).

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى – وحاشية الشمني (٢/ ٣).

(٣) ثلاثة الأصول (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، الجزء الأول) (ص١٩٠).

(٤) أعلام السنة المنشورة (ص١٤).

وقال ابن باز رحمه الله: «ومعنى شهادة أن محمداً رسول الله: أن تشهد عن علم ويقين وصدق أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب هو رسول الله حقاً إلى جميع الثقلين؛ جنهم وإنسهم، وأنه خاتم الأنبياء، ليس بعده نبي عليه الصلاة والسلام»[1].

وقال ابن عثيمين رحمه الله: «معنى شهادة "أن محمداً رسول الله" هو الإقرار باللسان والإيمان بالقلب بأن محمد بن عبد الله القرشي الهاشمي رسول الله عز وجل إلى جميع الخلق من الجن والإنس»[2].

---

(١) فتاوى نور على الدرب لابن باز بعناية الشويعر (١/ ٥٠).

(٢) شرح ثلاثة الأصول للعثيمين (ص٧٥).

المطلب الثاني: أركان شهادة أن محمداً عبده ورسوله وأثرها على عمل القلب، وفيه عدة مسائل.

المسألة الأولى : أركان شهادة أن محمداً رسول الله.

شهادة أن محمداً رسول الله **تقوم على ركنين:**

الركن الأول: عبد الله.

والثاني: رسوله.

وذلك بالاعتقاد بأنه عبد لله ومرسل منه، وقد جاءت الأدلة الكثيرة بإثبات ذلك.

المسألة الثانية: الأدلة على هذين الركنين.

وقد دلت على ذلك الأدلة الكثيرة، ومنها:

١- الأدلة على مقام العبودية الذي هو من أشرف مقاماته صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١].

وقال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ..﴾ [الكهف: ١].

وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

وقال تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ﴾ [الزمر: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن: ١٩].

وغير ذلك من الآيات.

٢- وأما الأدلة على مقام الرسالة فكثيرة، ومنها:

قال تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وقال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦].

٣- وقد جاءت النصوص في السنة النبوية بهذين الركنين: العبودية والرسالة لنبينا ﷺ وهي كثيرة، ومنها:

كما في خطاب النبي صلى الله عليه وسلم لهرقل عظيم الروم، «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ سَلَامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدَاعِيَةِ الْإِسْلَامِ أَسْلِمْ تَسْلَمْ وَأَسْلِمْ يُؤْتِكَ اللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَعَلَيْكَ إِثْمُ الْأَرِيسِيِّينَ..»(١).

وعَنْ عُبَادَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ.» قَالَ الْوَلِيدُ حَدَّثَنِي ابْنُ جَابِرٍ عَنْ عُمَيْرٍ عَنْ جُنَادَةَ وَزَادَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ أَيَّهَا شَاءَ(٢).

وعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: «كَانَتْ عَلَيْنَا رِعَايَةُ الْإِبِلِ فَجَاءَتْ نَوْبَتِي فَرَوَّحْتُهَا بِعَشِيٍّ، فَأَدْرَكْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَائِمًا يُحَدِّثُ النَّاسَ، فَأَدْرَكْتُ مِنْ قَوْلِهِ: مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ

(١) أخرجه البخاري (٤/ ٤٧)ح(٢٩٤٠)، ومسلم (٥/ ١٦٣ ط التركية)ح(١٧٧٣).

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٦٥)ح(٣٤٣٥).

فَيُحْسِنُ وُضُوءَهُ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ مُقْبِلٌ عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ إِلَّا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، قَالَ: فَقُلْتُ: مَا أَجْوَدَ هَذِهِ، فَإِذَا قَائِلٌ بَيْنَ يَدَيَّ يَقُولُ: الَّتِي قَبْلَهَا أَجْوَدُ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا عُمَرُ قَالَ: إِنِّي قَدْ رَأَيْتُكَ جِئْتَ آنِفًا، قَالَ: مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغُ - أَوْ فَيُسْبِغُ - الْوُضُوءَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ»(١).

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ سَمِعَ عُمَرَ رضي الله عنه يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ»(٢).

المسألة الثالثة: أثر هذين الركنين(عبد الله ورسوله) على عمل القلب.

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله عن العبودية والرسالة: " هذان الوصفان أصدق وصف وأشرفه في الرسول صلى الله عليه وسلم؛ فأشرف وصف للإنسان أن يكون من عباد الله، قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ١٧١]؛ فوصفهم الله بالعبودية قبل الرسالة مع أن الرسالة شرف عظيم، لكن كونهم عباداً لله عز وجل أشرف وأعظم، وأشرف وصف له وأحق وصف به"(٣).

ولاعتقاد المسلم بهذين الأمرين:(العبودية والرسالة) في حق الرسول ﷺ آثار عظيمة على عمل القلب تقوم عليها هذه الشهادة، وسيأتي مزيد بيان لذلك في المباحث القادمة، ودونك أبرز هذه الآثار على سبيل الإجمال:

١- الإيمان بأنه عبد لله، وأن أشرف مقام للنبي صلى الله عليه وسلم هو مقام العبودية لله تعالى، فكان الله يذكره ويثني عليه به في المقامات العظيمة كما سبق في الأدلة.

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ١٤٤ ط التركية)ح(٢٣٤).

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٦٧)ح(٣٤٤٥).

(٣) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٩/ ٣٦٤).

٢- الإيمان بأنه عبد لله يقتضي يقين العبد في قلبه ببشريته ﷺ، كما جاءت بذلك النصوص الكثيرة محذرة للامة من الغلو فيه ورفعه فوق منزلته التي أنزله الله فيها، وسيأتي بيان ذلك في الفقرة الرابعة.

٣- الإيمان بأنه مرسل من الله تعالى، ولهذا مقتضيات ولوازم ستأتي في المبحث الآتي.

٤- التحذير من أعظم ما يفسد هاذين الركنين من أمر في القلب بسبب الغلو فيه صلى الله عليه وسلم، وهو الاطراء في حقه صلى الله عليه وسلم ورفعه فوق منزلته التي أنزله الله فيها، وصرف شيئ من حقوق الله له، وقد ذكر الله في كتابه العزيز ما يبين بشريته ﷺ، وعدم علمه للغيب إلا ما أطلعه الله عليه، وذكر تعالى لما طلب الكفار منه ما لا يستطيع عليه بشر، فقال لهم على لسان رسوله: ﴿قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴾ [الإسراء: ٩٣].

وقال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ﴾ [الكهف: ١١٠].

وقال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ ﴾ [فصلت: ٦].

وقال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ﴾ [الأنعام: ٥٠].

وقال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ فَقُلۡ إِنَّمَا ٱلۡغَيۡبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ﴾ [يونس: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [النمل: ٦٥].

وقد حذر صلى الله عليه وسلم أمته من الغلو فيه والاطراء برفعه فوق منزلته التي أنزله الله فيها، فقال ﷺ:«لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ».

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، يَا سَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا، وَخَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ بِتَقْوَاكُمْ، لَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ، أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَاللهِ مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللهُ "(١).

وهذا من تواضعه ﷺ، وسد منافذ الغلو فيه، وحمايته لجناب التوحيد من أن يُمَس بما يؤثر عليه، وإلا فهو صلى الله عليه وسلم أعظم الخلق وأشرفهم على الإطلاق، كما وردت بذلك النصوص الكثيرة، وسيأتي مزيد بيان لذلك.

---

(١) أخرجه في المسند(٢٠/ ٢٣ ط الرسالة)ح(١٢٥٥١)، قال محقق المسند:"إسناده صحيح على شرط مسلم".

المبحث الثاني: مقتضيات شهادة أن محمداً رسول ﷺ ولوازمها، وفيه تمهيد وعدة مطالب[1].

تمهيد.

شهادة أن محمداً رسول مثل الشهادة السابقة شهادة أن لا إله إلا الله ليست كلمة تردد بل لا بد لها من مقتضيات ولوازم إذا لم تحقق لا تنفع من يقولها، يقول ابن أبي العز الحنفي رحمه الله: «وعبارات السلف في (شهد) - تدور على الحكم، والقضاء، والإعلام، والبيان، والإخبار. وهذه الأقوال كلها حق لا تنافي بينها: فإن الشهادة تتضمن كلام الشاهد وخبره، وتتضمن إعلامه وإخباره وبيانه. فلها أربع مراتب:

فأول مراتبها: علم ومعرفة واعتقاد لصحة المشهود به وثبوته.

وثانيها: تكلمه بذلك، وإن لم يعلم به غيره، بل يتكلم بها مع نفسه ويذكرها وينطق بها أو يكتبها.

وثالثها: أن يعلم غيره بما يشهد به ويخبره به ويبينه له.

ورابعها: أن يلزمه بمضمونها ويأمره به.

فشهادة الله سبحانه لنفسه بالوحدانية والقيام بالقسط تضمنت هذه المراتب الأربع: علمه سبحانه بذلك، وتكلمه به، وإعلامه، وإخباره لخلقه به، وأمرهم وإلزامهم به»[2].

وهذه المراتب الأربع تنطبق تماماً على الشهادة الثانية: وأن محمداً رسول الله.

وقال القاضي عياض رحمه الله: «والإيمان به صلى الله عليه وسلم هو تصديق نبوته ورسالة الله له وتصديقه في جميع ما جاء به وما قاله ومطابقة تصديق القلب بذلك شهادة اللسان بأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا اجتمع التصديق به بالقلب والنطق بالشهادة بذلك باللسان تم الإيمان به والتصديق له»[3].

---

(١) ينظر: كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى، الشهادتان ص(١٧-٤٦)، كتاب حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته في ضوء الكتاب والسنة، كتاب محبة الرسول صلى الله عليه وسلم بين الاتباع والابتداع.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية - ت الأرناؤوط (١/ ٤٤).

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى - وحاشية الشمني (٢/ ٣).

ويقول الشيخ سليمان بن عبد الله: «ولا ريب أنه لو قالها[1] أحد من المشركين ونطق أيضًا بشهادة أن محمداً رسول الله ولم يعرف معنى الإله ولا معنى الرسول، وصلى وصام وحج، ولا يدري ما ذلك إلا أنه رأى الناس يفعلونه فتابعهم ولم يفعل شيئًا من الشرك، فإنه لا يشك أحد في عدم إسلامه.

وقد أفتى بذلك فقهاء المغرب كلهم في أول القرن الحادي عشر أو قبله في شخص كان كذلك كما ذكره صاحب " الدر الثمين في شرح المرشد المعين [ميارة] " من المالكية، ثم قال شارحه: وهذا الذي أفتوا به جلي في غاية الجلاء، لا يمكن أن يختلف فيه اثنان انتهى[2]. ولا ريب أن عباد القبور أشد من هذا؟ لأنهم اعتقدوا الإلهية في أرباب متفرقين»[3].

---

(١) يقصد: لا إله إلا الله.

(٢) ينظر: الدر الثمين والمورد المعين (ص٨٣).

(٣) تيسير العزيز الحميد (ص٥٨).

مقتضيات ولوازم شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ.

ولا تقبل شهادة أن محمداً رسول الله إلا بتحقيق هذه المقتضيات واللوازم في القلب وفي القول والعمل، وفيه عدة مطالب.

المطلب الأول: الإيمان باصطفاء الله تعالى واختياره لنبيه ﷺ للنبوة والرسالة.

وذلك يعنى الاعتقاد الجازم بأن الله اختار نبيه محمداً ﷺ واصطفاه للنبوة والرسالة.

الأدلة على ذلك:

والله يختار ويصطفي من يشاء لهذا الأمر العظيم، فهو كما قال تعالى عن نفسه: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[الأنعام: ١٢٤].

وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ﴾ [القصص: ٦٨].

وقال تعالى عن الأنبياء: ﴿وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ﴾ [ص: ٤٧].

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ﴾ [الحج: ٧٥].

وقد جاءت نصوص الكتاب والسنة في بيان اصفاء الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واختياره ﷺ للنبوة والرسالة كثيرة جداً، منها على سبيل المثال:

قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ﴾ [البقرة: ١١٩].

وقال تعالى: ﴿ وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا﴾ [النساء: ٧٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [سبأ: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ ﴾ [فاطر: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾ [الصف: ٩].

وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً.

ومما يدل على اصطفائه ﷺ قوله صلى الله عليه وسلم عن نفسه: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: « أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ»(١).

وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَبِيَدِي لِوَاءُ الحَمْدِ وَلَا فَخْرَ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ يَوْمَئِذٍ آدَمَ فَمَنْ سِوَاهُ إِلَّا تَحْتَ لِوَائِي، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ وَلَا فَخْرَ»(٢).

وعن وَاثِلَةَ بْنَ الْأَسْقَعِ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: « إِنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ»(٣).

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد صلى الله عليه وسلم خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد

---

(١) أخرجه مسلم (٧/ ٥٩ ط التركية)ح(٢٢٧٨).

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٠٨ ت شاكر)ح(٣١٤٨)، وصححه الألباني في تعليقه على سنن الترمذي وفي صحيح الجامع (١/ ٣٠٩)ح(١٤٦٨).

(٣) أخرجه مسلم (٧/ ٥٨ ط التركية)ح(٢٢٧٦).

قلب محمد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه، فما رأى المسلمون حسناً فهو عند الله حسن وما رأوا سيئاً فهو عند الله سيئ"[(١)].

(١) أخرجه في المسند(٦/ ٨٤ ط الرسالة).

المطلب الثاني: الإيمان بعموم رسالته ﷺ.

وذلك بالاعتقاد الجازم بعموم رسالته ﷺ لجميع الثقلين الإنس والجن، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة، ومن ذلك:

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [سبأ: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: ١].

قال ابن جرير رحمه الله في تفسيرها: «يقول: تبارك الذي نزل الفصل بين الحق والباطل، فصلاً بعد فصل، وسورة بعد سورة، ﴿ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ ﴾ محمد صلى الله عليه وسلم؛ ﴿ لِيَكُونَ ﴾ محمد الجميع الجن والإنس الذين بعثه الله إليهم داعياً إليه، ﴿ نَذِيرًا﴾. يعني منذراً ينذرهم عقابه، ويخوفهم عذابه، إن لم يوحدوه، ولم يخلصوا له العبادة، ويخلعوا كل ما دونه من الآلهة والأوثان»(١).

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

ومما يدل على عموم رسالته أن الله لايقبل غير دين الإسلام الذي أرسل به، فقال تعالى: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وقال ﷺ: «..وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً» الحديث(٢).

---

(١) تفسير الطبري (١٧/ ٣٩٤ ت التركي).

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٧٤)ح(٣٣٥).

وقال ﷺ: «..وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ»الحديث[1].

وفي هذا نص صريح بأنه أرسل إلى عموم جميع المكلفين من الخلق وهم الجن والإنس، بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وقال صلى الله عليه وسلم في بيان عموم رسالته: « وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»[2].

وخص اليهود والنصارى بالذكر تنبيهاً على من سواهما، وذلك لأن اليهود والنصارى لهم كتاب، فإذا كان هذا شأنهم مع أن لهم كتاباً فغيرهم ممن لا كتاب له من باب أولى[3].

---

(١) أخرجه مسلم (٢/ ٦٤ ط التركية)ح(٥٢٣).

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٩٣ ط التركية)ح(١٥٣).

(٣) ينظر: شرح النووي على مسلم (٢/ ١٨٨).

المطلب الثالث: الإيمان بأنه خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ[1].

الاعتقاد الجازم بأن الله ختم برسالته جميع الرسالات فهو خاتم الأنبياء والمرسلين، وقد نص على ذلك الكتاب والسنة، فمن الأدلة على ذلك:

قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيرها: «فهذه الآية نص في أنه لا نبي بعده، وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بعده بطريق الأولى والأحرى؛ لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة، فإن كل رسول نبي، ولا ينعكس.

وبذلك وردت الأحاديث المتواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث جماعة من الصحابة» وأورد الأحاديث على ذلك، ثم قال: «فمن رحمة الله تعالى بالعباد إرسال محمد، صلوات الله وسلامه عليه، إليهم، ثم من تشريفه لهم ختم الأنبياء والمرسلين به، وإكمال الدين الحنيف له.

وقد أخبر تعالى في كتابه، ورسوله في السنة المتواترة عنه: أنه لا نبي بعده؛ ليعلموا أن كل من ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب أفاك، دجال ضال مضل»[2].

وقال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

قال ابن كثير عند تفسير هذه الآية: "هذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة حيث أكمل تعالى لهم دينهم فلا يحتاجون إلى دين غيره ولا إلى نبي غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه، ولهذا جعله الله تعالى خاتم الأنبياء وبعثه إلى الإنس والجن.. "[3].

وقال ﷺ: «..وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ»الحديث[4].

---

(١) للتوسع في هذا الموضوع ينظر كتاب ختم النبوة وهو في أصله رسالة ماجستير.

(٢) تفسير ابن كثير – ت السلامة (٦/ ٤٢٨-٤٣١).

(٣) تفسير ابن كثير – ت السلامة (٣/ ٢٦).

(٤) أخرجه مسلم (٢/ ٦٤ ط التركية)ح(٥٢٣).

وقال ﷺ: «..وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي، وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ »الحديث[1].

(١) أخرجه في المسند(٣٧/ ٧٩ ط الرسالة)ح(٢٢٣٩٥)، وأبو داود (٤/ ٩٧ ت محيي الدين عبد الحميد)ح(٤٢٥٢)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين (٤/ ٤٩٦ ط العلمية)ح(٨٣٩٠) وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٣٦٤)ح(١٧١٧)، وصحح إسناده محقق المسند.

المطلب الرابع: الإيمان بعصمته ﷺ.

الاعتقاد الجازم بعصمته ﷺ وأن الله عصمه وحفظه من كل ما يخل بدعوته وبلاغها، فقد عصمه الله في التليغ والرسالة، وعصمه من الكفر والشرك، ومن الكذب في غير الوحي والتبليغ، وعصمه من الكبائر، فهو محفوف بحفظ الله ورعايته له من صغره ﷺ، ودلائل عصمته كثيرة، أذكر منها على سبيل المثال:

قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤].

فالآية نص في عصمته ﷺ في تبليغ الرسالة.

ومما يدل على عصمته ﷺ توعد الله له بالعقوبة لو لم يبلغ الرسالة كما يريد الله، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ۝٤٥ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ۝٤٦ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٧].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٧].

وقال تعالى: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ۝٧٣ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ۝٧٤ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٧٣-٧٥].

والأدلة التي يذكر الله فيها أنه لن ينسى إلا ما نسخه الله، قال تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ﴾ [الأعلى: ٦-٧].

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٦-١٩].

وغير ذلك من أدلة الكتاب العزيز الكثيرة التي تثبت عصمته ﷺ.

أما من السنة فقد وردت أحاديث في بيان عصمته ﷺ، منها:

قال ﷺ: «..وَلَكِنْ إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنِ اللهِ شَيْئًا فَخُذُوا بِهِ فَإِنِّي لَنْ أَكْذِبَ عَلَى اللهِ عز وجل» الحديث[١].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، قَالَ: كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، أُرِيدُ حِفْظَهُ، فَنَهَتْنِي قُرَيْشٌ، فَقَالُوا: إِنَّكَ تَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ تَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وَرَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بَشَرٌ، يَتَكَلَّمُ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا. فَأَمْسَكْتُ عَنِ الْكِتَابِ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم؟ فَقَالَ: " اكْتُبْ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا خَرَجَ مِنِّي إِلَّا حَقٌّ "[٢].

ونقل غير واحد إجماع الأمة واتفاقها على عصمته صلى الله عليه وسلم في تبليغ ما أوحي إليه من ربه عز وجل.

قال القاضي عياض رحمه الله: "وأجمعت الأمة في ما كان طريقه البلاغ أنه معصوم فيه من الإخبار عن شيء منها بخلاف ما هو به، لا قصداً ولا عمداً ولا سهواً ولا غلطاً"[٣].

وقال ابن تيمية رحمه الله: "إن الأنبياء صلوات الله عليهم معصومون فيما يخبرون به عن الله سبحانه، وفى تبليغ رسالاته باتفاق الأمة ولهذا وجب الإيمان بكل ما أوتوه..... والعصمة فيما يبلغونه عن الله ثابتة فلا يستقر في ذلك خطأ باتفاق المسلمين"[٤].

---

(١) أخرجه مسلم (٧/ ٩٥)ح(٢٣٦١).

(٢) أخرجه أحمد (١١/ ٥٧- ٥٨ ط الرسالة)ح(٦٥١٠)، والدارمي - ت حسين أسد (١/ ٤٢٩)ح(٥٠١)، وأبو داود (٣/ ٣١٨ ت محيي الدين)ح(٣٦٤٦)، والحاكم (١/ ١٨٧)ح(٣٥٩) وصححه ووافقه الذهبي، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة(٤/ ٤٥)ح(١٥٣٢)، وقال محقق المسند:"إسناده صحيح".

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى - وحاشية الشمني (٢/ ١٢٣).

(٤) مجموع الفتاوى(١٠/٢٨٩-٢٩٠)، وينظر: حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته في ضوء الكتاب والسنة (١/ ١٣٣).

المطلب الخامس: الإيمان بأنه بلغ الرسالة ﷺ أتم بلاغ وأكمله.

الاعتقاد الجازم بأنه صلى الله عليه وسلم بلغ الرسالة أتم بلاغ وأكمله، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٧].

وقال تعالى: ﴿إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ﴾ [الشورى: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [التغابن: ١٢].

وقال تعالى: ﴿فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ٢١ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ﴾ [الغاشية: ٢١-٢٢].

وقال تعالى في بيان كمال الرسالة: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣].

وفي الحديث قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ: «أَلَا إِنَّ أَحْرَمَ الْأَيَّامِ يَوْمُكُمْ هَذَا، أَلَا وَإِنَّ أَحْرَمَ الشُّهُورِ شَهْرُكُمْ هَذَا، أَلَا وَإِنَّ أَحْرَمَ الْبَلَدِ بَلَدُكُمْ هَذَا، أَلَا وَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ»(١).

وقال ﷺ: «وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ: كِتَابُ اللهِ، وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟ قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ، وَأَدَّيْتَ، وَنَصَحْتَ. فَقَالَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ: اللَّهُمَّ اشْهَدِ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ»(٢).

وقال ﷺ: "..قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ.." الحديث(٣).

---

(١) وهو في صحيح البخاري (٢/ ١٧٦)ح(١٧٤١) ومسلم(٥/ ١٠٨)ح(١٦٧٩)، وسنن ابن ماجه وهذا لفظه (٢/ ١٢٩٧ ت عبد الباقي)ح(٣٩٣١).

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٤١ ط التركية)ح(١٢١٨).

(٣) أخرجه في المسند(٢٨/ ٣٦٧ ط الرسالة)ح(١٧١٤٢)، وابن ماجه (١/ ١٦ ت عبد الباقي)ح(٤٣)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين (١/ ١٧٥ ط العلمية)ح(٣٣١) وصححه وأقره الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ١٣٢)ح(٥٩)، وصححه الأرناؤوط في تحقيقه لسنن أبي داود (١/ ٢٩)ح(٤٣).

والأدلة على ذلك كثيرة، " «فمن حقه صلى الله عليه وسلم على أمته أن يقروا له بفضله وصدقه وأمانته في تبليغ رسالة ربه التي ائتمنه عليها، وكلفه أن يقوم بها فلا يكون إيمان للمرء إذا لم يقر للرسول صلى الله عليه وسلم بأنه قد بلغ الرسالة أعظم ما يكون التبليغ، وقام بأدائها أعظم ما يكون القيام واحتمل في سبيلها أشق ما يحتمله البشر، ومن أنكر شيئاً من ذلك أو شك في صدقه فهو كافر مارق عن الإسلام مكذب لله ولرسوله»[١].

(١) حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته في ضوء الكتاب والسنة (١/ ١٢٥).

المطلب السادس: تصديقه ﷺفيما أخبر.

ومن لوازم شهادة أن محمداً رسول الله تصديقه فيما أخبر به صلى الله عليه وسلم من أمور الدنيا والآخرة تصديقاً لا يكون فيه أدنى تردد أو اعتراض، فإذا ثبت الحديث عنه فلا مجال لرده بأي حجة كانت، ويقدم قوله صلى الله عليه وسلم على قول كل أحد كائناً من كان، كما قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: ١]، فلا يقدم على قول رسول الله ﷺ قول أحد مهما كانت مكانته، كما يقول ابن عباس رضي الله عنهما: "يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء؛ أقول: قال رسول الله ﷺ، وتقولون: قال أبو بكر وعمر؟!"(١).

بل يجب على المسلم التصديق التام لخبره صلى الله عليه وسلم وهذا من مقتضى شهادته بأنه رسول الله، وننتقل إلى المسألة الآتية وهي مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بهذا المطلب.

---

(١) أحمد في المسند بنحوه (٥/ ٢٢٨) برقم (٣١٢١)، و الخطيب في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١٢١٠) رقم (٢٣٧٨)، والفقيه والمتفقه (١/ ٣٧٧)، وذكره بهذا اللفظ شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٢٠/ ٢١٥).

المطلب السابع: طاعته ﷺ والانقياد التام والاستسلام الكامل لأمره ﷺ من غير معارضة ولا ممانعة.

ومن لوازم شهادة أن محمداً رسول الله الطاعة له والانقياد التام لأمره من غير معارضة ولا ممانعة ولا مدافعة بل الاستسلام والانقياد التام، وقد دل على ذلك نصوص الكتاب والسنة، فمن ذلك الآيات التي أمر الله فيها بطاعته وطاعة رسوله وهي كثيرة، ومنها قوله تعالى:
﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٢].
وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [المائدة: ٩٢].
وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾ [محمد: ٣٣].
وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].
وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٣ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ [النساء: ١٣-١٤].
وقال تعالى في بيان أن طاعته ﷺ طاعة لله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ ﴾ [النساء: ٨٠].
وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧].
وقال تعالى في بيان الاستسلام والانقياد التام لأمره صلى الله عليه وسلم بدون أي معارضة ولا ممانعة: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾ [النساء: ٦٥].

قال ابن كثير رحمه الله عند تفسيره لهذه الآية: «يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة: أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع الأمور، فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطناً وظاهراً؛ ولهذا قال: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾ أي: إذا حكموك يطيعونك في بواطنهم فلا يجدون في أنفسهم حرجاً مما حكمت به، وينقادون له في الظاهر والباطن فيسلمون لذلك تسليماً كلياً من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة»(١).

وقال تعالى في بيان حال المؤمن الصادق مع أمر الله ورسوله: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥١ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾ [النور: ٥١-٥٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

ونقل ابن بطة عن الإمام أحمد رحمه الله قوله: "نظرت في المصحف فوجدت فيه طاعة رسول الله ﷺ في ثلاثة وثلاثين موضعًا"، ثم جعل يتلو: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، وجعل يكررها، ويقول: "وما الفتنة؟ الشرك، لعله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ، فيزيغ فيهلكه"، وجعل يتلو هذه الآية: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ﴾[النساء: ٦٥] (٢).

ويقول الإمام ابن بطة رحمه الله أيضاً: "فإذا سمع أحدكم حديثًا عن رسول الله ﷺ رواه العلماء، واحتج به الأئمة العقلاء، فلا يعارضه برأيه، وهوى نفسه، فيصيبه ما توعده الله ﷻ به، فإنه قال تعالى: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ

(١) تفسير ابن كثير – ت السلامة (٢/ ٣٤٩).

(٢) الإبانة الكبرى لابن بطة (١/ ٢٦١).

عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، وهل تدري ما الفتنة هاهنا؟ هي والله الشرك بالله العظيم، والكفر بعد الإيمان، فإن الله ﷻ قال: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٣]، يقول: حتى لا يكون شرك؛ فإنه قال تعالى: ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ﴾ [البقرة: ١٩١]، يقول: الشرك بالله أشد من قتلكم لهم، ثم قال ﷻ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]. أعاذنا الله وإياكم من هذه الأهوال، ووفقنا وإياكم لصالح الأعمال"(١).

أما دلالة السنة على وجوب طاعته صلى الله عليه وسلم فكثيرة أيضاً، ومنها على سبيل المثال، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى»(٢).

وقال ﷺ: "مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللهَ.." الحديث(٣).

---

(١) الإبانة الكبرى (١/ ٢٦٧).

(٢) أخرجه البخاري (٩/ ٩٢)ح(٧٢٨٠).

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ٥٠)ح(٢٩٥٧)، ومسلم (٦/ ١٣ ط التركية)ح(١٨٣٥).

المطلب الثامن: اجتناب ما نهى عنه وزجر.

ومن لوازم شهادة أن محمداً رسول الله الحرص على اجتناب ما نهى عنه صلى الله عليه وسلم والبعد عن معصيته، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧].

وقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

وقال تعالى في التحذير من معصية الله ورسوله: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء: ١٤].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ [الجن: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الأنفال: ١٣].

والأدلة على ذلك كثيرة، وما سبق من أدلة في وجوب طاعته فيها في المقابل التحذير من معصيته ﷺ.

المطلب التاسع: ألا يعبد الله إلا بما شرع ﷺ.

ومن مقتضيات شهادة أن محمداً رسول الله ولوازمها العظيمة ألا يعبد الله إلا بما شرعه صلى الله عليه وسلم ولا يعبد بالبدع والمحدثات والآراء والأهواء ويدل على هذا
الآيات والأحاديث التي سبقت في وجوب طاعته صلى الله عليه وسلم وتحريم معصيته، ويضاف إلى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم في وصيته لأصحابه: «فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى بَعْدِي اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»(١).
وقال ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»(٢).
وفي الرواية الأخرى في صحيح مسلم عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»(٣).

وكان يقول صلى الله عليه وسلم في خطبه: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: "كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ فِي خُطْبَتِهِ يَحْمَدُ اللهَ، وَيُثْنِي عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ يَقُولُ: مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ، إِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.." الحديث(٤).

وقال ﷺ: «..فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»(٥).

---

(١) أخرجه أحمد في المسند واللفظ له (٢٨/ ٣٧٣ ط الرسالة) ح(١٧١٤٤)، وأبو داود (٧/ ١٦ ت الأرنؤوط)ح(٤٦٠٧) ، وابن ماجه (١/ ١٦ ت عبد الباقي)ح(٤٣)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين (١/ ١٧٤ ط العلمية)ح(٣٢٩) وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ١٣٢)ح(٥٩)، وصححه الأرناؤوط في تحقيقه لسنن أبي داود(٧/ ١٧ ت الأرنؤوط)ح(٤٦٠٧).
(٢) أخرجه مسلم (٣/ ١٣٤٣)ح(١٧١٨).
(٣) أخرجه مسلم (٣/ ١٣٤٣)ح(١٧١٨).
(٤) أخرجه النسائي (٣/ ١٨٨)ح(١٥٧٨)، وهو في السنن الكبرى - النسائي - ط الرسالة (٢/ ٣٠٨)ح(١٧٩٩)، وصحيح ابن خزيمة ط ٣ (٢/ ٨٦٤)ح(١٧٨٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (١/ ٣٤٥)ح(١٤٨٧).
(٥) أخرجه البخاري (٧/ ٢)ح(٥٠٦٣)، ومسلم (٤/ ١٢٩ ط التركية)ح(١٤٠١).

وقَالَ ﷺ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى»(١).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: «كل بدعة ضلالة ، وإن رآها الناس حسنة»(٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال: «ما يأتي على الناس عام إلا أحدثوا فيه بدعة وأماتوا سنة ، حتى تحيا البدع وتموت السنن» . وسمعته يقول: «حتى تظهر البدع»(٣).

وعن مولى لابن مسعود قال: دخل أبو مسعود على حذيفة ، فقال: «اعهد إلي» . فقال: «ألم يأتك اليقين؟» قال: «بلى وعزة ربي» . قال: «فاعلم أن الضلالة حق الضلالة أن تعرف ما كنت تنكر ، وأن تنكر ما كنت تعرف ، وإياك والتلون في دين الله تعالى ، فإن دين الله واحد»(٤).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، قال: «ألا لا يقلدن أحدكم دينه رجلاً ، إن آمن آمن وإن كفر كفر ، فإن كنتم لا بد مقتدين فبالميت ، فإن الحي لا يؤمن عليه الفتنة»(٥).

وعن سفيان الثوري رحمه الله قال: "من جالس صاحب بدعة لم يسلم من إحدى ثلاث، إما أن يكون فتنة لغيره، وإما أن يقع في قلبه شيء فيزل به فيدخله الله النار، وإما أن يقول والله ما أبالي ما تكلموا وإني واثق بنفسي، فمن أمن الله على دينه طرفة عين سلبه إياه"(٦).

---

(١) أخرجه البخاري (٩/ ٩٢)ح(٧٢٨٠).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٠٤).

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٠٣).

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٠١).

(٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٠٥).

(٦) البدع والنهي عنها (ص٩٦).

وقال مالك بن أنس رحمه الله: "من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة، فقد زعم أن محمداً صلى الله عليه وسلم خان الرسالة؛ لأن الله يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، فما لم يكن يومئذ ديناً، فلا يكون اليوم ديناً"[١].

وقال أحمد بن حنبل رحمه الله: " أصول السنة عندنا: التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والاقتداء بهم ، وترك البدع ، وكل بدعة فهي ضلالة"[٢].

(١) الاعتصام للشاطبي ت الشقير والحميد والصيني (١/ ٦٥- ٦٦).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٧٦).

المبحث الثالث: معرفة حقوقه ﷺ والاجتهاد في القيام بها خير قيام، وفيه مطالب.

وللنبي صلى الله عليه وسلم حقوق كثيرة على أمته، وهي من مقتضيات شهادة أن محمداً رسول الله، سنسلط الضوء على أهمها في المطالب الآتية:

المطلب الأول: وجوب محبته ﷺ محبة تفوق النفس والوالد والولد والمال والناس جميعاً وفيه مسائل.

المسألة الأولى: النصوص الدالة على وجوب محبته صلى الله عليه وسلم.

لقد دلت النصوص على وجوب محبته محبة تفوق النفس والولد والوالد والمال والناس أجمعين، ومن ذلك: عن عَبْدِ اللهِ بْنَ هِشَامٍ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَهْوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: "لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ"، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الْآنَ وَاللهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: "الْآنَ يَا عُمَرُ"[١].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ»[٢].

وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»[٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٨/ ١٢٩)ح(٦٦٣٢).
(٢) أخرجه البخاري (١/ ١٢)ح(١٤).
(٣) أخرجه البخاري (١/ ١٢)ح(١٥)، ومسلم (١/ ٤٩ ط التركية)ح(٤٤).

وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: « لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ »(١).

وعَنْ أَنسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»(٢).

المسألة الثانية: ثمرات محبته صلى الله عليه وسلم كثيرة، ومنها.

١- **أن يذوق حلاوة الإيمان** كما في الحديث الذي سبق«ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ».

٢- **أن يحشر مع النبي ﷺ**، كما في الحديث قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ تَقُولُ فِي رَجُلٍ أَحَبَّ قَوْمًا وَلَمْ يَلْحَقْ بِهِمْ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ"(٣).

وعَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: قِيلَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: الرَّجُلُ يُحِبُّ الْقَوْمَ وَلَمَّا يَلْحَقْ بِهِمْ؟ قَالَ: "الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ"(٤).

وعَنْ أَنسٍ قَالَ: كَانَ يُعْجِبُنَا أَنْ يَجِيءَ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ، فَيَسْأَلَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَتَى قِيَامُ السَّاعَةِ؟ وَأُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَصَلَّى رَسُولُ اللهِ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ قَالَ: " أَيْنَ السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ؟ " قَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ.

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٤٩ ط التركية)ح(٤٤).

(٢) أخرجه البخاري (١/ ١٢)ح(١٦)، ومسلم (١/ ٤٨ ط التركية)ح(٤٣).

(٣) أخرجه البخاري (٨/ ٣٩)ح(٦١٦٩)، ومسلم (٨/ ٤٣ ط التركية)ح(٢٦٤١).

(٤) أخرجه البخاري (٨/ ٣٩)ح(٦١٧٠).

قَالَ: " وَمَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟ " قَالَ: مَا أَعْدَدْتُ لَهَا مِنْ كَبِيرِ عَمَلٍ، صَلَاةٍ، وَلَا صِيَامٍ، إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: " الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ ".

قَالَ أَنَسٌ: فَمَا رَأَيْتُ الْمُسْلِمِينَ فَرِحُوا بَعْدَ الْإِسْلَامِ بِشَيْءٍ مَا فَرِحُوا بِهِ»(١).

قَالَ أَنَسٌ رضي الله عنه: فَأَنَا أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ، وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِأَعْمَالِهِمْ »(٢).

ويؤيد هذا أن طاعة الله ورسوله سبب للفوز بهذا الفضل العظيم من مرافقة النبيين وعلى رأسهم النبي ﷺ، ومن أنعم الله عليهم من الصديقين والشهداء والصالحين في أعلى جنات النعيم، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

المسألة الثالثة: علامات محبته ﷺ.

وعلامات محبته صلى الله عليه وسلم كثيرة يندرج تحتها كل ما سبق من مقتضيات شهادة أن محمداً رسول الله فمن ذلك:

١- طاعته واتباع سنته ﷺ وتقديم قوله على كل قول.

٢- المسارعة إلى الاقتداء والتأسي به ﷺ في كل الأحوال والتشرف بذلك.

٣- الإكثار من الصلاة والسلام عليه ﷺ.

٤- تمني رؤيته ﷺ والشوق لذلك.

٥- محبة ما يحبه الرسول ﷺ وبغض ما يبغضه.

٦- تخصيص أهل بيته ﷺ المتبعين لسنته بمزيد محبة على بقية المسلمين.

٧- حب أصحابه ﷺ ومعرفة قدرهم رضوان الله عليهم.

---

(١) أصله في الصحيحين وهو مسند أحمد واللفظ له (١٩/ ٧١ ط الرسالة)ح(١٢٠١٣)، وسنن الترمذي (٤/ ٥٩٥ ت شاكر)ح(٢٣٨٥) وقال:"هذا حديث حسن صحيح" ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ١٦٦)ح(٣٠٣٢)، وقال محقق المسند(١٩/ ٧١ ط الرسالة): «إسناده صحيح على شرط الشيخين».

(٢) أخرجه مسلم (٨/ ٤٢ ط التركية).

٨- النصيحة لله ولكتابه ولرسوله.

٩- محاربة البدع والنفور منها.

١٠- الزهد في الدنيا وتعلق القلب بالآخرة.

١١- الحرص على نشر سنته ﷺ.

المطلب الثاني: وجوب تعزيره وتوقيره وتعظيمه ﷺ ونصرته.

ومن مقتضيات شهادة أن محمداً رسول الله، وهي من حقوقه على أمته، وجوب توقيره وتعزيره وتعظيمه ونصرته ﷺ وقد وردت بذلك النصوص، ومنها:

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٨ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُۚ﴾ [الفتح: ٨-٩].

وكل الأقوال في معنى التعزير والتوقير تجتمع في معنى النصرة والتعظيم له ﷺ.

قال ابن جرير رحمه الله: «وهذه الأقوال متقاربات المعاني وإن اختلفت ألفاظ أهلها بها. ومعنى التعزير في هذا الموضع التقوية بالنصرة والمعونة، ولا يكون ذلك إلا بالطاعة والتعظيم والإجلال»(١).

وقال ابن كثير رحمه الله: « ﴿لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ﴾، قال ابن عباس وغير واحد: يعظموه، ﴿ وَتُوَقِّرُوهُۚ﴾ من التوقير وهو الاحترام والإجلال والإعظام»(٢).

وقال السعدي رحمه الله: «أي: تعظموه وتجلوه، وتقوموا بحقوقه، كما كانت له المنة العظيمة برقابكم»(٣).

وقال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

«إن تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم، وإجلاله، وتوقيره، شعبة عظيمة من شعب الإيمان، وهذه الشعبة غير شعبة المحبة، بل إن منزلتها ورتبتها فوق منزلة ورتبة المحبة؛ ذلك لأنه ليس

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٢٥٢ ت التركي).

(٢) تفسير ابن كثير – ت السلامة (٧/ ٣٢٩).

(٣) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص٧٩٢).

كل محب معظماً، ألا ترى أن الوالد يحب ولده ولكن حبه إياه يدعوه إلى تكريمه ولا يدعوه إلى تعظيمه.

والولد يحب والده فيجمع له بين التكريم والتعظيم.

والسيد قد يحب مماليكه ولكنه لا يعظمهم، والمماليك يحبون ساداتهم ويعظمونهم.

فعلمنا بذلك أن التعظيم رتبته فوق رتبة المحبة.

فمن حق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته أن يهاب ويعظم ويوقر ويجل أكثر من كل ولد لوالده ومن كل عبد لسيده، فهذا حق من حقوقه الواجبة له مما يزيد على لوازم الرسالة»[١].

قال الحليمي رحمه الله: «فمعلوم أن حقوق رسول الله صلى الله عليه وسلم أجل وأعظم وأكرم وألزم لنا وأوجب علينا من حقوق السادات على مماليكهم والآباء على أولادهم؛ لأن الله تعالى أنقذنا به من النار في الآخرة، وعصم به لنا أرواحنا وأبداننا وأعراضنا وأموالنا وأهلينا وأولادنا في العاجلة، فهدانا به لما إذا أطعناه فيه أدانا إلى جنات النعيم.

فأية نعمة توازي هذه النعم؟ وأية منة تداني هذه المنن؟ ثم إنه جل ثناؤه ألزمنا طاعته، وتوعدنا على معصيته بالنار ووعدنا باتباعه الجنة.

فأي رتبة تضاهي هذه الرتبة؟، وأي درجة تساوي في العلا هذه الدرجة؟، فحق علينا أن نحبه ونجله ونعظمه ونهابه أكثر من إجلال كل عبد سيده وكل ولد والده، وبمثل هذا نطق القرآن ووردت أوامر الله جل ثناؤه»[٢].

---

(١) حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته في ضوء الكتاب والسنة (٢/ ٤٢٣) وقد أخذ بعض هذه المعاني من كتاب المنهاج للحليمي.

(٢) المنهاج في شعب الإيمان (٢/ ١٢٤- ١٢٥).

المطلب الثالث: الصلاة والسلام عليه ﷺ.

ومن حقوقه ﷺ التي أوجبها الله على أمته الصلاة والسلام عليه، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

فالآية كما ترى يوجب الله فيها على المؤمنين الصلاة والسلام على رسوله،«والمقصود من هذه الآية: أن الله سبحانه أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى، بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه، ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعاً»(١).

و«هذا فيه تنبيه على كمال رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورفعة درجته، وعلو منزلته عند الله وعند خلقه، ورفع ذكره»(٢).

والأحاديث في فضل الصلاة والسلام عليه كثيرة وقد جمع ابن القيم رحمه الله مؤلفاً بديعاً في ذلك(٣).

قال ﷺ: «فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا»(٤).

وفي الحديث أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَ ذَاتَ يَوْمٍ وَالْبُشْرَى فِي وَجْهِهِ، فَقُلْنَا: إِنَّا لَنَرَى الْبُشْرَى فِي وَجْهِكَ، فَقَالَ: " إِنَّهُ أَتَانِي الْمَلَكُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ رَبَّكَ يَقُولُ: أَمَا

---

(١) تفسير ابن كثير – ت السلامة (٦/ ٤٥٧).

(٢) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص٦٧١).

(٣) أسماه :«جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام صلى الله عليه وسلم».

(٤) أخرجه مسلم (٢/ ٤ ط التركية)ح(٣٨٤).

يُرْضِيكَ أَنَّهُ لَا يُصَلِّي عَلَيْكَ أَحَدٌ إِلَّا صَلَّيْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا، وَلَا يُسَلِّمُ عَلَيْكَ أَحَدٌ، إِلَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا "(١).

وقَالَ صلى الله عليه وسلم: «الْبَخِيلُ مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ»(٢).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ»(٣).

وقال صلى الله عليه وسلم:«مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ»(٤).

وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الْأَرْضِ يُبَلِّغُونِي مِنْ أُمَّتِي السَّلَامَ»(٥).

---

(١) أخرجه أحمد (٢٦/ ٢٨٠-٢٨١) ح(١٦٣٦١)، والنسائي (٣/ ٤٤) ح(١٢٨٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع(١/ ٧٥) ح(٧١) وحسنه فيه مرة أخرى (١/ ٤٣٨) ح(٢١٩٨)، وقال في صحيح الترغيب والترهيب(٢/٢٩١)ح(١٦٦١) عن رواية أحمد:"حسن صحيح"، وقال محقق المسند(٢٦/٢٨١): "حسن لغيره".

(٢) أخرجه في المسند(٣/ ٢٥٨ ط الرسالة)ح(١٧٣٦)، والنسائي السنن الكبرى ط الرسالة (٧/ ٢٩١)ح(٨٠٤٦)، وأبو يعلى (١٢/ ١٤٧ ت حسين أسد)ح(٦٧٧٦)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٣٠١)ح(١٦٨٣)، وقال محقق المسند (٣/ ٢٥٨ ط الرسالة): «إسناده قوي».

(٣) أخرجه أبو داود (٢/ ٢١٨ ت محيي الدين عبد الحميد)ح(٢٠٤٢) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ط غراس (٦/ ٢٨٢)ح(١٧٨٠).

(٤) أخرجه أحمد (١٦/ ٤٧٧) ح(١٠٨١٥)، وأبو داود (٢/ ٢١٨)ح(٢٠٤١)، وقال في فتح الباري لابن حجر (٦/ ٤٨٨):" ورواته ثقات" ، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٢٩٣) ح(١٦٦٦)، وقال محقق المسند:" إسناده حسن".

(٥) أخرجه أحمد (٦/ ١٨٣) ح(٣٦٦٦)، والنسائي (٣/ ٤٣)ح(١٢٨٢) وصححه الحاكم (٢/ ٤٥٦) ح(٣٥٧٦) ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٢٩٢) ح(١٦٦٤)، وقال محقق المسند:" إسناده صحيح على شرط مسلم".

ومن أعظم ما يدل على هذا الحق العظيم له صلى الله عليه وسلم أن الصلاة الإبراهيمية ركن من أركان الصلاة في التشهد الأخير لا تصح الصلاة إلا بها، ولها عدة صيغ من أشهرها: "اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ "(١).

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٤٦) ح(٣٣٧٠).

الفصل الثالث: وجوب الحذر من الغلو فيه ﷺ وتجاوز الحد الذي شرعه الله، وفيه تمهيد ومباحث.

التمهيد.

النصوص في التحذير من الغلو بكل أنواعه.

وقبل الكلام عن ما جاء من النصوص في التحذير من الغلو فيه ﷺ، نذكر النصوص التي حذرت من الغلو بكل أنواعه، فمن ذلك:

والغلو هو مجاوزة الحد الذي شرعه الله في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾ [النساء: ١٧١].

قال ابن كثير رحمه الله: «ينهى تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء، وهذا كثير في النصارى، فإنهم تجاوزوا حد التصديق بعيسى، حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله إياها، فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلهاً من دون الله يعبدونه كما يعبدونه، بل قد غلوا في أتباعه وأشياعه، ممن زعم أنه على دينه، فادعوا فيهم العصمة واتبعوهم في كل ما قالوه، سواء كان حقاً أو باطلاً أو ضلالاً أو رشاداً، أو صحيحاً أو كذباً؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]»(١).

وقال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧].

---

(١) تفسير ابن كثير – ت السلامة (٢/ ٤٧٧).

وقال ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية: «أي: لا تجاوزوا الحد في اتباع الحق، ولا تطروا من أمرتم بتعظيمه فتبالغوا فيه، حتى تخرجوه عن حيز النبوة إلى مقام الإلهية، كما صنعتم في المسيح، وهو نبي من الأنبياء، فجعلتموه إلهاً من دون الله، وما ذاك إلا لاقتدائكم بشيوخ الضلال، الذين هم سلفكم ممن ضل قديماً»(١).

وقال ﷺ: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: غَدَاةَ الْعَقَبَةِ وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ «الْقُطْ لِي حَصًى» فَلَقَطْتُ لَهُ سَبْعَ حَصَيَاتٍ، هُنَّ حَصَى الْخَذْفِ، فَجَعَلَ يَنْفُضُهُنَّ فِي كَفِّهِ وَيَقُولُ «أَمْثَالَ هَؤُلَاءِ، فَارْمُوا» ثُمَّ قَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ»(٢).

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: « هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ قَالَهَا ثَلَاثًا»(٣).

فهذه النصوص تدل على التحذير الشديد من الغلو بكل أنواعه وأصنافه؛ لأنه أحد مداخل الفتنة والشر العظيم، الذي دخل منها الشيطان وأعوانه في إضلال الأمة وحرفها عن دين ربها.

---

(١) تفسير ابن كثير - ت السلامة (٣/ ١٥٩).

(٢) أخرجه في المسند(٥/ ٢٩٨ ط الرسالة)ح(٣٢٤٨)، وابن ماجه (٢/ ١٠٠٨ ت عبد الباقي)ح(٣٠٢٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع(١/ ٥٢٢)ح(٢٦٨٠)، وقال محقق المسند (٥/ ٢٩٨ ط الرسالة): «إسناده صحيح على شرط مسلم».

(٣) أخرجه مسلم (٨/ ٥٨ ط التركية)ح(٢٦٧٠).

المبحث الأول: وجوب الحذر من الغلو فيه ﷺ وتجاوز الحد الذي شرعه الله، وفيه تمهيد ومطلبان.

التمهيد.

ومن لوازم شهادة أن محمداً رسول الله الاتباع في القيام بحقوقه ﷺ كما دلت على ذلك نصوص الكتاب والسنة، ومما دلت عليه النصوص أيضاً وجوب الحذر من الغلو فيه وتجاوز الحد الذي شرعه الله في حقه ﷺ، لأن محبته ﷺ وسائر حقوقه يلتزم فيها بما شرع الله ولا يتجاوز الشرع في ذلك فيحصل الغلو في حقه ﷺ الذي حذر منه أمته تحذيراً عظيماً فتركها على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، كما سبق بيان ذلك في مسألة أركان شهادة أن محمداً رسول الله.

ودونك بعض الإضافات في ذلك.

المطلب الأول: النصوص الدالة على التحذير من عبادة غير الله من الأنبياء وغيرهم.

بعث الله جميع الرسل بالدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥].

وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٩-٨٠].

وقد سبق الكلام حول هذه المعاني في شهادة أن لا إله إلا الله.

«فلا إله إلا الله معناها أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئاً.

فإن الإله: هو الذي تألهه القلوب عبادة واستعانة ومحبة وتعظيمًا وخوفًا ورجاءً وإجلالاً وإكرامًا.

وهو سبحانه له حق لا يشركه فيه غيره، فلا يعبد إلا الله ولا يدعى إلا الله ولا يخاف إلا الله ولا يطاع إلا الله.

وأما شهادة أن محمدًا رسول الله فهي تعني ألا نعبد الله إلا بما شرعه على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو المبلغ عن الله طاعته وأمره ونهيه وتحليله وتحريمه، فهو الواسطة بين الله وبين خلقه في تبليغ أمره ونهيه ووعده ووعيده.

وليس للرسول واسطة في إجابة الدعاء، وكشف البلاء، والهداية، والإغناء ونحو ذلك.

فالله تعالى هو المتفرد بذلك فهو سبحانه الذي يسمع ويرى ويعلم السر والنجوى وهو القادر على إنزال النعم وإزالة الضر من غير احتياج منه إلى أن يعرفه أحد أحوال عباده أو يعينه على قضاء حوائجهم.

والأسباب التي بها يحصل ذلك هو خلقها ويسرها، فهو مسبب الأسباب التي يحصل بها ذلك ولهذا فرض سبحانه على المصلى أن يقول في صلاته﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

فالله سبحانه أجل وأعظم وأغني وأعلى من أن يفتقر إلى شيء، بل هو الأحد الصمد وكل ما سواه مفتقر إليه، وهو مستغن عن كل ما سواه. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ذَاتَ يَوْمٍ، فَذَكَرَ الْغُلُولَ فَعَظَّمَهُ وَعَظَّمَ أَمْرَهُ، ثُمَّ قَالَ: "لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ. لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ فَرَسٌ لَهُ حَمْحَمَةٌ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ. لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ شَاةٌ لَهَا ثُغَاءٌ، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ.."الحديث[(١)].

(١) أخرجه البخاري (٤/ ٧٤)ح(٣٠٧٣)، ومسلم واللفظ له (٦/ ١٠ ط التركية)ح(١٨٣١).

فهؤلاء الذين بلغهم أخبر أنهم إذا استغاثوا به يوم القيامة وسألوه الشفاعة يقول لهم لا أملك لكم من الله شيئاً قد أبلغتكم.

فعلى المسلم أن يفرق لأن ما هو حق لله وحده وبين ما هو حق لرسله.

فالله أمرنا أن نؤمن بالأنبياء وما جاؤا به، وفرض علينا طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم الذي بعثه إلينا وأوجب علينا محبته وتعزيره وتوقيره والتسليم لحكمه.

وأمرنا أيضاً أن لا نعبد إلا الله وحده لا نشرك به شيئاً ولا نتخذ الملائكة والنبيين أربابًا.

وفرق بين حقه الذي يختص به الذي لا يشركه فيه لا ملك ولا نبي.

وبين الحق الذي أوجبه علينا لملائكته وأنبيائه عمومًا ولمحمد صلى الله عليه وسلم خاتم الرسل خصوصاً»[1].

لأن الدعاء عبادة خاصة بالله تعالى لا يجوز صرفها لغيره، ومن صرفها لغيره فقد وقع في الشرك؛ لأن الدعاء رأس العبادة كما نص على ذلك الدليل، فعَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ» ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠][2]، ولهذا حذر الله من دعاء غيره في كثير من الآيات، وبين أن من يدعى من دونه ليس بيده شيء إنما الأمر كله بيد الله وحده لا شريك فهو المستحق للدعاء وحده، فقال في بيان ذلك: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾ [الإسراء: ٥٦].

---

(١) حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته في ضوء الكتاب والسنة (٢/ ٦٦١-٦٦٢) مع بعض التصرف اليسير.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٣٠/ ٣٤٠) ح (١٨٣٩١)، وأبو داود (٢/ ٧٦) ح (١٤٧٩)، والترمذي (٥/ ٣٧٥) ح (٣٢٤٧) وقال: "هذا حديث حسن صحيح"، وابن ماجه (٢/ ١٢٥٨) ح (٣٨٢٨)، والحاكم (١/ ٦٦٧) ح (١٨٠٢) وصححه، وأقره الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع(١/ ٦٤١) ح (٣٤٠٧)، وقال محقق المسند (٣٠/ ٣٤٠) ح (١٨٣٩١): "إسناده صحيح".

وقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴾ [سبأ: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝١٣ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ۝١٤ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٣-١٥].

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝٢٠ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ۝٢١ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ [النحل: ٢٠-٢٢].

وأمر سبحانه بدعائه وحده لا شريك له، فقال تعالى: وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

وقال تعالى: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥].

وقال تعالى: ﴿ فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [غافر: ١٤].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

وعنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما، قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ

بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوك بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ»(١).

والشاهد من الحديث على أن الدعاء حق خاص بالله تعالى:" إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ ".

وهناك الكثير جداً من الأدلة في الكتاب والسنة تدل دلالة صريحة على أن الدعاء عبادة خاصة بالله تعالى لا يجوز صرفها لغيره لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل ولا لإمام ولا لولي، ومن صرف الدعاء لغير الله، فقد وقع في الشرك وظلم نفسه ظلماً عظيماً كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٦٧) ح(٢٥١٦) قال: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٣/ ١٤٥٩) ح(٥٣٠٢)، وقال محقق المسند(٤/ ٤١٠ ط الرسالة): «إسناده قوي».

المطلب الثاني: الفرق بين ما هو حق خاص لله تعالى وما هو حق للرسول ﷺ.

وأعظم سبب للغلو فيه ﷺ هو التباس حق الله الخاص به سبحانه وتعالى بحق الرسول ﷺ؛ ولأن حق الله الخاص به يتعلق بشهادة التوحيد بأنه الإله المستحق للعبادة وحده لا شريك، فمن صرف شيئاً من العبادة لغير الله للرسول أو لغيره، فقد وقع في الشرك واعتدى على حق الله وصرفه لغيره، ووقع في الظلم كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

وللرسول صلى الله عليه وسلم حقوق جعلها الله له تشريفاً وتكريماً له تفضلاً من الله سبحانه وتعالى عليه.

ومر الكلام عنها وهي مقتضيات شهادة أن محمداً عبده ورسوله ﷺ وهذه الحقوق له صلى الله عليه وسلم لا تخرجه عن كونه بشر لا يعلم الغيب فلا يدعى من دون الله ولا يستغاث به ولا يطلب منه المدد وكشف الكربات، فكل هذه حقوق خاصة بالله لا تصرف لغيره لا لملائكة ولا لرسل أو أنبياء، ولا لغيرهم من باب أولى.

"فالواجب على كل مسلم أن يدرك خطورة الأمر، وأن يعلم أن الدعاء حق خالص لله عز وجل لا يجوز أن يشرك معه فيه غيره، وكيف يشرك المخلوق الضعيف العاجز بالملك العظيم الذي بيده أزمة الأمور، المتفرد بإجابة الدعاء وكشف الكروب، الذي له الأمر كله، وبيده الخير كله، وإليه يرجع الأمر كله، لا معقب لحكمه، ولا راد لقضائه، الذي ما تعلق به ضعيف إلا أفاده القوة، ولا ذليل إلا أناله العزة، ولا فقير إلا أعطاه الغنى، ولا مستوحش إلا آنسه، ولا مغلوب إلا أيده ونصره، ولا مضطر إلا كشف ضره، ولا شريد إلا آواه، فهو سبحانه الذي يجيب المضطرين، ويغيث الملهوفين، ويعطي السائلين، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، لا إله إلا هو الملك الحق المبين.

وقد أجمع أهل العلم على أن من صرف شيئاً من الدعاء لغير الله فهو مشرك بالله العظيم، ولو قال لا إله إلا الله محمد رسول الله، ولو صلى وصام؛ إذ شرط الإسلام أن لا يعبد إلا الله، فليحذر من يريد لنفسه الفوز والسعادة من هذا الإثم المبين والخطر العظيم"[١].

(١) ينظر: فقه الأدعية والأذكار (٢/ ٤٢- ٤٣).

المبحث الثاني: تحذيره صلى الله عليه وسلم لأمته من كل أسباب الغلو فيه وفي غيره، وفيه مطلبان.

المطلب الأول: تحذيره لأمته صلى الله عليه وسلم من أسباب الغلو والشرك.

وعلى رأس ذلك الفتنة بعبادة المقبورين، فحين يختل في قلب العبد معرفة الله حق المعرفة وتعظيمه حق التعظيم يضعف قدر الله في القلب، فما يقدره حق قدره فيصرف ما له من العبادة لغيره، ويتعلق قلبه بغير الله، فيقع في عبادة المقبورين بحجة أنهم واسطة له عند الله، وأنهم يتشفعون له عند الله، تعالى الله وتقدس عما يقوله الظالمون علواً كبيراً، فوقع هؤلاء في دعاء غير الله وطلبوا من الموتى ما لا يقدر عليه إلا الله.

ولذا توافرت النصوص في التحذير من هذا، وبينت أن الغلو في الصالحين وعبادة المقبورين فيها يصيرها أوثاناً تعبد من دون الله، فقد أوحى" عدو الله وعدو عباده المؤمنين إبليس إلى حزبه وأوليائه من الفتنة بقبور الأنبياء والأولياء والصالحين، حتى آل الأمر فيها إلى أن عبد أربابها من دون الله، وعبدت قبورهم واتخذت أوثاناً، وبنيت عليها الهياكل، وصورت أربابها ثم جعلت تلك الصور أجساداً لها ظل، ثم جعلت أصناماً وعبدت مع الله تعالى، وكان أول وقوع هذا الداء في قوم نوح، كما أخبر الله سبحانه عنهم في كتابه، فقال تعالى"[1]:

﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ۝٢٣ وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا﴾ [نوح: ٢٣-٢٤]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «صَارَتِ الْأَوْثَانُ الَّتِي كَانَتْ فِي قَوْمِ نُوحٍ فِي الْعَرَبِ بَعْدُ، أَمَّا وَدٌّ: كَانَتْ لِكَلْبٍ بِدَوْمَةِ الْجَنْدَلِ، وَأَمَّا سُوَاعٌ: كَانَتْ لِهُذَيْلٍ، وَأَمَّا يَغُوثُ: فَكَانَتْ لِمُرَادٍ، ثُمَّ لِبَنِي غُطَيْفٍ بِالْجَوْفِ عِنْدَ سَبَأٍ، وَأَمَّا يَعُوقُ: فَكَانَتْ لِهَمْدَانَ، وَأَمَّا نَسْرٌ: فَكَانَتْ لِحِمْيَرَ، لِآلِ ذِي الْكَلَاعِ، أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ: أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا

(١) فقه الأدعية والأذكار (٢/ ١٣٠).

يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ، وَتَنَسَّخَ الْعِلْمُ عُبِدَتْ»(١).

وروى ابن جرير رحمه الله بسنده إلى محمد بن قيس رحمه الله قال: " ﴿وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣] قال: كانوا قوماً صالحين من بنى آدم، وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم، فصوروهم، فلما ماتوا، وجاء آخرون دب إليهم إبليس، فقال: إنما كانوا يعبدونهم، وبهم يسقون المطر فعبدوهم"(٢).

وفي هذا المقام أحب أن أنقل كلاماً متيناً شافياً كافياً في هذه المسألة العظيمة لابن القيم رحمه الله وسأنقله بطوله لأهميته(٣):

"وقال غير واحد من السلف: «كان هؤلاء قومًا صالحين في قوم نوح عليه السلام، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوّروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمَدُ فعبدوهم»(٤).

فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين: فتنة القبور، وفتنة التماثيل، وهما الفتنتان اللتان أشار إليهما رسول الله ﷺ في الحديث المتفق على صحته عن عائشة رضي الله عنها: أن أمّ سَلَمَة رضي الله عنها ذكرت لرسول الله ﷺ كَنِيسة رأتها بأرضِ الحبشة يقال لها: ماريةُ، فذكرتْ له ما رأت فيها من الصور، فقال رسول الله ﷺ: «أُولَئِكَ قَوْمٌ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الْعَبْدُ الصَّالِحُ، أَوِ الرَّجُلُ الصَّالِحُ، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ، أُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللهِ»(٥).

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ١٦٠ ط السلطانية)رقم الأثر(٤٩٢٠).

(٢) تفسير الطبري جامع البيان – ط هجر (٢٣/ ٣٠٣).

(٣) إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان (١/ ٣٣٢ – ٣٤٢ ط عطاءات العلم)، وحرصت على نقل لفظ الحديث من مصدره.

(٤) ينظر: الدر المنثور (١٤/ ٧١٣) ط. التركي.

(٥) أخرجه البخاري ح(٤٣٤)، ومسلم ح(٥٢٨).

وفى لفظ آخر في الصحيحين: أن أم حبيبة وأم سَلمة ذكرتا كنيسة رأينها[١].

فجمع في هذا الحديث بين التماثيل والقبور.

وهذا كان سبب عبادة اللات. فروى ابن جرير بإسناده عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ [النجم: ١٩]، قال: «كان يَلُتّ لهم السّويق، فمات، فعكفوا على قبره»[٢].

وكذلك قال أبو الجَوْزاء عن ابن عباس: «كان يلتّ السويق للحاجّ»[٣].

فقد رأيتَ أن سبب عبادة يغوث ويعوق ونَسْر واللات إنما كانت من تعظيم قبورهم، ثم اتخذوا لها التماثيل وعبدوها كما أشار إليه النبي ﷺ.

قال شيخنا[٤]: وهذه العلة التي لأجلها نهى الشارع عن اتخاذ المساجد على القبور؛ هي التي أوقعت كثيرًا من الأُمم إما في الشرك الأكبر، أو فيما دونه من الشرك؛ فإن النفوس قد أشركت بتماثيل القوم الصالحين، وتماثيل يزعمون أنه طلاسم للكواكب ونحو ذلك؛ فإن الشّرك بقبر الرجل الذي يُعتقد صلاحه أقربُ إلى النفوس من الشرك بخشَبة أو حَجَر.

ولهذا تَجد أهل الشرك كثيرًا يتضرعون عندها، ويخشعون ويخضعون، ويعبدونهم بقلوبهم عبادةً لا يفعلونها في بيوت الله، ولا وقت السَّحَر، ومنهم من يسجد لها، وأكثرهم يرجون من بركة الصلاة عندها والدعاء ما لا يرجونه في المساجد.

---

(١) أخرجه البخاري ح(٣٨٧٣)، ومسلم ح(٥٢٨)، وهو عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها « أَنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ وَأُمَّ سَلَمَةَ ذَكَرَتَا كَنِيسَةً رَأَيْنَهَا بِالْحَبَشَةِ فِيهَا تَصَاوِيرُ لِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: إِنَّ أُولَئِكِ إِذَا كَانَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَمَاتَ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكِ الصُّوَرَ، أُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ».

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٢٣).

(٣) أخرجه البخاري رقم (٤٨٥٩).

(٤) يقصد شيخ الإسلام ابن تيمية، ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ١٩٢ وما بعدها).

فلأجل هذه المفسدة حَسَم النبي ﷺ مادتها، حتى نهى عن الصلاة في المقبرة مطلقًا، وإن لم يقصد المصلي بَرَكة البقعة بصلاته، كما يقصد بصلاته بَرَكة المساجد، كما نهى عن الصلاة وقت طلوع الشمس وغروبها؛ لأنها أوقات يقصد المشركون الصلاة فيها للشمس، فنهى أمته عن الصلاة حينئذٍ، وإن لم يقصد المصلي ما قصده المشركون، سدًّا للذريعة.

قال: وأما إذا قصد الرجل الصلاة عند القبور، متبرِّكًا بالصلاة في تلك البُقعة، فهذا عين المحادّة لله ورسوله، والمخالفةِ لدينه، وابتداع دينٍ لم يأذن به الله؛ فإن المسلمين قد أجمعوا على ما علموه بالاضطرار من دين رسول الله ﷺ: أن الصلاة عند القبور منهيّ عنها، وأنه لَعن من اتخذها مساجد، فمِنْ أعظم المحدثات وأسباب الشّرك: الصلاةُ عندها، واتخاذها مساجد، وبناء المساجد عليها، فقد تواترت النصوص عن النبي ﷺ بالنهي عن ذلك والتغليظ فيه، فقد صرّح عامة الطوائف بالنهي عن بناء المساجد عليها، متابعةً منهم للسنة الصحيحة الصريحة.

وصرَّح أصحاب أحمد وغيرهم من أصحاب مالك والشافعي بتحريم ذلك، وطائفة أطلقت الكراهة، والذي ينبغي أن يحمل على كراهة التحريم؛ إحسانًا للظن بالعلماء، وأن لا يُظَنّ بهم أن يجوّزوا فعل ما تواتر عن رسول الله ﷺ لعنُ فاعله، والنهي عنه.

ففي صحيح مسلم عن جُندَب بن عبد الله البَجلي، قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ وَهُوَ يَقُولُ: « إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَدِ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا. وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا! أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ! إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ»(١).

---

(١) أخرجه مسلم ح(٥٣٢).

وعن عائشة وعبد الله بن عباس، قالا: لَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ وَهُوَ كَذَلِكَ: «لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ» يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا. متفق عليه(١).

وفى الصحيحين أيضًا عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: قَاتَلَ اللهُ الْيَهُودَ! اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»(٢).

وفى رواية مسلم: « لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى!! اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»(٣).

فقد نهى عن اتخاذ القبور مساجد في آخر حياته، ثم إنه لعن وهو في السياق مَنْ فعل ذلك من أهل الكتاب؛ ليُحذِّر أمته أن يفعلوا ذلك.

قالت عائشة رضي الله عنها: قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يَقُمْ منه: «لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»، قَالَتْ: فَلَوْلَا ذَاكَ أُبْرِزَ قَبْرُهُ، غَيْرَ أَنَّهُ خُشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا. متفق عليه(٤).

وقولها: «خُشيَ» هو بضم الخاء؛ تعليلاً لمنع إبراز قبره.

وروى الإمام أحمد في مسنده بإسناد جيد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم، يَقُولُ: " إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَمَنْ يَتَّخِذُ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ "(٥).

---

(١) أخرجه البخاري ح(٤٣٥)، ومسلم ح(٥٣١).

(٢) أخرجه البخاري ح(٤٣٧)، ومسلم ح(٥٣٠).

(٣) أخرجه مسلم ح(٥٣٠).

(٤) أخرجه البخاري ح(١٣٣٠)، ومسلم ح(٥٢٩).

(٥) أخرجه أحمد (٦/ ٣٩٤ ط الرسالة)ح(٣٨٤٤)، وصححه جمع من أهل العلم.

وعن زيد بن ثابت، أن رسول الله ﷺ قال: «لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ. رواه الإمام أحمد[1].

وعن ابن عباس، قال: «لَعَنَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم زَائِرَاتِ الْقُبُورِ، وَالْمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ». رواه الإمام أحمد، وأهل السنن[2]"[3].

المطلب الثاني: ما قاله عن نفسه ﷺ في التحذير من الغلو فيه.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ سَمِعَ عُمَرَ رضي الله عنه يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ»[4].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، يَا سَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا، وَخَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ بِتَقْوَاكُمْ، لَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ، أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَاللهِ مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللهُ "[5].

وقد سبق الكلام في ذلك.

---

(١) أخرجه أحمد (٣٥/ ٤٨٢ ط الرسالة)ح(٢١٦٠٤). والحديث صحيح بشواهده.

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٤٧١ ط الرسالة)ح(٢٠٣٠) وصححه جمع من أهل العلم .

(٣) إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان (١/ ٣٣٢ - ٣٤٢ ط عطاءات العلم).

(٤) أخرجه البخاري (٤/ ١٦٧)ح(٣٤٤٥).

(٥) أخرجه أحمد في المسند(٢٠/ ٢٣ ط الرسالة)ح(١٢٥٥١)، قال محقق المسند:"إسناده صحيح على شرط مسلم".

المبحث الثالث : نماذج من الغلو الذي حصل في شأن النبي ﷺ، وفيه تمهيد وعدة مطالب.

تمهيد.

مع أنه صلى الله عليه وسلم حذر أمته من الغلو فيه أشد التحذير، وحمى جناب التوحيد، وسد كل المنافذ لذلك، وترك أمته على المحجة البيضاء واضحة كالشمس لا لبس فيها وليس دونها سحاب، حيث قال ﷺ في موعظته الشهيرة لأمته: «عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرٍو السُّلَمِيِّ، أَنَّهُ سَمِعَ الْعِرْبَاضَ بْنَ سَارِيَةَ قَالَ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم مَوْعِظَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ هَذِهِ لَمَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ قَالَ: " قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ، وَمَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ، فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الْأَنِفِ حَيْثُمَا انْقِيدَ انْقَادَ "[١].

وفي اللفظ الآخر للحديث: «فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى بَعْدِي اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»[٢].

---

(١) أخرجه في المسند(٢٨/ ٣٦٧ ط الرسالة)ح(١٧١٤٢)، وابن ماجه (١/ ١٦ ت عبد الباقي)ح(٤٣)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين (١/ ١٧٥ ط العلمية)ح(٣٣١) وصححه وأقره الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ١٣٢)ح(٥٩)، وصححه الأرناؤوط في تحقيقه لسنن أبي داود (١/ ٢٩)ح(٤٣).

(٢) أخرجه أحمد في المسند واللفظ له (٢٨/ ٣٧٣ ط الرسالة) ح(١٧١٤٤)، وأبو داود (٧/ ١٦ ت الأرنؤوط)ح(٤٦٠٧) ، وابن ماجه (١/ ١٦ ت عبد الباقي)ح(٤٣)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين (١/ ١٧٤ ط العلمية)ح(٣٢٩) وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ١٣٢)ح(٥٩)، وصححه الأرناؤوط في تحقيقه لسنن أبي داود(٧/ ١٧ ت الأرنؤوط)ح(٤٦٠٧).

إلا أن فئام من أمته ركبت الصعب والذلول للسير في طرق الأمم الضالة من يهود ونصارى وبوذيين ومجوس ومن سار على طريقهم من المغضوب عليهم والضالين، فوقعوا فيما حذرهم منه صلى الله عليه وسلم، وغلو فيه ورفعوه فوق منزلته التي أنزله الله فيها، وجعلوا ما هو حق لله خاص به ﷻ جعلوه للنبي ﷺ، فوقعوا في الشرك به، فدعوه من دون الله، واستغاثوا به بعد وفاته ﷺ، وعندما يقفون عند قبره يطلبون منه ما لا يطلب إلا من الله، ودونك بعض الأمثلة على الغلو في حقه ﷺ باختصار(١):

المطلب الأول: دعاؤه من دون الله وطلب الحوائج منه التي لا تطلب إلا من الله، وجعله واسطة في قضاء الحوائج.

وهذا من أعظم الغلو فيه صلى الله عليه وسلم ورفعه فوق منزلته التي أنزله الله فيه، وهي قوله صلى الله عليه وسلم عن نفسه:«لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ»(٢).

والدعاء من أعظم العبادات التي لا يجوز صرفها لغير الله، فمن دعا غير الله فقد وقع في الشرك وصرف العبادة لغير الله، وجعل ما هو من خصائص الله وحقه الخاص به ﷻ للمخلوق، وبعد أن ذكر الشيخ سليمان بن عبد الله الأدلة على أن الدعاء عبادة لله تعالى، فقال رحمه الله: « فثبت بهذا أن الدعاء عبادة من أجل العبادات، بل هو أكرمها على الله كما تقدم، فإن لم يكن الإشراك فيه شركًا، فليس في الأرض شرك، وإن كان في الأرض شرك

(١) من أراد التوسع في هذا الموضوع فليرجع إلى:

- خصائص النبي صلى الله عليه وسلم بين الغلو والجفاء، رسالة ماجستير.
- حقوق النبي ﷺ على أمته في ضوء الكتاب والسنة.
- شبهات المبتدعة في توحيد العبادة عرض ونقد، رسالة دكتوراه.

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٦٧)ح(٣٤٤٥).

فالشرك في الدعاء أولى أن يكون شركًا من الإشراك في غيره من أنواع العبادة، بل الإشراك في الدعاء هو أكبر شرك المشركين الذين بعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم»(١).

ومر معنا تفصيل هذه المسألة.

المطلب الثاني: الاستغاثة به بعد موته ﷺ(٢).

أما الاستغاثة به صلى الله عليه وسلم في حال حياته فيما يقدر عليه فهو أمر مشروع دلت عليه النصوص، فإذا كان عامة الناس وهم أحياء يستطيعون الإغاثة فيما يقدرون عليه، فالنبي صلى الله عليه وسلم من باب أولى، ومما يدل على جواز ذلك قوله تعالى في حق موسى عليه السلام: ﴿وَدَخَلَ ٱلۡمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفۡلَةٖ مِّنۡ أَهۡلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيۡنِ يَقۡتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنۡ عَدُوِّهِۦۖ فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ قَالَ هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوّٞ مُّضِلّٞ مُّبِينٞ﴾ [القصص: ١٥]. فهذه استغاثة من موسى فيما يقدر عليه، وهكذا النبي صلى الله عليه وسلم يغيث من استغاث به في حال حياته وفيما يقدر عليه.

أما بعد موته صلى الله عليه وسلم فلا يستغاث به لأنه في حياة برزخية تختلف عن حياة الدنيا وهي من الغيب، فليست حياته في قبره صلى الله عليه وسلم كحياته في الدنيا، ولم يكن أصحابه رضي الله عنهم يطلبون منه وهو في قبره ما كانوا يطلبونه في حال حياته ﷺ، فلم ينقل عنهم انهم أتوا قبره وطلبوا إغاثة ولا نصراً ولا إعانة ولا استسقوا بقبره ولا استنصروا به، بل أنهم عند الاستسقاء ما أتوا قبره ولا طلبوا منه بل طلبوا من عمه العباس أن يستسقي لهم لأنه حي قادر على ذلك، عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه: «أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ: كَانَ إِذَا قَحَطُوا اسْتَسْقَى

---

(١) تيسير العزيز الحميد (ص١٧٩).

(٢) ينظر: حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته في ضوء الكتاب والسنة (٢/ ٧٥٢- وما بعدها).

بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا صلى الله عليه وسلم فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا، قَالَ: فَيُسْقَوْنَ»(١).

وبعض الغلاة فيه ﷺ يقولون: إن حياته في القبر مثل حياته في الدنيا، وهذا قول باطل قطعاً لأنه يلزم من ذلك أنه يطلب منه صلى الله عليه وسلم أن يخرج إلى الجمع والجماعات وإلى الغزوات، ويقيم الحدود، ويعود المرضى فاعلاً ذلك ببدنه كما كان يفعله في حياته، فهل يقول بذلك عاقل؟!

فليس عليه ﷺ بعد الموت فعل من الأفعال لا واجبًا ولا مستحب، كما ليس ذلك على غيره من الناس، بل الموت ينتهي به التكليف الثابت في الحياة بإجماع الخلق، فليس على نبي ولا غيره بعد موته أن يفعل ما كان يؤمر به في حال الحياة من واجب ومستحب.

ولا يستطيع أحد أن ينقل عن أحد من الصحابة ولا من السلف أنهم بعد موته طلبوا منه إغاثةً ولا نصرًا ولا إعانة ولا استسقوا بقبره ولا استنصروا به، كما كانوا يطلبون ذلك منه في حياته(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٢٠)ح(٣٧١٠).

(٢) ينظر: حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته في ضوء الكتاب والسنة (٢/ ٧٥٣).

المطلب الثالث: التبرك بقبره ﷺ، وفيه تمهيد وعدة مسائل.

التمهيد.

ومن الغلو فيه التبرك بقبره ﷺ واعتقاد أن البركة في ذلك، وهو يدخل في التبرك الممنوع كما سيأتي، وهذا يستدعي الكلام على مسألة التبرك، ودونك الكلام في ذلك بشيء من التفصيل في المسألة الآتية.

المسألة الأولى: التبرك وأحكامه[١].

أولاً: معناه.

وفي النهاية في غريب الحديث والأثر: "في حديث الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم «وبارك على محمد وعلى آل محمد» أي أثبت له وأدم ما أعطيته من التشريف والكرامة، وهو من برك البعير إذا ناخ في موضع فلزمه. وتطلق البركة أيضا على الزيادة.."[٢].

وقال الراغب رحمه الله: «والبَرَكَةُ: ثبوت الخير الإلهي في الشيء»[٣].

وقال ابن عثيمين رحمه الله: «قوله: "تبرك": تفعل من البركة، والبركة: هي كثرة الخير وثبوته، وهي مأخوذة من البِركة بالكسر، والبركة: مجمع الماء، ومجمع الماء يتميز عن مجرى الماء بأمرين:

١- الكثرة.

٢- الثبوت.

---

(١) من أراد التوسع في هذه المسألة المهمة فلينظر إلى المصادر الآتية:

- **رسالة دكتوراه، للدكتور الجديع بعنوان التبرك أنواعه وأحكامه.**
- **التبرك المشروع والتبرك الممنوع، للدكتور العلياني.**
- **التبرك المشروع والممنوع، للشيخ محمد صفوت.**

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ١٢٠).

(٣) المفردات في غريب القرآن (ص١١٩).

والتبرك: طلب البركة، وطلب البركة لا يخلو من أمرين:

١- أن يكون التبرك بأمر شرعي معلوم؛ مثل القرآن، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ﴾ [ص: ٢٩]، فمن بركته أن من أخذ به حصل له الفتح، فأنقذ الله بذلك أمماً كثيرة من الشرك، ومن بركته أن الحرف الواحد بعشر حسنات، وهذا يوفر للإنسان الوقت والجهد....، إلى غير ذلك من بركاته الكثيرة.

٢- أن يكون بأمر حسي معلوم؛ مثل: التعليم، والدعاء، ونحوه، فهذا الرجل يتبرك بعلمه ودعوته إلى الخير؛ فيكون هذا بركة لأننا نلنا منه خيراً كثيراً.

وقال أسيد بن حضير: "ما هذه بأول بركتكم يا آل أبي بكر".

فإن الله يجري على بعض الناس من أمور الخير ما لا يجريه على يد الآخر» [١].

ثانياً: أقسامه.

وهو ينقسم إلى قسمين: تبرك مشروع دلت عليه الأدلة، وتبرك ممنوع يؤدي إلى الشرك والخلل في العقيدة:

القسم الأول: التبرك المشروع: وهو طلب البركة من الله، وذلك أن يفعل المسلم العبادات المشروعة طلباً للأجر من الله تعالى المترتب على العبادة، وله أنواع كثيرة جداً يصعب حصرها، فكل ما شرعه من الأعمال الصالحة تحصل بها البركة بأمرين: الإخلاص لله تعالى ومتابعة النبي ﷺ ولا يقبل الله العمل إلا بهذين الشرطين.

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ١٩٤-١٩٥).

ضوابط مهمة في التبرك المشروع(١).

١- أن يدل الدليل الصحيح الصريح على أن هذا الأمر فيه بركة، لأن إثبات البركة في الأمور أمر توقيفي لا مجال للاجتهاد فيه.

٢- أن يعتقد أن البركة من الله هو الذي يهبها لمن يشاء، كما أن الرزق من الله والنصر منه فلا تطلب البركة من غيره ﷻ، فمن طلب الرزق والبركة من غير الله، فقد وقع في الشرك.

٣- أن يكون التبرك بنفس الطريقة التي شرعها رسول الله ﷺ، ولأن التبرك عبادة لاتقبل ولا تصح إلا بموافقة هدي النبي ﷺ.

٤- أن يعتقد ما يتبرك به من الأعيان والأقوال والأفعال والأزمان التي تثبت فيها البركة بطريق الشرع، إنما هي سبب للبركة وليست بواهبة لها.

القسم الثاني: التبرك الممنوع: وهو ينقسم من حيث حكمه إلى قسمين:

١ – تبرك شركي: وهو أن يعتقد المتبرِك أن المتبرَّك به – وهو المخلوق – يهب البركة بنفسه، فيبارك في الأشياء بذاته إستقلالًا، ويعتقد أن موجد البركة هو هذا المخلوق من صاحب قبر أو غار أو نحوه، لأن الله تعالى وحده موجد البركة وواهبها ولا شريك له في ذلك، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "البَرَكَةُ مِنَ اللهِ"(٢)، فطلبها من غيره، أو اعتقاد أن غيره يهبها بذاته شرك أكبر.

٢ – تبرك بدعي: وهو أن يتبرك بما لم يرد دليل شرعي يدل على جواز التبرك به، معتقدًا أن الله جعل فيه بركة أو يتبرك بالشيء الذي ورد التبرك به في غير ما ورد في الشرع التبرك به فيه.

---

(١) ينظر في ذلك: التبرك المشروع والتبرك الممنوع(١٧)، شرح كتاب التوحيد – عبد الرحيم السلمي (٢/ ١٠ بترقيم الشاملة آليا)، بغية المستفيد في شرح كتاب التوحيد (ص١٢٠).

(٢) أخرجه البخاري (٧/ ١١٤)ح(٥٦٣٩).

وهذا بلا شك محرم؛ لأن فيه إحداث عبادة لا دليل عليها من كتاب أو سنة، ولأنه جعل ما ليس بسبب سببًا، فهو من الشرك الأصغر؛ ولأنه يؤدي إلى الوقوع في الشرك الأكبر.

وهذا القسم من التبرك – وهو التبرك البدعي – له أنواع منها(١):

النوع الأول: التبرك بقبر النبي ﷺ.

ومن التبرك الممنوع التبرك بالقبر النبوي والتمسح به وتقبيله، والاعتقاد أنه ينفع العبد ويدفع عنه الضرر، وهذا الأمر لم يرد عليه دليل بل جاء الدليل بخلاف ذلك، فقد قال ﷺ محذراً لأمته، كما جاء في الحديث الذي روته عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي لَمْ يَقُمْ مِنْهُ: «لَعَنَ اللَّهُ اليَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»، لَوْلَا ذَلِكَ أُبْرِزَ قَبْرُهُ غَيْرَ أَنَّهُ خَشِيَ – أَوْ خُشِيَ – أَنَّ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا(٢).

وفي الحديث أَنَّ عَائِشَةَ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قَالَا: لَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ وَهُوَ كَذَلِكَ: «لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى اليَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ» يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا(٣).

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: لَمَّا اشْتَكَى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَتْ بَعْضُ نِسَائِهِ كَنِيسَةً رَأَيْنَهَا بِأَرْضِ الحَبَشَةِ يُقَالُ لَهَا: مَارِيَةُ، وَكَانَتْ أُمُّ سَلَمَةَ، وَأُمّ حَبِيبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَتَتَا أَرْضَ الحَبَشَةِ، فَذَكَرَتَا مِنْ حُسْنِهَا وَتَصَاوِيرَ فِيهَا، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «أُولَئِكِ إِذَا مَاتَ مِنْهُمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، ثُمَّ صَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّورَةَ أُولَئِكِ شِرَارُ الخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ»(٤).

---

(١) ينظر: مختصر شرح تسهيل العقيدة الإسلامية (ص١٥٦).

(٢) أخرجه البخاري واللفظ له(٢/ ١٠٢) ح(١٣٩٠)، ومسلم (١/ ٣٧٦) ح(٥٢٩).

(٣) أخرجه البخاري (٧/ ١٤٧)ح(٥٨١٥).

(٤) أخرجه البخاري (٢/ ٩٠)ح(١٣٤١).

وفي الرواية الأخرى: فَقَالَ: «إِنَّ أُولَئِكَ إِذَا كَانَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَمَاتَ، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِيكَ الصُّوَرَ، أُولَئِكَ شِرَارُ الخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ القِيَامَةِ»(١).

وكان من دعائه ﷺ الذي أستجابه الله فحمى قبره، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " اللهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا، لَعَنَ اللهُ قَوْمًا اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ "(٢).

وأما التبرك المشروع بالنبي صلى الله عليه وسلم في حال حياته بريقه وشعره وفضلة وضوئه والتمسح بجسده الشريف؛ فكل ذلك دل عليه الدليل وفعله الصحابة بمحضر النبي صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليهم.

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٥٠)ح(٣٨٧٣)، ومسلم (١/ ٣٧٥) ح(٥٢٨).

(٢) أخرجه أحمد (١٢/ ٣١٤)ح(٧٣٥٨)، وقال محقق المسند(١٢/ ٣١٤):" إسناده قوي".

النوع الثاني: التبرك بقبور الصحابة والصالحين.

فإذا كان قبر النبي صلى الله عليه وسلم لا يصح التبرك به ولا يجوز فمن باب أولى قبور الصحابة ومن تبعهم من الصالحين، فما يحدث من تبرك شركي بقبور الصالحين من طلب المدد منهم والطواف بقبورهم والنذر لهم والذبح عند قبورهم والصلاة والدعاء عند قبورهم بحجة أنهم أولياء لله يتوسطون لمن يأتي إليهم عند الله، فكل هذا من الشرك الأكبر الذي ينقض الشهادتين ويشابه كفار مكة حين قالوا عن معبوداتهم، كما قال تعالى عنهم: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] .

وتلاحظ أنهم يقولون إن هذه المعبودات هم لا يعبدونها في ذاتها بل هي في زعمهم واسطة بينهم وبين الله وأنهم لصلاحهم يقربون إلى الله زلفى، وهذا المنهج الضال صار عليه كل من وقع في الشرك بعدهم، تجدهم يقولون نحن نتقرب إلى الله بواسطة هذا الولي ولا نعبده وإنما نعبد الله وهؤلاء لا نعبدهم ولكنهم قوم صالحون يقربونا إلى الله ويتوسطون لنا عنده.

تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، فقد قاسوا الخالق العظيم الذي أحاط علماً بكل شيء، على المخلوق الضعيف من الملوك في الدنيا الذين يحتاجون إلى واسطة يبلغونهم حاجات الرعية، لأنهم لا يحيطون علماً بكل شيء، وهذا لا شك من جهل هؤلاء بالله تعالى وعدم تقديرهم له حق قدره، ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

قال الشيخ السعدي في تفسيره: " قال: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: ٢]، أي: أخلص لله تعالى جميع دينك، من الشرائع الظاهرة والشرائع الباطنة: الإسلام والإيمان والإحسان، بأن تفرد الله وحده بها، وتقصد به وجهه، لا غير ذلك من المقاصد.

﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ﴾ [الزمر: ٣] هذا تقرير للأمر بالإخلاص، وبيان أنه تعالى كما أنه له الكمال كله، وله التفضل على عباده من جميع الوجوه، فكذلك له الدين الخالص الصافي من

جميع الشوائب، فهو الدين الذي ارتضاه لنفسه، وارتضاه لصفوة خلقه وأمرهم به، لأنه متضمن للتأله لله في حبه وخوفه ورجائه، وللإنابة إليه في عبوديته، والإنابة إليه في تحصيل مطالب عباده.

وذلك الذي يصلح القلوب ويزكيها ويطهرها، دون الشرك به في شيء من العبادة. فإن الله بريء منه، وليس لله فيه شيء، فهو أغنى الشركاء عن الشرك، وهو مفسد للقلوب والأرواح والدنيا والآخرة، مُشْقٍ للنفوس غاية الشقاء، فلذلك لما أمر بالتوحيد والإخلاص، نهى عن الشرك به، وأخبر بذم من أشرك به فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ أي: يتولونهم بعبادتهم ودعائهم، معتذرين عن أنفسهم وقائلين: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ أي: لترفع حوائجنا لله، وتشفع لنا عنده، وإلا فنحن نعلم أنها، لا تخلق، ولا ترزق، ولا تملك من الأمر شيئاً.

أي: فهؤلاء، قد تركوا ما أمر الله به من الإخلاص، وتجرأوا على أعظم المحرمات، وهو الشرك، وقاسوا الذي ليس كمثله شيء، الملك العظيم، بالملوك، وزعموا بعقولهم الفاسدة ورأيهم السقيم، أن الملوك كما أنه لا يوصل إليهم إلا بوجهاء، وشفعاء، ووزراء يرفعون إليهم حوائج رعاياهم، ويستعطفونهم عليهم، ويمهدون لهم الأمر في ذلك، أن الله تعالى كذلك.

وهذا القياس من أفسد الأقيسة، وهو يتضمن التسوية بين الخالق والمخلوق، مع ثبوت الفرق العظيم، عقلاً ونقلاً وفطرة، فإن الملوك، إنما احتاجوا للوساطة بينهم وبين رعاياهم، لأنهم لا يعلمون أحوالهم. فيحتاج من يعلمهم بأحوالهم، وربما لا يكون في قلوبهم رحمة لصاحب الحاجة، فيحتاج من يعطفهم عليه ويسترحمه لهم ويحتاجون إلى الشفعاء والوزراء، ويخافون منهم، فيقضون حوائج من توسطوا لهم، مراعاة لهم، ومداراة لخواطرهم، وهم أيضا فقراء، قد يمنعون لما يخشون من الفقر.

وأما الرب تعالى، فهو الذي أحاط علمه بظواهر الأمور وبواطنها، الذي لا يحتاج من يخبره بأحوال رعيته وعباده، وهو تعالى أرحم الراحمين، وأجود الأجودين، لا يحتاج إلى أحد من خلقه يجعله راحماً لعباده، بل هو أرحم بهم من أنفسهم ووالديهم، وهو الذي يحثهم ويدعوهم إلى الأسباب التي ينالون بها رحمته، وهو يريد من مصالحهم ما لا يريدونه لأنفسهم، وهو الغني، الذي له الغنى التام المطلق، الذي لو اجتمع الخلق من أولهم وآخرهم في صعيد واحد فسألوه، فأعطى كلا منهم ما سأل وتمنى، لم ينقصوا من غناه شيئا، ولم ينقصوا مما عنده، إلا كما ينقص البحر إذا غمس فيه المخيط.

وجميع الشفعاء يخافونه، فلا يشفع منهم أحد إلا بإذنه، وله الشفاعة كلها.

فبهذه الفروق يعلم جهل المشركين به، وسفههم العظيم، وشدة جراءتهم عليه.

ويعلم أيضا الحكمة في كون الشرك لا يغفره الله تعالى، لأنه يتضمن القدح في الله تعالى، ولهذا قال حاكما بين الفريقين، المخلصين والمشركين، وفي ضمنه التهديد للمشركين: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ﴾ [الزمر: ٣].

وقد علم أن حكمه أن المؤمنين المخلصين في جنات النعيم، ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة، ومأواه النار.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي﴾ [الزمر: ٣] أي: لا يوفق للهداية إلى الصراط المستقيم ﴿مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ﴾ أي: وصفه الكذب أو الكفر، بحيث تأتيه المواعظ والآيات، ولا يزول عنه ما اتصف به، ويريه الله الآيات، فيجحدها ويكفر بها ويكذب، فهذا أنَّى له الهدى وقد سد على نفسه الباب، وعوقب بأن طبع الله على قلبه، فهو لا يؤمن؟ "[١].

---

(١) تفسير السعدي(ص٧١٨).

وقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨].

وفي تفسير السعدي:"يقول تعالى: ﴿يَعْبُدُونَ﴾ أي: المشركون المكذبون لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ﴾ أي: لا تملك لهم مثقال ذرة من النفع ولا تدفع عنهم شيئا.

﴿ وَيَقُولُونَ﴾ قولا خاليا من البرهان: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ أي: يعبدونهم ليقربوهم إلى الله، ويشفعوا لهم عنده، وهذا قول من تلقاء أنفسهم، وكلام ابتكروه هم، ولهذا قال تعالى -مبطلاً لهذا القول-: ﴿ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِۚ﴾ أي: الله تعالى هو العالم، الذي أحاط علما بجميع ما في السماوات والأرض، وقد أخبركم بأنه ليس له شريك ولا إله معه، أفأنتم -يا معشر المشركين- تزعمون أنه يوجد له فيها شركاء؟ أفتخبرونه بأمر خفي عليه، وعلمتوه؟ أأنتم أعلم أم الله؟ فهل يوجد قول أبطل من هذا القول، المتضمن أن هؤلاء الضلال الجهال السفهاء أعلم من رب العالمين؟ فليكتف العاقل بمجرد تصور هذا القول، فإنه يجزم بفساده وبطلانه: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي: تقدس وتنزه أن يكون له شريك أو نظير، بل هو الله الأحد الفرد الصمد الذي لا إله في السماوات والأرض إلا هو، وكل معبود في العالم العلوي والسفلي سواه، فإنه باطل عقلاً وشرعاً وفطرة.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢]"(١).

وجه سؤال للعلامة ابن باز رحمه الله يقول السائل: "هناك من يرى جواز التبرك بالعلماء والصالحين وآثارهم مستدلاً بما ثبت من تبرك الصحابة – رضي الله عنهم – بالنبي صلى الله عليه وسلم. فما حكم ذلك؟ ثم أليس فيه تشبيه لغير النبي صلى الله عليه وسلم بالنبي صلى الله عليه وسلم؟ وهل يمكن التبرك بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته؟ وما حكم التوسل إلى الله تعالى ببركة النبي صلى الله عليه وسلم؟

الجواب: لا يجوز التبرك بأحد غير النبي صلى الله عليه وسلم لا بوضوئه ولا بشعره ولا بعرقه ولا بشيء من جسده، بل هذا كله خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم لما جعل الله في جسده وما مسه من الخير والبركة.

ولهذا لم يتبرك الصحابة – رضي الله عنهم – بأحد منهم، لا في حياته ولا بعد وفاته صلى الله عليه وسلم لا مع الخلفاء الراشدين ولا مع غيرهم فدل ذلك على أنهم قد عرفوا أن ذلك خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم دون غيره، ولأن ذلك وسيلة إلى الشرك وعبادة غير الله سبحانه.

وهكذا لا يجوز التوسل إلى الله سبحانه بجاه النبي صلى الله عليه وسلم أو ذاته أو صفته أو بركته لعدم الدليل على ذلك؛ ولأن ذلك من وسائل الشرك به والغلو فيه عليه الصلاة والسلام.

---

(١) تفسير السعدي(٣٦٠).

ولأن ذلك أيضا لم يفعله أصحابه – رضي الله عنهم – ولو كان خيراً لسبقونا إليه، ولأن ذلك خلاف الأدلة الشرعية. فقد قال الله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، ولم يأمر بدعائه سبحانه بجاه أحد أو حق أحد أو بركة أحد.

ويلحق بأسمائه سبحانه التوسل بصفاته كعزته، ورحمته، وكلامه وغير ذلك، ومن ذلك ما جاء في الأحاديث الصحيحة من التعوذ بكلمات الله التامات، والتعوذ بعزة الله وقدرته. ويلحق بذلك أيضا: التوسل بمحبة الله سبحانه، ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم، وبالإيمان بالله وبرسوله والتوسل بالأعمال الصالحات، كما في قصة أصحاب الغار الذين آواهم المبيت والمطر إلى غار فدخلوا فيه فانحدرت عليهم صخرة من الجبل فسدت عليهم باب الغار، ولم يستطيعوا دفعها، فتذاكروا بينهم في وسيلة الخلاص منها. واتفقوا بينهم على أنه لن ينجيهم منها إلا أن يدعوا الله بصالح أعمالهم، فتوسل أحدهم إلى الله سبحانه في ذلك: ببر والديه..فانفرجت الصخرة شيئا لا يستطيعون الخروج منه... ثم توسل الثاني بعفته عن الزنا بعد القدرة عليه، فانفرجت الصخرة بعض الشيء لكنهم لا يستطيعون الخروج من ذلك. . . ثم توسل الثالث بأداء الأمانة فانفرجت الصخرة وخرجوا.

وهذا الحديث ثابت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم، من أخبار من قبلنا لما فيه من العظة لنا والتذكير.

[1]وقد صرح العلماء رحمهم الله بما ذكرته في هذا الجواب. . . كشيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه العلامة ابن القيم، والشيخ العلامة عبد الرحمن بن حسن في فتح المجيد شرح كتاب التوحيد وغيرهم.

وأما حديث توسل الأعمى بالنبي صلى الله عليه وسلم في حياته صلى الله عليه وسلم فشفع فيه النبي صلى الله عليه وسلم ودعا له فرد الله عليه بصره. . . فهذا توسل بدعاء النبي

وشفاعته وليس ذلك بجاهه وحقه كما هو واضح في الحديث. . . وكما يتشفع الناس به يوم القيامة في القضاء بينهم.

وكما يتشفع به يوم القيامة أهل الجنة في دخولهم الجنة، وكل هذا توسل به في حياته الدنيوية والأخروية..وهو توسل بدعائه وشفاعته لا بذاته وحقه كما صرح بذلك أهل العلم، ومنهم من ذكرنا آنفاً"(١).

المطلب الرابع: الحلف به ﷺ.

ومن الغلو فيه الحلف به ﷺ، كأن يقول والنبي وحياة النبي، وحياة الرسول، ورسول الله وما شابه من الحلف به ﷺ وقد ورد النص بأن الحلف بغير الله كفر أو شرك وهذا يدل على حرمة الحلف بغير الله وأنه من الكفر أو الشرك.

وعَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ، أَنَّ ابْنَ عُمَرَ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: لَا وَالكَعْبَةِ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: لَا يُحْلَفُ بِغَيْرِ اللَّهِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ»(٢).

«وأجمع العلماء على أن اليمين لا تكون إلا بالله، أو بصفاته، وأجمعوا على المنع من الحلف بغيره.

قال ابن عبد البر: لا يجوز الحلف بغير الله بالإجماع. انتهى.

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز (٧/ ٦٥- ٦٧).

(٢) أخرجه في المسند(١٠/ ٢٤٩ ط الرسالة)ح(٦٠٧٢)، والترمذي (٤/ ١١٠ ت شاكر)ح(١٥٣٥)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين (٤/ ٣٣٠ ط العلمية)ح(٧٨١٤) وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ١٣٠)ح(٢٩٥٢) وصححه الارناؤوط في تحقيقه لسنن أبي داود (٥/ ١٥٥ ت الأرنؤوط) ح(٣٢٥١).

ولا اعتبار بمن قال من المتأخرين: إن ذلك على سبيل كراهة التنْزيه، فإن هذا قول باطل، وكيف يقال ذلك لما أطلق عليه الرسول صلى الله عليه وسلم أنه كفر أو شرك، بل ذلك محرم.

ولهذا اختار ابن مسعود رضي الله عنه أن يحلف بالله كاذبًا، ولا يحلف بغيره صادقًا[١]، فهذا يدل على أن الحلف بغير الله أكبر من الكذب، مع أن الكذب من المحرمات في جميع الملل فدل ذلك أن الحلف بغير الله من أكبر المحرمات»[٢].

---

(١) يشير بهذا إلى قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : "لأن أحلف بالله كاذباً أحب إلي من أن أحلف بغيره وأنا صادق".

مصنف ابن أبي شيبة (٧/ ٢٩٧ ت الشثري).

(٢) تيسير العزيز الحميد(ص٥١١).

المطلب الخامس: الاحتفال بمولده وما يحدث فيه من أنواع الغلو ورفعه فوق منزلته التي أنزله الله فيها، وفيه مسألتان.

المسألة الأولى: حكم المولد النبوي.

عمل المولد من البدع المحدثة التي دل الدليل على أنها بدعة، ومن ذلك:قوله ﷺ: «فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى بَعْدِي اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»(١).

وقال ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»(٢).

وفي الرواية الأخرى في صحيح مسلم عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»(٣).

فلم يفعله ﷺ، ولم يؤمر به، وما فعله أحد من القرون الثلاثة المفضلة، بل هو بدعة ضلالة أحدثها العبيديون الذين يسمون (الفاطميين) في القرن الرابع الهجري.

وقال الفاكهاني رحمه الله عن المولد: «لا أعلم لهذا المولد أصلاً في كتاب ولا سنة، ولا ينقل عمله عن أحد من علماء الأمة، الذين هم القدوة في الدين، المتمسكون بآثار المتقدمين؛ بل هو بدعة أحدثها البطالون، وشهوة نفس اغتنى بها الأكالون»(٤).

---

(١) أخرجه أحمد في المسند واللفظ له (٢٨/ ٣٧٣ ط الرسالة) ح(١٧١٤٤)، وأبو داود (٧/ ١٦ ت الأرنؤوط)ح(٤٦٠٧) ، وابن ماجه (١/ ١٦ ت عبد الباقي)ح(٤٣)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين (١/ ١٧٤ ط العلمية)ح(٣٢٩) وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ١٣٢)ح(٥٩)، وصححه الأرناؤوط في تحقيقه لسنن أبي داود(٧/ ١٧ ت الأرنؤوط)ح(٤٦٠٧).

(٢) أخرجه مسلم (٣/ ١٣٤٣)ح(١٧١٨).

(٣) أخرجه مسلم (٣/ ١٣٤٣)ح(١٧١٨).

(٤) المورد في عمل المولد (ص٨-٩).

المسألة الثانية: ما يحدث فيه من أنواع الغلو.

«لقد اتخذ أصحاب الطرق الصوفية من المولد ستاراً لترويج باطلهم ونشر بدعتهم عند الجهلة من عوام الناس.

فهم باسم محبة الرسول صلى الله عليه وسلم يقيمون مثل هذه الاحتفالات، وبذكر شيء من سيرته يفتتحونها، ولكن سرعان ما يظهر الباطل وتنجلي الغشاوة فيرى صاحب البصيرة ألوانًا وأشكالاً من الغلو والبدع المنكرة تظهر من خلال ما يتلفظ به من أقوال، وما ينشد فيه من أشعار، وما يقام من حركات وأفعال، مبدية بذلك الوجه الحقيقي والهدف الرئيسي من إقامة مثل هذه الموالد.

ومن عجيب حال هؤلاء أنهم سموا كل اجتماعاتهم التي تقام فيها هذه الأباطيل مولداً مع أن التسمية لا تساعدهم على هذا الإطلاق، وما ذاك إلا أنهم عرفوا أن رواج باطلهم لا يتحقق إلا تحت هدا الستار ليروج أمرهم على خفافيش الأبصار إتباع كل ناعق.

فمن البدع والمنكرات التي تقام في هذه الموالد -وما أكثرها- ما يحصل من الغلو في حق النبي صلى الله عليه وسلم وذلك من خلال القصائد التي يطلقون عليها اسم المدائح النبوية، والتي لا تخلوا من ألفاظ الغلو في شخص الرسول صلى الله عليه وسلم والتجاوز عما حدده الشارع مما يليق بمقامه الكريم من الإجلال والتقدير.

فالمتأمل لتلك القصائد يجدها مرصوفة بعبارات التوسل والاستشفاع والاستغاثة، وجعل النبي صلى الله عليه وسلم هو المتصرف في هذا الكون وجعله أول الموجودات والقطب الذي تدور عليه الأفلاك، وجعله الغاية التي من أجلها وجد هذا الكون إلى غير ذلك الافتراءات والأباطيل التي شحنت بها تلك القصائد[1]...

---

(١) مثال على ذلك ما يقوله البوصيري والبرعي وغيرهما في قصائدهم التي تنشد في هذه الموالد وهي مليئة بالغلو فيه صلى الله عليه وسلم ودعاؤه والاستغاثة به فيما لا يقدر عليه إلا الله، ومن ذلك يقول البوصيري: =

أضف إلى ذلك ما يدعونه من أن النبي صلى الله عليه وسلم يحضر هذه الموالد إما بجسده كما يدعيه بعضهم أو بروحه كما يدعيه البعض الآخر منهم..

هذا فيما يتعلق بما يحصل في هذه الموالد من غلو في حق صلى الله عليه وسلم.

ويضاف إلى هذا الأمر ما قد يحصل في بعض الموالد من منكرات وبدع أخرى كالرقص الصوفي، والذكر البدعي، وضرب الدفوف، والتزمير بالمزامير.

وقد يحصل فيها اختلاط الرجال بالنساء وشيء من الفجور وشرب الخمور ولكن لا يطرد لا في كل البلاد ولا في كل الموالد.

فنعوذ بالله من حال أهل الزيغ والضلال»[(١)].

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به ... سواك عند حدوث الحادث العمم

إن لم تكن في معادي آخذا بيدي ... فضلا وإلا فقل يا زلة القدم

فإن من جودك الدنيا وضرتها ... ومن علومك علم اللوح والقلم

وهذا نموذج صارخ على الغلو فيه ﷺ وقال في فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص٤١٥): «فانظر إلى هذا الجهل العظيم حيث اعتقد أنه لا نجاة له إلا بعياذه ولياذه بغير الله، وانظر إلى هذا الإطراء العظيم الذي تجاوز الحد في الإطراء الذي نهى عنه صلى الله عليه وسلم بقوله: " لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله ". رواه مالك وغيره. وقد قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ﴾ [الأنعام: ٥٠]».

وفي القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٢١٨): «وهذا من أعظم الشرك; لأنه جعل الدنيا والآخرة من جود الرسول، ومقتضاه أن الله جل ذكره ليس له فيهما شيء.

وقال: ومن علومك علم اللوح والقلم"، يعني: وليس ذلك كل علومك، فما بقي لله علم ولا تدبير- والعياذ بالله-».

(١) حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته في ضوء الكتاب والسنة (٢/ ٧٧٣-٧٧٦).

الفصل الرابع: نواقض الشهادتين، وفيه عدة مباحث.

المبحث الأول : ضوابط التكفير وموانعه وعلاقتها بعمل القلب، وفيه مطالب.

المطلب الأول : معنى التكفير وخطره، وفيه مسائل.

المسألة الأولى: معنى التكفير وبيان أنه حكم شرعي.

هو الحكم بالكفر على من ينتسب للإسلام وأخراجه من دائرة الإسلام إلى الكفر، وهذه مسألة عظيمة خطيرة زلت فيها أقدام وضلت فيها أفهام، والحكم بالكفر أمر شرعي مرده إلى الله ورسوله.

"التكفير حكم شرعي، مردّه إلى الله ورسوله، فكما أن التحليل والتحريم والإيجاب إلى الله ورسوله، فكذلك التكفير، وليس كل ما وصف بالكفر من قول أو فعل، يكون كفراً أكبر مخرجاً عن الملَّة.

ولما كان مَرَدّ حكم التكفير إلى الله ورسوله؛ لم يَجُز أن نكفر إلا مَن دَل الكتاب والسُّنَّة على كفْرِه دلالة واضحة، فلا يكفي في ذلك مجرد الشبهة والظن، لِمَا يترتب على ذلك من الأحكام الخطيرة، وإذا كانت الحدود تدْرَأ بالشبهات[1]، مع أن ما يترتب عليها أقل مما يترتب على التكفير، فالتكفير أولى أن يُدْرَأ بالشبهات؛ ولذلك حذَّر النبي صلى الله عليه وسلم من الحكم بالتكفير على شخص ليس بكافر، فقال: « أَيُّمَا امْرِئٍ قَالَ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا، إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ، وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ »[2].

وقد يَرِد في الكتاب والسُّنَّة ما يُفْهَم منه أن هذا القول أو العمل أو الاعتقاد كُفْر، ولا يكفَّر مَن اتصف به، لوجود مانع يمنع من كفره.

---

(١) يشير بذلك إلى حديث "«ادْرَءوا الحُدودَ بالشُّبُهاتِ» وهو حديث ضعفه أهل العلم بالحديث.
ينظر: البدر المنير (٨/ ٦١٣)، وضعيف الجامع(ص٣٧)ح(٢٥٨)، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٧/ ٣٤٣) ح(٢٣١٦) وقد ورد موقوفاً على عمر رضي الله عنه كما في مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٤٢٣ ت الشثري): «قال عمر بن الخطاب: لأنْ أعطّل الحدود بالشبهات أحب إلي من أن أقيمها في الشبهات».

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٥٧ ط التركية)ح(٦٠).

وهذا الحكم كغيره من الأحكام التي لا تتم إلا بوجود أسبابها وشروطها، وانتفاء موانعها كما في الإرث، سببه القرابة- مثلاً- وقد لا يرث بها لوجود مانع كاختلاف الدين، وهكذا الكفر يكره عليه المؤمن فلا يكفر به.

وقد ينطق المسلم بكلمة بالكفر لغلبة فرح غضب أو نحوهما فلا يكفر بها لعدم القصد، كما في قصة الذي قال: «اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي، وَأَنَا رَبُّكَ أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ»(١).

التسرع في التكفير يترتب عليه أمور خطيرة من استحلال الدم والمال، ومنع التوارث، وفسخ النكاح، وغيره مما يترتب على الرِّدَّة، فكيف يسوغ للمؤمن أن يُقْدِم عليه لأدنى شبهة"(٢).

المسألة الثانية: الأدلة على التحذير من التساهل في التكفير.

الحديث السابق:« أَيُّمَا امْرِئٍ قَالَ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا، إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ، وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ »(٣).

وقال ابن عبد البر رحمه الله: «والمعنى فيه عند أهل الفقه والأثر، أهل السنة والجماعة، النهي عن أن يكفر المسلم أخاه المسلم بذنب، أو بتأويل، لا يخرجه من الإسلام عند الجميع، فورد النهي عن تكفير المسلم في هذا الحديث، وغيره بلفظ الخبر، دون لفظ النهي، وهذا موجود في القرآن والسنة، ومعروف في لسان العرب...فالقرآن والسنة ينهيان عن تفسيق المسلم وتكفيره، إلا ببيان لا إشكال فيه.

ومن جهة النظر الصحيح، الذي لا مدفع له: أن كل من ثبت له عقد الإسلام في وقت بإجماع من المسلمين، ثم أذنب ذنباً، أو تأول تأويلاً، فاختلفوا بعد في خروجه من الإسلام، لم يكن لاختلافهم بعد إجماعهم معنى يوجب حجة، ولا يخرج من الإسلام المتفق عليه، إلا باتفاق آخر، أو سنة ثابتة لا معارض لها.

---

(١) أخرجه مسلم (٨/ ٩٣ ط التركية)ح(٢٧٤٧).

(٢) خطورة التكفير وما يترتب عليه من أحكام (ص٣-٤) من بيان هيئة كبار العلماء حول التكفير والتفجير.
الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية.

(٣) أخرجه مسلم (١/ ٥٧ ط التركية)ح(٦٠).

وقد اتفق أهل السنة والجماعة، وهم أهل الفقه والأثر، على أن أحداً لا يخرجه ذنبه، وإن عظم، من الإسلام. وخالفهم أهل البدع، فالواجب في النظر، أن لا يكفر إلا من اتفق الجميع على تكفيره، أو قام على تكفيره دليل لا مدفع له، من كتاب أو سنة... والمعنى في قوله: "فقد باء بها أحدهما"، يريد أن المقول له: يا كافر، إن كان كذلك، فقد احتمل ذنبه، ولا شيء على القائل له ذلك، لصدقه في قوله.

فإن لم يكن كذلك، فقد باء القائل بذنب كبير، وإثم عظيم، واحتمله بقوله ذلك.

وهذا غاية في التحذير من هذا القول، والنهي عن أن يقال لأحد من أهل القبلة: يا كافر»[١].

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «لَا يَرْمِي رَجُلٌ رَجُلًا بِالْفُسُوقِ وَلَا يَرْمِيهِ بِالْكُفْرِ إِلَّا ارْتَدَّتْ عَلَيْهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ كَذَلِكَ»[٢].
وقال ﷺ: «وَمَنْ رَمَى مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ فَهُوَ كَقَتْلِهِ»[٣].

وقال ابن بطال رحمه الله: «معنى قوله: (من رمى مؤمنًا بكفر فهو كقتله) يعنى فى تحريم ذلك عليه، والله أعلم»[٤].

---

(١) التمهيد - ابن عبد البر (١٠/ ٣٨٨ - ٣٩٦ ت بشار).

(٢) أخرجه البخاري (٨/ ١٥)ح(٦٠٤٥).

(٣) أخرجه البخاري (٨/ ٢٦)ح(٦١٠٥).

(٤) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٦/ ١٠٤).

المسألة الثالثة: من أقوال أهل العلم في التحذير من التكفير بغير علم.

«وقد فقه سلف الأمة وعلماؤها من بعدهم خطورة هذا الحكم من أحكام الشريعة، وحذروا من الخروج فيه عن أدلة الشرع المعتبرة إلى الهوى والرأي والتشفي.

يقول أبو حامد الغزالي: " الكفر حكم شرعي كالرق والحرية مثلاً، إذ معناه إباحة الدم والحكم بالخلود في النار، ومدركه شرعي، فيدرك إما بنص، وإما بقياس على منصوص"(١).

ويؤكد القاضي عياض أن: "كشف اللبس فيه، مورده الشرع، ولا مجال للعقل فيه"(٢).

ويقول ابن تيمية: " الكفر حكم شرعي متلقى عن صاحب الشريعة، والعقل قد يُعلم به صواب القول وخطؤه، وليس كل ما كان خطأً في العقل، يكون كفراً في الشرع، كما أنه ليس كل ما كان صواباً في العقل، تجب في الشرع معرفته"(٣).

ويقول ابن الوزير: " إن التكفير سمعي محض لا مدخل للعقل فيه"(٤)، ويقول: "إن الدليل على الكفر والفسق لا يكون إلا سمعياً قطعياً ولا نزاع في ذلك"(٥).

وهكذا فالقول في هذه المسألة وغيرها من مسائل الدين والحياة مرده إلى علم الشريعة وفقه نصوصها، ولا يجوز في ذلك كله الخوض بلا علم ولا برهان من دين الله»(٦).

«أدرك علماء الإسلام فداحة القول بكفر المسلم فأطبقوا على منع التكفير إلا بدليل ساطع، لا مدافع له، إذ الشهادة بالكفر على الموحد من أعظم الزور والظلم والبهتان.

قال الشوكاني: " اعلم أن الحكم على الرجل المسلم بخروجه من دين الإسلام ودخوله في الكفر لا ينبغي لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يُقدم عليه إلا ببرهان أوضح من شمس

---

(١) فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة (١٢٨).

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى - وحاشية الشمني (٢/ ٢٨٢).

(٣) درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٤٢).

(٤) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم (٤/ ١٧٨).

(٥) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم (٤/ ١٧٩).

(٦) التكفير وضوابطه - السقار (ص١٧).

النهار، فإنه قد ثبت في الأحاديث الصحيحة المروية من طريق جماعة من الصحابة أن ((من قال لأخيه: يا كافر. فقد باء بها أحدهما)) ... ففي هذه الأحاديث وما ورد موردها أعظم زاجر وأكبر واعظ عن التسرع في التكفير"[1]»[2].

(١) السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار (ص٩٧٨).

(٢) التكفير وضوابطه - السقار (ص٢١).

المطلب الثاني: من ضوابط التكفير، وفيه مسائل.

المسألة الأولى: التفريق بين الإطلاق والتعيين في الكفر[١].

يفرق أهل السنة بين التكفير المطلق وتكفير المعين، ففي الأول يطلق القول بتكفير من وقع في كذا من الكفر، فيقال: من قال كذا أو من فعل كذا فقد كفر بدون أن يعينوا الشخص، لكن إذا قال ذلك الكفر أو فعله شخص بعينه فلا يحكم بكفره مطلقاً إلا إذا توفرت الشروط وانتفت الموانع وقامت عليه الحجة الرسالية، فعند ذلك يحكم بالكفر، وقبل ذلك فلا.

«وهذا أصل عظيم وضابط مهم فإذا كان الفعل أو القول كفرا يطلق الكفر دون تعيين فيقال من فعل كذا فهو كافر ومن قال كذا فهو كافر وعليه فيقال: القول بخلق القرآن كفر، ولا يقال: نكفر كل من قال به، ويقال: إنكار الأسماء والصفات كفر، ولا يقال: نكفر كل من أنكر شيئًا من الأسماء والصفات؛ يكون عند من قال بهذ القول تأويلٌ أو شبهة، فالتكفير إخراج من الدين، والإخراج من الدين لا بد أن يبنى على اليقين، ولو كان تكفير المعين سائغًا دون النظر في الشروط والموانع لما نجا من الكفر إلا النزر اليسير من الأمة وهذا لم يعمله أحد من أئمة الإسلام، فلا بد في حق المعين من رد الشبهة وتوضيح الأدلة، ولا يحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها»[٢].

قال ابن تيمية رحمه الله: «وليس لأحد أن يكفر أحداً من المسلمين وإن أخطأ وغلط حتى تقام عليه الحجة وتبين له المحجة ومن ثبت إسلامه بيقين لم يزل ذلك عنه بالشك؛ بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة وإزالة الشبهة»[٣].

---

(١) ينظر: نواقض الإيمان القولية والعملية(٥٢-٥٤)، معجم التوحيد (١/ ٤٧٩ وما بعدها).

(٢) معجم التوحيد (١/ ٤٧٩).

(٣) مجموع الفتاوى (١٢/ ٤٦٦).

وقال أيضاً: «التكفير له شروط وموانع قد تنتقي في حق المعين، وأن تكفير المطلق لا يستلزم تكفير المعين إلا إذا وجدت الشروط وانتفت الموانع، يبين هذا أن الإمام أحمد وعامة الأئمة: الذين أطلقوا هذه العمومات لم يكفروا أكثر من تكلم بهذا الكلام بعينه»(١).

ويسوق ابن تيمية بعضًا من الأعذار الواردة على المعين، فيقول: "وهكذا الأقوال التي يكفر قائلها، قد يكون الرجل لم تبلغه النصوص الموجبة لمعرفة الحق، وقد تكون عنده، ولم تثبت عنده، أو لم يتمكن من فهمها، وقد يكون قد عرضت له شبهات يعذره الله بها، فمن كان من المؤمنين مجتهداً في طلب الحق وأخطأ، فإن الله يغفر له خطأه كائناً ما كان، سواء كان في المسائل النظرية، أو العملية، هذا الذي عليه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وجماهير أئمة الإسلام"(٢).

وقال ابن تيمية رحمه الله عن نفسه في هذه المسألة العظيمة: "هذا مع أني دائمًا، ومن جالسني يعلم ذلك مني، أني من أعظم الناس نهيًا عن أن ينسب معين إلى تكفير وتفسيق ومعصية، إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافرًا تارة، وفاسقًا أخرى، وعاصياً أخرى. وإني أقرر أن الله قد غفر لهذه الأمة خطأها، وما زال يعم الخطأ في المسائل الخبرية القولية، والمسائل العملية، وما زال السلف يتنازعون في كثير من هذه المسائل، ولم يشهد أحد منهم على أحد لا بكفر ولا بفسق ولا بمعصية"(٣).

قال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله: "وأما الشخص المعين، إذا قيل: هل تشهدون أنه من أهل الوعيد وأنه كافر؟ فهذا لا نشهد عليه إلا بأمر تجوز معه الشهادة، فإنه من أعظم البغي أن يشهد على معين أن الله لا يغفر له ولا يرحمه بل يخلده في النار، فإن هذا حكم الكافر بعد الموت"(٤).

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢/ ٤٨٧-٤٨٨).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٣/ ٣٤٦).

(٣) مجموع الفتاوى (٣/ ٢٢٩).

(٤) شرح العقيدة الطحاوية - ت الأرناؤوط (٢/ ٤٣٦).

ثم قال: "ولأن الشخص المعين يمكن أن يكون مجتهداً مخطئاً مغفوراً له، أو يمكن أن يكون ممن لم يبلغه ما وراء ذلك من النصوص، ويمكن أن يكون له إيمان عظيم، وحسنات أوجبت له رحمة الله، كما غفر للذي قال: إذا مت فاسحقوني ثم ذروني ثم غفر الله له لخشيته"[١].

ويقول محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: "ومسألة تكفير المعين مسألة معروفة إذا قال قولاً يكون القول به كفراً، فيقال من قال بهذا القول فهو كافر، ولكن الشخص المعين إذا قال ذلك، لا نحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها"[٢].

المسألة الثانية: الحكم يكون على الظاهر، وأدلة ذلك[٣].

«اتفق أئمة أهل السنة والجماعة على قاعدة (من ثبت إسلامه فلا يزول بشك)؛ فكانوا أعظم الناس ورعاً؛ لأن تكفير المسلم مسألة خطيرة، يجب عدم الخوض فيها دون دليل وبرهان، وينبغي الاحتراز من التكفير ما وجد إلى ذلك سبيلا، فباب التكفير باب خطير، وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم أن يكفر أحدٌ أحدا دون برهان.

والأصل في المسلم السلامة من الفسق والكفر، فإذا تقرر هذا الأصل صار هو القدر المتيقن، و ... (اليقين لا يزول بالشك) ولا يعدل عن هذا اليقين أو الأصل إلا بدليل صريح صحيح، أما الظن والتخمين فليس هذا مجاله أبداً.

وإذا كانت هذه القاعدة تقرر أنه لا يجوز الحكم بنقض وضوء المسلم إلا بدليل، فكيف الحال عند الحكم بنقض إسلامه بالكلية؟!.

ويتفرع عن هذا الأصل حرمة دم المسلم وعرضه وماله، ودليله حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبته يوم النحر في حجة الوداع أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما:

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية – ت الأرناؤوط (٢/ ٤٣٧).

(٢) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٠/ ٤٣٢-٤٣٣).

(٣) ضوابط التكفير في ضوء السنة النبوية (ص١٩-٢٣).

«..فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ»(١).

و"هذه من المسائل العظيمة في مذهب أهل السنة في الحكم على الناس، فلا تكون أحكامهم مبنية على ظنون وأوهام أو دعاوي لا يملكون عليها بينات، وهذه من رحمة الله وتيسيره على عباده ومن باب تكليفهم بما يطيقون ويستطيعون، وكل ما سبق المقصود به الحكم الدنيوي على الشخص بالإسلام أو الكفر، أما الحكم على الحقيقة فلا سبيل إليه، يقول الإمام الشاطبي الله رحمه الله مبيناً أهمية هذا الأصل وخطورة إهماله: "إن أصل الحكم بالظاهر مقطوع به في الأحكام خصوصاً، وبالنسبة إلى الاعتقاد في الغير عموما، فإن سيد البشر مع إعلامه بالوحي يجري الأمور على ظواهرها في المنافقين وغيرهم، و إن علم بواطن أحوالهم، ولم يكن ذلك بمخرجه عن جريان الظواهر على ما جرت عليه. لا يقال: إنما كان ذلك من قبيل ما قال: (خوفاً من أن يقول الناس أن محمداً يقتل أصحابه) فالعلة أمر آخر لا ما زعمت، فإذا عدم ما علل به فلا حرج. لأنا نقول: هذا أدل الدليل على ما تقرر، لأن فتح هذا الباب يؤدي إلى أن لا يحفظ ترتيب الظواهر فإن من وجب عليه القتل بسبب ظاهر، فالعذر فيه ظاهر واضح، ومن طلب قتله بغير سبب ظاهر بل بمجرد أمر غيبي ربما شوش الخواطر وران على الظواهر، وقد فهم من الشرع سد هذا الباب جملة ألا ترى إلى باب الدعاوي المستند إلى أن «البينة على المدعي واليمين على من أنكر»، ولم يستثن من ذلك أحداً حتى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم احتاج في ذلك إلى البينة، فقال من يشهد لي؟ حتى شهد له خزيمة بن ثابت فجعلها الله شهادتين فما ظنك بآحاد الأمة، فلو ادعي أكذب الناس على أصلح الناس لكانت البينة على المدعي، واليمين على من أنكر وهذا من ذلك والنمط واحد، فالاعتبارات الغيبية مهملة بحسب الأوامر والنواهي الشرعية"(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ١٧٦)ح(١٧٣٩)،ومسلم وهذا لفظه (٥/ ١٠٨ ط التركية)ح(١٦٧٩).

(٢) الموافقات (٢/ ٤٦٧-٤٦٩).

الأدلة على الحكم بالظاهر[١]:

١- قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [النساء: ٩٤].

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله:"فالآية تدل على أنه يجب الكف عنه والتثبت، فإذا تبين منه بعد ذلك ما يخالف الإسلام قتل لقوله تعالى: {فَتَبَيَّنُوا}، ولو كان لا يقتل إذا قالها لم يكن للتثبيت معنى..وإن من أظهر التوحيد والإسلام وجب الكف عنه إلى أن يتبين منه ما يناقض ذلك"[٢].

٢- ومن أدلة الحكم على الظاهر عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ»[٣]، ووجه الشاهد من الحديث حيث قال صلى الله عليه وسلم: "وحسابهم على الله".

قال ابن رجب رحمه الله: "وأما في الأخرة فحسابه على الله سبحانه وتعالى، فإن كان صادقًا أدخله الله بذلك الجنة، وإن كان كاذبًا فإنه من جملة المنافقين في الدرك الأسفل من النار"[٤].

وقال ابن حجر رحمه الله: "أي أمر سرائرهم .. وفيه دليل على قبول الأعمال الظاهرة والحكم بما يقتضيه الظاهر"[٥].

---

(١) معجم التوحيد (١/ ٤٩٦-٤٩٧).

(٢) كشف الشبهات (ص١٣٢ ت القاسم).

(٣) أخرجه البخاري واللفظ له(١/ ١٤)ح(٢٥)، ومسلم (١/ ٣٩ ط التركية)ح(٢٢).

(٤) جامع العلوم والحكم (١/ ٢٣٦ ت الأرنؤوط).

(٥) فتح الباري لابن حجر (١/ ٧٧ ط السلفية).

وقال البغوي رحمه الله: "وفي الحديث دليل على أن أمور الناس في معاملة بعضهم بعضا إنما تجري على الظاهر من أحوالهم دون باطنها، وأن من أظهر شعار الدين أجري عليه حكمه، ولم يكشف عن باطن أمره، ولو وجد مختون فيما بين قتلى غلف، عزل عنهم في المدفن، ولو وجد لقيط في بلد المسلمين حكم بإسلامه"(١).

٣- ومن الأدلة على أن الحكم متعلق بالظاهر قصة أسامة بن زيد رضي الله عنه حيث قال: بَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فِي سَرِيَّةٍ، فَصَبَّحْنَا الْحُرَقَاتِ مِنْ جُهَيْنَةَ، فَأَدْرَكْتُ رَجُلًا فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَطَعَنْتُهُ فَوَقَعَ فِي نَفْسِي مِنْ ذَلِكَ، فَذَكَرْتُهُ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "أَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَقَتَلْتَهُ؟"، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفًا مِنَ السِّلَاحِ، قَالَ: "أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لَا؟ فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي أَسْلَمْتُ يَوْمَئِذٍ" (٢).

قال النووي رحمه الله: "وقوله صلى الله عليه وسلم: "أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا؟ " الفاعل في قوله أقالها هو القلب، ومعناه أنك إنما كلفت بالعمل بالظاهر وما ينطق به اللسان، وأما القلب فليس لك طريق إلى معرفة ما فيه فأنكر عليه امتناعه من العمل بما ظهر باللسان، وقال أفلا شققت عن قلبه لتنظر، هل قالها القلب واعتقدها وكانت فيه أم لم تكن فيه بل جرت على اللسان فحسب، يعني وأنت لست بقادر على هذا فاقتصر على اللسان فحسب ولا تطلب غيره"(٣).

وقال رحمه الله في تعليقه على قوله صلى الله عليه وسلم: "أفلا شققت عن قلبه؟ ": "وفيه دليل على القاعدة المعروفة في الفقه والأصول أن الأحكام يعمل فيها بالظواهر والله يتولى السرائر"(٤).

(١) شرح السنة للبغوي (١/ ٧٠).

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٦٧ ط التركية) ح(٩٦).

(٣) شرح النووي على مسلم (٢/ ١٠٤).

(٤) شرح النووي على مسلم (٢/ ١٠٧).

وقال محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: "فأما حديث أسامة فإنه قتل رجلًا ادَّعى الإسلام لسبب أنه ظن أنه ما ادعاه إلا خوفًا على دمه وماله، والرجل إذا أظهر الإسلام وجب الكف عنه حتى يتبيَّن منه ما يخالف ذلك"[1].

(١) كشف الشبهات (ص١٣٢ ت القاسم).

المطلب الثالث: قيام الحجة وفهمها، وفيه مسائل[1].

المسألة الأولى: معنى قيام الحجة والأدلة على ذلك.

أي أنه لا يكفر المعين ممن تلبس بالشرك أو الكفر إلا بعد قيام الحجة الرسالية عليه، وذلك يعني أنه لا بد من قيام حجة تنفي عمن تقام عليه أي شبهة أو تأويل[2].

وقال ابن تيمية رحمه الله: «وهكذا الأقوال التي يكفر قائلها قد يكون الرجل لم تبلغه النصوص الموجبة لمعرفة الحق، وقد تكون عنده ولم تثبت عنده، أو لم يتمكن من فهمها، وقد يكون قد عرضت له شبهات يعذره الله بها»[3].

وقد جاءت الأدلة الكثيرة على أن التكفير وإيقاع العقوبة في الدنيا والعذاب في الآخرة لا يكون إلا بعد الحجة الرسالية[4]، ومنها:

قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء: ١٥].

قال ابن جرير رحمه الله في تفسيره لهذه الآية:«وما كنا مُهلِكي قوم إلا بعد الإعذار إليهم بالرسل، وإقامة الحجة عليهم بالآيات التي تقطع عذرهم»[5].

وقال ابن كثير رحمه الله عند تفسيره للآية السابقة: «إخبار عن عدله تعالى، وأنه لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه بإرسال الرسول إليه»[6].

---

(١) ينظر في مسألة قيام الحجة: حقيقة الإيمان ونواقضه(٣٣٤-٣٤٦)، نواقض الإيمان الاعتقادية(٢٤٠-٢٤٥)، الجهل بمسائل الاعتقاد وحكمه(١٩٥-٢٣٢)، ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة(٢٩٥-٣٦٤).

(٢) ينظر: حقيقة الإيمان ونواقضه(٣٣٤)، ضوابط التكفير في ضوء السنة النبوية(٤٧).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٣/ ٣٤٦).

(٤) ينظر: حقيقة الإيمان ونواقضه(٣٣٤).

(٥) تفسير الطبري (١٤/ ٥٢٦).

(٦) تفسير ابن كثير – ت السلامة (٥/ ٥٢).

وقال رحمه الله في موضع آخر: «ثم قال الله تعالى مخبراً عن عدله في خلقه: أنه ما أهلك أمة من الأمم إلا بعد الإعذار إليهم، والإنذار لهم وبعثة الرسل إليهم وقيام الحجج عليهم»(١).

وقال الشنقيطي رحمه الله: «ظاهر هذه الآية الكريمة: أن الله جل وعلا لا يعذب أحدًا من خلقه لا في الدنيا ولا في الآخرة، حتى يبعث إليه رسولًا ينذره ويحذره فيعصي ذلك الرسول، ويستمر على الكفر والمعصية بعد الإنذار والإعذار»(٢).

وقال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾ [النساء: ١٦٥].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌۗ﴾ [المائدة: ١٩].

وقال تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَاۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٠-١٣١].

وقال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌۚ﴾ [الأنعام: ١٥٥-١٥٧]الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَاۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾ [القصص: ٥٩].

---

(١) تفسير ابن كثير – ت السلامة (٦/ ١٦٥).

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣/ ٥٥٩ ط عطاءات العلم).

وقال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [الزمر: ٧١].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ۝٤٩ قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ﴾ [غافر: ٤٩-٥٠].

وقال تعالى: ﴿كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ۝٨ قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ﴾ [الملك: ٨-٩].

وقال تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾ [الأنعام: ١٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ﴾ [التوبة: ١١٥].

والآيات في هذا المعنى كثيرة.

المسألة الثانية: يختلف قيام الحجة بحسب الأزمنة والأمكنة والأشخاص.

وقيام الحجة يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والأشخاص، فالمسألة نسبية، فقد تقوم الحجة على أهل هذا البلد لانتشار العلم والعلماء، ولا تقوم على أهل بلد آخر لضعف من يدعو ويبلغ، وقد تقوم الحجة على هذا الشخص لعلمه وفهمه، ولا تقوم على آخر لعدم تمكنه من العلم لأنه حديث عهد بإسلام، أو نشأ ببادية بعيدة ونحو ذلك(١).

وقال ابن تيمية رحمه الله: «وأن الأمكنة والأزمنة التي تفتر فيها النبوة لا يكون حكم من خفيت عليه آثار النبوة حتى أنكر ما جاءت به خطأ كما يكون حكمه في الأمكنة والأزمنة التي ظهرت فيها آثار النبوة»(٢).

---

(١) ينظر: الموسوعة العقدية (٦/ ٢٩٧ بترقيم الشاملة آليا).

(٢) بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية (ص٣١١).

وقال أيضاً: «فإنا بعد معرفة ما جاء به الرسول نعلم بالضرورة أنه لم يشرع لأمته أن يدعو أحدًا من الأموات لا الأنبياء ولا الصالحين ولا غيرهم، لا بلفظ الاستغاثة ولا بعيرها، ولا بلفظ الاستعاذة ولا بغيرها، كما أنه لم يشرع لأمته السجود لميت ولا إلى ميت ونحو ذلك، بل نعلم أنه نهى عن كل هذه الأمور، وأن ذلك من الشرك الذي حرمه الله ورسوله.

لكن لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرين؛ لم يمكن تكفيرهم بذلك حتى يتبيّن لهم ما جاء به الرسول مما يخالفه»(١).

وقال كذلك رحمه الله: «وفي أوقات الفترات وأمكنة الفترات: يثاب الرجل على ما معه من الإيمان القليل ويغفر الله فيه لمن لم تقم الحجة عليه ما لا يغفر به لمن قامت الحجة عليه كما في الحديث المعروف: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَعْرِفُونَ فِيهِ صَلَاةً وَلَا صِيَامًا وَلَا حَجًّا وَلَا عُمْرَةً إلَّا الشَّيْخَ الْكَبِيرَ؛ وَالْعَجُوزَ الْكَبِيرَةَ. وَيَقُولُونَ: أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا وَهُمْ يَقُولُونَ لَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ فَقِيلَ لِحُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ: مَا تُغْنِي عَنْهُمْ لَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ؟ فَقَالَ: تُنْجِيهِمْ مِنْ النَّارِ»(٢). وأصل ذلك أن المقالة التي هي كفر بالكتاب والسنة والإجماع يقال هي كفر قولاً يطلق كما دل على ذلك الدلائل الشرعية؛ فإن " الإيمان " من الأحكام المتلقاة عن الله ورسوله؛ ليس ذلك

---

(١) الاستغاثة في الرد على البكري (ص٤١١).

(٢) الحديث أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٣٤٤ ت عبد الباقي)ح(٤٠٤٩) من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه باختلاف يسير، ولفظه: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: " يَدْرُسُ الْإِسْلَامُ كَمَا يَدْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ، حَتَّى لَا يُدْرَى مَا صِيَامٌ، وَلَا صَلَاةٌ، وَلَا نُسُكٌ، وَلَا صَدَقَةٌ، وَلَيُسْرَى عَلَى كِتَابِ اللَّهِ عز وجل فِي لَيْلَةٍ، فَلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ، وَتَبْقَى طَوَائِفُ مِنَ النَّاسِ الشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْعَجُوزُ، يَقُولُونَ: أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَنَحْنُ نَقُولُهَا " فَقَالَ لَهُ صِلَةُ: مَا تُغْنِي عَنْهُمْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَهُمْ لَا يَدْرُونَ مَا صَلَاةٌ، وَلَا صِيَامٌ، وَلَا نُسُكٌ، وَلَا صَدَقَةٌ؟ فَأَعْرَضَ عَنْهُ حُذَيْفَةُ، ثُمَّ رَدَّهَا عَلَيْهِ ثَلَاثًا، كُلَّ ذَلِكَ يُعْرِضُ عَنْهُ حُذَيْفَةُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فِي الثَّالِثَةِ، فَقَالَ: «يَا صِلَةُ، تُنْجِيهِمْ مِنَ النَّارِ» ثَلَاثًا.

وأخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٥٨٧)ح(٨٦٣٦) وصححه وقال: على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه ح(٤٠٤٩)، وقال الأرناؤوط في تحقيقه لسنن ابن ماجه (٥/ ١٧٣ الأرنؤوط)ح(٤٠٤٩):«إسناده صحيح».

مما يحكم فيه الناس بظنونهم وأهوائهم. ولا يجب أن يحكم في كل شخص قال ذلك بأنه كافر حتى يثبت في حقه شروط التكفير وتنتفي موانعه، مثل من قال: إن الخمر أو الربا حلال؛ لقرب عهده بالإسلام؛ أو لنشوئه في بادية بعيدة أو سمع كلاماً أنكره ولم يعتقد أنه من القرآن ولا أنه من أحاديث رسول الله ﷺ، كما كان بعض السلف ينكر أشياء حتى يثبت عنده أن النبي صلى الله عليه وسلم قالها، وكما كان الصحابة يشكّون في أشياء مثل رؤية الله، وغير ذلك»(١).

وقال الذهبي رحمه الله: فلا يأثم أحد إلا بعد العلم وبعد قيام الحجة عليه، والله لطيف رؤوف بهم، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، وقد كان سادة الصحابة بالحبشة ينزل الواجب والتحريم على النبي صلى الله عليه وسلم فلا يبلغهم إلا بعد أشهر، فهم في تلك الأمور معذورون بالجهل حتى يبلغهم النص، وكذا يعذر بالجهل من لم يعلم حتى يسمع النص(٢).

وقال ابن القيم رحمه الله: «قيام الحجة يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والأشخاص، فقد تقوم حجة الله على الكفار في زمان دون زمان، وفي بقعة وناحية دون أخرى. كما أنَّها تقوم على شخص دون آخر، إمَّا لعدم عقله وتمييزه كالصغير والمجنون، وإمَّا لعدم فهمه كمن لا يفهم الخطاب، ولم يحضر ترجمان يُترجِم له، فهذا بمنزلة الأصمّ الذي لا يسمع شيئًا ولا يتمكّن من الفهم»(٣).

---

(١) مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٦٥).

(٢) ينظر: الكبائر الذهبي ت مشهور ال سلمان(١١١، ١١٣).

(٣) طريق الهجرتين وباب السعادتين (٢/ ٩٠٢).

المسألة الثالثة: من أقوال العلماء في عدم تكفير الجاهل المعين قبل قيام الحجة عليه.

قال الشافعي رحمه الله: «فإن خالف بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر، فأما قبل ثبوت الحجة عليه فمعذور بالجهل، لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل، ولا بالروية والفكر»(١).

وقال ابن حزم رحمه الله: «ولا خلاف في أن امرأً لو أسلم ولم يعلم شرائع الإسلام، فاعتقد أن الخمر حلال، وأن ليس على الإنسان صلاة، وهو لم يبلغه حكم الله تعالى لم يكن كافراً بلا خلاف يعتد به، حتى إذا قامت عليه الحجة فتمادى حينئذ بإجماع الأمة فهو كافر»(٢).

ويقول ابن تيمية رحمه الله: «وليس لأحد أن يكفر أحداً من المسلمين وإن أخطأ وغلط، حتى تقام عليه الحجة وتبين له المحجة، ومن ثبت إسلامه بيقين لم يزل ذلك عنه بالشك؛ بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة وإزالة الشبهة»(٣).

وقال أيضاً: «لكن من الناس من يكون جاهلاً ببعض هذه الأحكام جهلاً يعذر به فلا يحكم بكفر أحد حتى تقوم عليه الحجة من جهة بلاغ الرسالة، كما قال تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾ [النساء: ١٦٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، ولهذا لو أسلم رجل ولم يعلم أن الصلاة واجبة عليه؛ أو لم يعلم أن الخمر يحرم لم يكفر بعدم اعتقاد إيجاب هذا وتحريم هذا؛ بل ولم يعاقب حتى تبلغه الحجة النبوية»(٤).

وقال محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: «وأما الكذب والبهتان، فمثل قولهم: إنا نكفر بالعموم، ونوجب الهجرة إلينا على من قدر على إظهار دينه، وإنا نُكَفِّرُ من لم يُكَفِّرْ، ومن لم يُقاتِل، ومثل هذا وأضعاف أضعافه، فكل هذا من الكذب والبهتان، الذي يصدون به الناس عن دين الله ورسوله.

---

(١) نقله عنه في مختصر العلو للعلي العظيم (ص١٧٧).

(٢) المحلى بالآثار (١٢/ ١٣٥).

(٣) مجموع الفتاوى (١٢/ ٤٦٦).

(٤) مجموع الفتاوى (١١/ ٤٠٦).

وإذا كنا لا نُكَفِّرُ من عبد الصنم، الذي على عبد القادر، والصنم الذي على قبر أحمد البدوي، وأمثالهما، لأجل جهلهم، وعدم من ينبههم، فكيف نكفر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا، أو لم يُكَفِّرْ ويُقاتِل؟ ﴿سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٞ﴾ [النور: ١٦]»(١).

وقال عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ رحمه الله: «وكان شيخنا محمد بن عبد الوهاب يقرر في مجالسه ورسائله أنه لا يكفر إلا من قامت عليه الحجة الرسالية، وإلا من عرف دين الرسول، وبعد معرفته تبين في عداوته ومسبته، وتارة يقول: وإذا كنا لا نكفر من يعبد الكواز ونحوه ونقاتلهم، حتى نبين لهم وندعوهم، فيكف نكفر من لم يهاجر إلينا؟»(٢).

ويقول أيضاً عنه: «وأنه لا يكفر إلا بما أجمع المسلمون على تكفير فاعله من الشرك الأكبر، والكفر بآيات الله ورسله، أو بشيء منها، بعد قيام الحجة، وبلوغها المعتبر»(٣).

وقال سليمان بن سحمان رحمه الله: «والشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله من أعظم الناس توقفاً وإحجاماً عن إطلاق الكفر، حتى أنه لم يجزم بتكفير الجاهل الذي يدعو غير الله من أهل القبور أو غيرهم إذا لم يتيسر له من ينصحه، ويبلغه الحجة التي يكفر تاركها.

قال في بعض رسائله: وإن كنا لا نكفر من عبد قبة الكواز، لجهلهم وعدم من ينبههم، فكيف من لم يهاجر إلينا؟ وقال -وقد سئل عن مثل هؤلاء الجهال- فقرر أن من قامت عليه الحجة، وتأهل لمعرفتها، يكفر بعبادة القبور»(٤).

وقال عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله: «بقي مسألة حدثت، تكلم بها شيخ الإسلام ابن تيمية، وهو: عدم تكفير، المعين ابتداء لسبب ذكره رحمه الله تعالى، أوجب له التوقف في تكفيره قبل إقامة الحجة عليه، قال رحمه الله تعالى: ونحن نعلم بالضرورة، أن النبي لم يشرع لأحد أن يدعو أحدا من الأموات، لا «الأنبياء، ولا الصالحين، ولا غيرهم، لا بلفظ

---

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١/ ١٠٤).

(٢) منهاج التأسيس(ص٢٢٢).

(٣) الدرر السنية(١/ ٤٦٧).

(٤) الضياء الشارق(ص٣٧٢).

الاستغاثة، ولا بغيرها؛ كما أنه لم يشرع لأمته السجود لميت، ولا إلى ميت، ونحو ذلك، بل نعلم أنه نهى عن هذه الأمور كلها، وأن ذلك من الشرك الذي حرمه الله ورسوله، ولكن لغلبة الجهل، وقلة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرين، لم يمكن تكفيرهم بذلك، حتى يبين ما جاء به الرسول مما يخالفه، انتهى.

قلت: فذكر رحمه الله تعالى ما أوجب له عدم إطلاق الكفر عليهم، على التعيين خاصة، إلا بعد البيان والإصرار فإنه قد صار أمة وحده؛ لأن من العلماء من كفره، بنهيه لهم عن الشرك في العبادة، فلا يمكن أن يعاملهم بمثل ما قال، كما جرى لشيخنا محمد بن عبد الوهاب، رحمه الله تعالى، في ابتداء دعوته، فإنه إذا سمعهم يدعون زيداً بن الخطاب، قال: الله خير من زيد، تمريناً لهم على نفي الشرك، بلين الكلام، نظراً إلى المصلحة، وعدم النفرة»[(١)].

وقال سليمان بن سحمان رحمه الله: «لا تقوم الحجة إلا بمن يحسن إقامتها، وأما من لا يحسن إقامتها: كالجاهل الذي لا يعرف أحكام دينه، ولا ما ذكره العلماء في ذلك، فإنه لا تقوم به الحجة فيما أعلم، والله أعلم»[(٢)].

وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء: «يختلف الحكم على الإنسان بأنه يعذر بالجهل في المسائل الدينية أو لا يعذر باختلاف البلاغ وعدمه، وباختلاف المسألة نفسها وضوحا وخفاء وتفاوت مدارك الناس قوة وضعفاً.. »[(٣)].

وجاء في خاتمة الفتوى السابقة: «وبذا يعلم أنه لا يجوز لطائفة الموحدين الذين يعتقدون كفر عباد القبور أن يكفروا إخوانهم الموحدين الذين توقفوا في كفرهم حتى تقام عليهم الحجة؛ لأن توقفهم عن تكفيرهم له شبهة وهي اعتقادهم أنه لا بد من إقامة الحجة على أولئك القبوريين

---

(١) الدرر السنية(٢/ ٢١٠- ٢١١).

(٢) منهاج أهل الحق والاتباع(ص٨٥).

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة – المجموعة الأولى (٢/ ١٤٧- ١٥١).

قبل تكفيرهم بخلاف من لا شبهة في كفره كاليهود والنصارى والشيوعيين وأشباههم، فهؤلاء لا شبهة في كفرهم ولا في كفر من لم يكفرهم، والله ولي التوفيق»(١).

وقد أجاب ابن عثيمين رحمه الله على من سأله «هل مَن وقع في الشرك الأكبر؛ مثل: مَن استغاث بغير الله، أو نَذَر نَذْراً لغير الله، هل يقال: إنه كافر، أم يقال: لا بد من قيام الحجة عليه؟

الجواب:

كلُّ إنسان يقع في شرك ومثله يجهله فإنه لا يُحكم بشركه حتى تقوم عليه الحجة، كما أنَّ مَن وقع في معصية دون الشرك فإنه لا يُعاقب عليها إذا كان مثله يجهلها؛ فلو أن رجلاً زنا وهو قريب عهد بالإسلام ولا يعلم أن الزنا حرام فإننا لا نقيم عليه الحد؛ لأنه جاهل، وكذلك الذي يستغيث بغير الله أو يدعو غير الله وهو جاهل ونعلم أن مثله يجهله فإنه لا يُحكم بكفره؛ لأن الآياتِ الصريحةَ كثيرة في أنه لا يُحكم بالكفر إلا بعد العلم، يقول الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَاۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾ [القصص: ٥٩]، ولا ظُلْم إلا بالعناد والمشاقَّة.

ويقول تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، فبيَّن أنه لا حجة للخلق على الله إلا إذا أرسل الرسول، وأعلمهم بأن هذا حرام وهذا شرك.

وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٥].

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة – المجموعة الأولى (٢/ ١٤٧- ١٥١).

والآيات في هذا المعنى كثيرة.

والإنسان لا يعرف ما حرَّم الله سبحانه وتعالى إلا بعلم مِن قِبَل الرسل.

فإذا كان هذا الإنسان مسلماً يصلي، ويصوم، ويزكي، ويحج، ويستغيث بغير الله وهو لا يدري أنه حرام، فهو مسلم؛ لكن بشرط أن يكون مثله يجهله، بحيث يكون حديث عهد بالإسلام، أو في بلادٍ انتشر فيها هذا الشيء، وصار عندهم كالمباح، وليس عندهم علماء يبينون لهم.

أما لو كان في بلدٍ التوحيدُ فيها ثابتٌ مطمئنٌ فإن ادعاءَ الجهلَ قد يكون كاذباً فيه»[1].

---

(١) لقاء الباب المفتوح رقم٤٣ (٢/٤٥٤-٤٥٦).

المسألة الرابعة: فهم الحجة، وأقوال العلماء في ذلك(١).

لا بد أن يكون بلوغ الحجة على وجه يفهمه المخاطب ويعقله، ممن يحسن تبليغها.

من الأدلة على ذلك:

وقد سبق في المسألة السابقة الكثير من الأدلة في ذلك، والأدلة على وجه الخصوص في هذه المسألة منها:

قال تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النحل: ٨٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [العنكبوت: ١٨].

وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [التغابن: ١٢].

وقال ابن جرير رحمه الله: «ويعني بقوله: ﴿ٱلْمُبِينُ﴾ الذي يُبَيِّنُ لمن سمِعه حتى يَفْهَمَه»(٢).

ويقول ابن حزم رحمه الله: "وكل ما قلنا فيه أنه يفسق فاعله أو يكفر بعد قيام الحجة، فهو ما لم تقم الحجة عليه معذور مأجور وإن كان مخطئًا، وصفة قيام الحجة عليه أن تبلغه فلا يكون عنده شيء يقاومها، وبالله التوفيق"(٣).

وقال ابن القيم رحمه الله: "أن العذاب يستحق بسببين:

أحدهما: الإعراض عن الحجة وعدم إرادتها والعمل بها وبموجبها.

الثاني: العناد لها بعد قيامها وترك إرادة موجبها.

---

(١) ينظر في ذلك: نواقض الإيمان القولية والعملية(٧١-٧٤)، الجهل بمسائل الاعتقاد وحكمه(٢١٦-٢٣٦)، نواقض الإيمان الاعتقادية (١/٢٤٣-٢٩٣)، حقيقة الإيمان ونواقضه(٣٤٣-٣٤٦)، معجم التوحيد (٣/ ٥٨-٧٧).

(٢) تفسير الطبري (١٤/ ٣٢٥).

(٣) الإحكام في أصول الأحكام(١/ ٧٤).

فالأول: كفر إعراض، والثاني: كفر عناد، وأما الجهل مع عدم قيام الحجة، وعدم التمكن من معرفتها، فهذا الذي نفى الله التعذيب عنه حتى تقوم حجة الرسل"(١).

وقال ابن العربي المالكي رحمه الله: «فالجاهل والمخطئ من هذه الأمة، ولو عمل من الكفر والشرك ما يكون صاحبه مشركاً أو كافراً، فإنه يعذر بالجهل والخطأ، حتى تتبين له الحجة، الذي يكفر تاركها، بياناً واضحاً ما يلتبس على مثله. وينكر ما هو معلوم بالضرورة من دين الإسلام مما أجمعوا عليه إجماعاً جليّاً قطعياً يعرفه كل من المسلمين من غير نظر وتأمل»(٢).

وقال عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ رحمه الله: «وأنه لا يكفر إلا بما أجمع المسلمون على تكفير فاعله من الشرك الأكبر، والكفر بآيات الله ورسله، أو بشيء منها، بعد قيام الحجة، وبلوغها المعتبر»(٣).

وقال ابن سحمان رحمه الله: «فالذي يظهر لي، والله أعلم، أنها لا تقوم الحجة إلا بمن يحسن إقامتها، وأما من لا يحسن إقامتها كالجاهل الذي لا يعرف أحكام دينه، ولا ما ذكره العلماء في ذلك، فإنه لا تقوم به الحجة فيما أعلم»(٤).

وقد سبق الكثير من كلام العلماء في المسألة التي قبل هذه المسألة فلا حاجة لإعادته.

وسئلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالسؤال الآتي:

هل يمكن للرجل أن يقول لصاحبه أنت كافر قبل أن يعلمه بعمله؟

فأجابت: "الحمد لله وحده والصلاة والسلام على وسوله وآله وصحبه .. وبعد: إذا كان صاحبه كافرًا فالمشروع أن يعلمه أن عمله كفر وينصحه بتركه بالأسلوب الحسن، فإذا لم يترك

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين (٢/ ٩٠١-٩٠٢).

(٢) نقله عنه في تفسير محاسن التأويل للقاسمي (٣/ ١٦١).

(٣) الدرر السنية(١/ ٤٦٧).

(٤) منهاج أهل الحق والاتباع (ص٨٥).

عمله الذي أوجب كفره أجريت عليه أحكام الكفار، وهو متوعد بما توعد الله به من مات على كفره من الكفار بالخلود في النار، والواجب التثبت في هذه الأمور وعدم التعجل بالتكفير حتى يتضح الدليل"[1].

وقال ابن عثيمين رحمه الله: «الحجة لا تقوم إلا إذا بلغت المكلف على وجه يفهمها .. وأما من بلغه النص ولكنه لم يعرف منه معنىً أصلاً، كرجل أعجمي بلغه النص باللغة العربية، ولكن لا يدري ما معنى هذا النص، فهذا لم تقم عليه الحجة بلا شك، ودليل هذا قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ﴾ [إبراهيم: ٤] أي: بعد البيان بهذا اللسان الذي يفهمونه يضل الله من يشاء، فلا يقبل ويهدي من يشاء فيقبل.

وأي فائدة لرجل أعجمي يُقرأ عليه القرآن من لسان عربي وهو لا يدري ما هو...فالذي نرى: أنه لا بد من بلوغ الحجة، وفهم معناها على وجه يتبين له الحق»[2].

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة – المجموعة الأولى (٢/ ١٣٩).

(٢) لقاء الباب المفتوح رقم اللقاء٩٨ (١٣/٧٣-٧٤).

المطلب الرابع: شروط تكفير المعين وموانعه وفيه تمهيد ومسائل(١).

التمهيد.

سبق الكلام بتفصيل عن التكفير المطلق وتكفير المعين، وأن الحكم بتكفير المعين لا يكون إلا إذا تحققت الشروط وانتفت الموانع، يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «فالواجب قبل الحكم بالتكفير أن ينظر في أمرين:

الأمر الأول: دلالة الكتاب والسنة على أن هذا مكفر لئلا يفتري على الله الكذب.

الثاني: انطباق الحكم على الشخص المعين بحيث تتم شروط التكفير في حقه، وتنتفي الموانع.

ومن أهم الشروط أن يكون عالماً بمخالفته التي أوجبت كفره لقوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

فاشترط للعقوبة بالنار أن تكون المشاقة للرسول من بعد أن يتبين الهدى له»(٢).

ويقول ابن عثيمين رحمه الله: «الكفر حكم شرعي مرده إلى الله ورسوله، فما دل الكتاب والسنة على أنه كفر فهو كفر، وما دل الكتاب والسنة على أنه ليس بكفر فليس بكفر، فليس على أحد بل ولا له أن يكفر أحدا حتى يقوم الدليل من الكتاب والسنة على كفره.

وإذا كان من المعلوم أنه لا يملك أحد أن يحلل ما حرم الله، أو يحرم ما أحل الله، أو يوجب ما لم يوجبه الله تعالى إما في الكتاب أو السنة، فلا يملك أحد أن يكفر من لم يكفره الله إما في الكتاب وإما في السنة.

---

(١) ينظر في ذلك: مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٣/ ٥٢- ٥٥)، قضية التكفير بين أهل السنة وفرق الضلال في ضوء الكتاب والسنة (ص٣٤وما بعدها)، كتاب نواقض الإيمان الاعتقادية، ضوابط التكفير في ضوء السنة النبوية (ص٣٩ وما بعدها)، كتاب الجهل بمسائل الاعتقاد وحكمه، كتاب ضوابط التكفير عند أهل السنة، معجم التوحيد (١/ ٤٨٣ وما بعدها)، تكفير المعين شروطه وموانعه(٢٣وما بعدها).

(٢) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٢/ ١٣٤-١٣٥).

ولا بد في التكفير من شروط أربعة:

الأول: ثبوت أن هذا القول، أو الفعل، أو الترك كفر بمقتضى دلالة الكتاب أو السنة.

الثاني: ثبوت قيامه بالمكلف.

الثالث: بلوغ الحجة.

الرابع: انتفاء مانع التكفير في حقه.

"فإذا لم يثبت أن هذا القول، أو الفعل، أو الترك كفر بمقتضى دلالة الكتاب والسنة، فإنه لا يحل لأحد أن يحكم بأنه كفر؛ لأن ذلك من القول على الله بلا علم، وقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣]، وقال: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]".

وإذا لم يثبت قيامه بالمكلف، فإنه لا يحل أن يرمى به بمجرد الظن لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ﴾ الآية، ولأنه يؤدي إلى استحلال دم المعصوم بلا حق. وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أيما امرئ قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما؛ إن كان كما قال، وإلا رجعت عليه» هذا لفظ مسلم.

وعن أبي ذر رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «لا يرمي رجل رجلا بالفسوق، ولا يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه، إن لم يكن صاحبه كذلك» .

أخرجه البخاري، ولمسلم معناه.

وإذا لم تبلغه الحجة، فإنه لا يحكم بكفره؛ لقوله تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾[الأنعام: ١٩]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَاۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾ [القصص: ٥٩]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ

وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾ [النساء: ١٦٣] إلى قوله: ﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٥]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ﴾ [الإسراء: ١٥].

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة –يعني أمة الدعوة– يهودي ولا نصراني ثم يموت، ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار» .

لكن إن كان من لم تبلغه الحجة لا يدين بدين الإسلام، فإنه لا يعامل في الدنيا معاملة المسلم، وأما في الآخرة، فأصح الأقوال فيه أن أمره إلى الله تعالى.

وإذا تمت هذه الشروط الثلاثة أعني ثبوت أن هذا القول، أو الفعل أو الترك كفر بمقتضى دلالة الكتاب والسنة، وأنه قام بالمكلف، وأن المكلف قد بلغته الحجة، ولكن وجد مانع التكفير في حقه، فإنه لا يكفر لوجود المانع.

فمن موانع التكفير:

الإكراه؛ فإذا أكره على الكفر فكفر، وكان قلبه مطمئنا بالإيمان، لم يحكم بكفره؛ لوجود المانع، وهو الإكراه؛ قال الله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [النحل: ١٠٦].

ومن موانع التكفير:

أن يغلق على المرء قصده، فلا يدري ما يقول لشدة فرح، أو حزن، أو خوف، أو غير ذلك؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٞ فِيمَآ أَخۡطَأۡتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتۡ قُلُوبُكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥].

وفي صحيح مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه، وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع

في ظلها، قد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده، فأخذ خطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي، وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح».

فهذا الرجل أخطأ من شدة الفرح خطأ يخرج به عن الإسلام، لكن منع من خروجه منه أنه أغلق عليه قصده، فلم يدر ما يقول من شدة الفرح، فقد قصد الثناء على ربه؛ لكنه من شدة الفرح أتى بكلمة لو قصدها لكفر.

فالواجب الحذر من إطلاق الكفر على طائفة أو شخص معين، حتى يعلم تحقق شروط التكفير في حقه، وانتفاء موانعه»[١].

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٣/ ٥٢- ٥٥).

اذن لا يحكم على الشخص المعين بكفر إلا بعد تحقق الشروط وانتفاء الموانع، ودونك تفصيل ذلك في المسائل الآتية:

المسألة الأولى: شروط التكفير[1].

للتكفير شروطٌ لا بدّ مِن توافرها حتى يمكن الحكم بالكفر على الشخص الذي يصدر منه القول أو الفعل أو الاعتقاد المكفّر.

أولاً: شرط التكفير المتعلق بالفعل:

ثبوت أنّ هذا القول أو الفعل أو الاعتقاد أو الترك كفر بمقتضى دلالة الكتاب والسنة:

وكما سبق قول ابن عثيمين رحمه الله: "فإذا لم يثبت أن هذا القول، أو الفعل، أو الترك كفر بمقتضى دلالة الكتاب والسنة، فإنه لا يحل لأحد أن يحكم بأنه كفر؛ لأن ذلك من القول على الله بلا علم، وقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣]، وقال: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]"[2].

ثانياً: شروط التكفير المتعلقة بالفاعل:

١- التكليف:

بأن يكون عاقلاً بالغاً مدركاً لأفعاله وأقواله ومحاسب عليها، فلا يصح تكفير الصبي والمجنون، ولا مَن زال عقله بإغماء أو نوم أو تخدير أو بنج، ويلحق بالجنون الأمراض النفسية التي لها حكم الجنون كالوسواس القهري وحالات الاكتئاب المتقدمة وانفصام الشخصية...الخ، لقوله

(١) ينظر في الشروط والموانع: مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٣/ ٥٢- ٥٥)، تكفير المعين شروطه وموانعه وقواعده(٢٦-٣١).

(٢) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٣/ ٥٢).

صلى الله عليه وسلم : "رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنْ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنْ الصَّغِيرِ حَتَّى يَكْبَرَ، وَعَنْ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ، أَوْ يُفِيقَ"(١).

٢- الاختيار:

وذلك بأن يصدر منه ما هو مكفر بإرادته ورغبته من غير إجبار صحيح معتبر شرعاً، فلا يجوز تكفير مكرَه على الكفر وقلبُه مطمئن بالإيمان، لقوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [النحل: ١٠٦].

٣- القصد:

فلا يقع التكفير على المخطئ، والناسي، أو من قال كلاماً لم يقصده لعارض عرض له فغلب على عقله من شدة فرح أو حزن أو خوف أو غير ذلك، لقوله تعالى: ﴿وَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٞ فِيمَآ أَخۡطَأۡتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتۡ قُلُوبُكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥].

ولقوله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ اللَّهَ وَضَعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ، وَالنِّسْيَانَ، وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ"(٢).

وقوله صلى الله عليه وسلّم : "لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً، فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا، قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ"(٣)،

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٣٩٨)، والنسائي (٣٤٣٢)، وابن ماجه(٢٠٤١) .

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢٠٤٥)، وصححه الألباني في إرواء الغليل(١/١٢٣).

(٣) أخرجه مسلم(٢٧٤٧) .

فهذا الرجل سبق لسانُه بكلمة الكفر دون قصدٍ منه بسبب شدة فرحه، فلم يعتبر كافراً، وانتفى الإثم عنه.

٤- العلم:

المراد به المعرفة بالكفر الأكبر قولاً أو فعلاً أو اعتقاداً، فيصدر عنه الكفر الأكبر وهو عالم به، غير جاهل أي خالي من العلم به، وذلك بأن يتمكن من العلم بدين الله ويستطيع العمل به. ووسيلة هذا العلم هو قيام الحجة التي أقامها الله عز وجل ببعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام، وبإنزال الكتب، وقد سبق الكلام عن ذلك، فكثيرٌ مِن المسلمين تصدر عنهم أقوال وأفعال مكفّرة، وهم لا يعلمون أنّها مكفّرة أو مخالفة للشريعة، لذلك من الواجب فيمن صدر منه اللفظ أو الفعل الوقوف على حاله، والتأكد منه هل يقصد المعنى المكفّر، ويعلم أنّه يرتكب به المحظور أو أنه جاهلٌ بذلك.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "وأما جَحَدَ ذلك جهلًا، أو تأويلًا يُعذر فيه صاحبه فلا يكفر صاحبه به، كحديث الذي جحد قدرة الله عليه وأمر أهله أن يحرقوه ويذْرُوهُ في الريح، ومع هذا فقد غفر الله له ورحمه لجهله، إذْ كان ذلك الذي فعله مبلغ علمه، ولم يجحد قدرة الله على إعادته عنادًا أو تكذيبًا"(١).

المسألة الثانية: موانع التكفير:

لا يكفي لإطلاق حكم الكفر على الشخص أن يتلبس بالفعل أو القول المكفّر، بل لا بدّ مِن اعتبار انتفاء الموانع في حقّه، فإذا وُجد أحدُ هذه الموانع امتنع تكفيره، وهذه الموانع هي: الجهل، والخطأ، والإكراه، والتأويل.

ودونك بيانها بشيء من الإيجاز:

١- الجهل:

---

(١) مدراج السالكين(١/٣٤٨).

فقد يتلفظ الشخص بالقول المكفّر أو يفعل فعلاً مكفراً ولا يُحكم عليه بالكفر، بسبب جهله، والعذر بالجهل له حالات، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وكثير من الناس قد ينشأ في الأمكنة والأزمنة الذي يندرس فيها كثير من علوم النبوات، حتى لا يبقى من يبلغ ما بعث الله به رسوله من الكتاب والحكمة، فلا يعلم كثيراً مما بعث الله به رسوله ولا يكون هناك من يبلغه ذلك، ومثل هذا لا يكفر، ولهذا اتفق الأئمة على أن مَن نشأ ببادية بعيدة عن أهل العلم والإيمان، وكان حديث العهد بالإسلام فأنكر هذه الأحكام الظاهرة المتواترة فإنه لا يحكم بكفره حتى يعرف ما جاء به الرسول، ولهذا جاء في الحديث: (يأتي على الناس زمان لا يعرفون فيه صلاة ولا زكاة) ثم ذكر بقية الحديث"(١).

ويدل للعذر بالجهل أدلة منها:

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٣١]، ووجهُ الدلالةِ: "أنّ إرادةَ اللهِ –سبحانه– لإهلاكِ القريةِ إنما يكونُ بعدَ إرسالِ الرُّسُلِ إليهم وتكذيبِهم، وإلّا فقَبْلَ ذلك هو لا يُريدُ إهلاكَهم لأنهم معذورون بغفلتِهم وعدمِ بلوغِ الرسالةِ إليهم"(٢).

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "كَانَ رَجُلٌ يُسْرِفُ عَلَى نَفْسِهِ، فَلَمَّا حَضَرَهُ الموْتُ، قَالَ لِبَنِيهِ: إِذَا أَنَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي، ثُمَّ اطْحَنُونِي، ثُمَّ ذَرُّونِي فِي الرِّيحِ، فَوَاللهِ لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبَنِّي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ أَحَدًا! فَلَمَّا مَاتَ فُعِلَ بِهِ ذَلِكَ، فَأَمَرَ اللهُ الأَرْضَ فَقَالَ: اجْمَعِي مَا فِيكِ مِنْهُ، فَفَعَلَتْ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ، فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: يَا رَبِّ خَشْيَتُكَ، فَغَفَرَ لَهُ"(٣).

فالحديث واضح الدلالة أن الرجل وقع في الكفر بإنكاره لقدرة الله تعالى على البعث وإعادة الجسم بعد الإحراق جهلاً منه، ولكنه كان مؤمناً بوجود الله تعالى، فغُفر الله له.

---

(١) مجموع الفتاوى(٤٠٧/١١).

(٢) شفاء العليل(٢٨١).

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٨١)، ومسلم(٢٧٥٦) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية معلقاً على هذا الحديث: "فهذا الرجل ظن أن الله لا يقدر عليه إذا تفرق هذا التفرق، فظن أنه لا يعيده إذا صار كذلك، وكلٌّ واحد من إنكار قدرة الله –تعالى– وإنكار معاد الأبدان وإن تفرقت كفر، لكنه كان مع إيمانه بالله وإيمانه بأمره وخشيته منه جاهلاً بذلك، ضالاً في هذا الظن مخطئاً، فغفر الله له ذلك. والحديث صريح في أن الرجل طمع أن لا يعيده إذا فعل ذلك، وأدنى هذا أن يكون شاكاً في المعاد، وذلك كفرٌ إذا قامت حجة النبوة على منكره حكم بكفره"(١).

وقال الخطابي رحمه الله: "قد يُستشكل هذا فيقال: كيف يغفر له وهو منكر للبعث والقدرة على إحياء الموتى؟ والجواب: أنه لم ينكر البعث، وإنما جهل فظن أنه إذا فُعل به ذلك لا يعاد فلا يعذب، وقد ظهر إيمانه باعترافه بأنه إنما فعل ذلك مِن خشية الله"(٢).

وعن حذيفة بن اليمان –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يَدْرُسُ الْإِسْلَامُ كَمَا يَدْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ، حَتَّى لَا يُدْرَى مَا صِيَامٌ، وَلَا صَلَاةٌ، وَلَا نُسُكٌ، وَلَا صَدَقَةٌ، وَلَيُسْرَى عَلَى كِتَابِ اللَّهِ عز وجل فِي لَيْلَةٍ، فَلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ، وَتَبْقَى طَوَائِفُ مِنَ النَّاسِ الشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْعَجُوزُ، يَقُولُونَ: أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَنَحْنُ نَقُولُهَا " فَقَالَ لَهُ صِلَةُ: مَا تُغْنِي عَنْهُمْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَهُمْ لَا يَدْرُونَ مَا صَلَاةٌ، وَلَا صِيَامٌ، وَلَا نُسُكٌ، وَلَا صَدَقَةٌ؟ فَأَعْرَضَ عَنْهُ حُذَيْفَةُ، ثُمَّ رَدَّهَا عَلَيْهِ ثَلَاثًا، كُلَّ ذَلِكَ يُعْرِضُ عَنْهُ حُذَيْفَةُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فِي الثَّالِثَةِ، فَقَالَ: «يَا صِلَةُ، تُنْجِيهِمْ مِنَ النَّارِ» ثَلَاثًا(٣).

فهذا الحديث –وإن كان يتحدث عن حال الناس في آخر الزمان، حيث لا يُدرى ما صلاة ولا صيام– فإن فيه دليلاً على العذر بالجهل، حيث يوجد في بعض الأمكنة أو الأزمنة من

---

(١) مجموع الفتاوى(١١/٤٠٩).

(٢) ينظر: فتح الباري لابن حجر (٦/ ٥٢٢ ط السلفية).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٤٠٤٩)، وقال الحاكم في المستدرك (٨٤٦٠): حديث "صحيح على شرط مسلم"، وأقره الذهبي.

ينطق بالشهادتين وتخفى عليه بعض الأحكام الظاهرة المتواترة كوجوب الصلاة والصوم، فأمثال هؤلاء يعذرون بجهلهم، لأن الحجة لم تقم عليهم.

«ولكن العذر بالجهل له حالات؛ لأنه يختلف باختلاف الأزمنة، والأمكنة، والأشخاص يختلفون: فمنهم من قامت عليه الحجَّة، ومنهم من لم تقم عليه، باعتباره – مثلاً –: حديث عهد بإسلام، أو نشأ ببادية بعيدة، وكذلك الجهل يختلف إن كان جهلاً بما هو معلوم من الدين بالضرورة أو ما دون ذلك. ولا يعني أن الجهل عذر مقبول لكل من ادّعاه؛ فإن من العلم ما لا يسع المسلم البالغ غير المغلوب على عقله جهله مثل: الصلوات الخمس، وأن لله على الناس صوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً، وزكاةً في أموالهم، وأن الله حرّم عليهم الزنا والقتل، والسرقة والخمر، وما كان في هذا المعنى»[1].

---

(١) قضية التكفير بين أهل السنة وفرق الضلال في ضوء الكتاب والسنة (ص٣٤) ومن أراد التفصيل في هذا الباب فليراجع ما سبق ذكره من المراجع.

٢- الخطأ:

اتفق الأئمة على الإعذار بالخطأ، فمن تلفظ بكلمة الكفر أو فعل فعلاً مكفراً وكان مخطئاً فلا يقع عليه الكفرُ.

ومِن الأدلة على ذلك:

قوله سبحانه: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥].

وقوله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ اللَّهَ وَضَعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ، وَالنِّسْيَانَ، وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ"[١].

قال الحافظ ابن رجب: "والأظهر، والله أعلم أن الناسي والمخطئ إنما عفي عنهما بمعنى رفع الإثم عنهما، لأنّ الإثمَ مرتب على المقاصد والنيات، والناسي والمخطئ لا قصد لهما فلا إثم عليهما، وأما رفع الأحكام عنهما فليس مراداً مِن هذه النصوص، فيحتاج في ثبوتها ونفيها إلى دليل آخر"[٢].

ويدل لذلك أيضاً الحديث السابق عن الرجل من بني إسرائيل[٣]، فهذا الحديث كثيراً ما يُستدل به في مسائل العذر بالجهل والخطأ والتأويل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في تعليقه على هذا الحديث: "فهذا الرجل اعتقد أنّ الله لا يقدر على جمعه إذا فعل ذلك، أو شك، وأنه لا يبعثه، وكل هذين الاعتقادين كفر ... فمَن أخطأ في بعض مسائل الاعتقاد مِن أهل الإيمان بالله وبرسوله وباليوم الآخر والعمل

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٠٤٥) وصححه الألباني.

(٢)جامع العلوم والحكم(٣٦٩/٢).

(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: "كَانَ رَجُلٌ يُسْرِفُ عَلَى نَفْسِهِ، فَلَمَّا حَضَرَهُ المَوْتُ، قَالَ لِبَنِيهِ: إِذَا أَنَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي، ثُمَّ اطْحَنُونِي، ثُمَّ ذَرُّونِي فِي الرِّيحِ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبَنِّي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ أَحَدًا! فَلَمَّا مَاتَ فُعِلَ بِهِ ذَلِكَ، فَأَمَرَ اللَّهُ الأَرْضَ فَقَالَ: اجْمَعِي مَا فِيكِ مِنْهُ، فَفَعَلَتْ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ، فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: يَا رَبِّ خَشْيَتُكَ، فَغَفَرَ لَهُ".

أخرجه البخاري (٣٤٨١)، ومسلم(٢٧٥٦) .

الصالح، لم يكن أسوأ حالاً مِن هذا الرجل، فيغفر الله خطأه، أو يعذبه إن كان منه تفريط في اتباع الحق على قدر دينه، وأما تكفير شخص عُلم إيمانه بمجرد الغلط في ذلك فعظيم"(١).

٣- الإكراه:

فمن أُكره على الكفر: يجوز له أن ينطق كلمة الكفر، والأصلُ في ذلك قوله سبحانه: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [النحل: ١٠٦].

قال أبو بكر الجصاص عن هذه الآية: "هذا أصلٌ في جواز إظهار كلمة الكفر في حال الإكراه"(٢).

والمشهور في سبب نزولها: حديث محمد بن عمار بن ياسر قال: أَخَذَ الْمُشْرِكُونَ عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ فَلَمْ يَتْرُكُوهُ حَتَّى سَبَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، وَذَكَرَ آلِهَتَهُمْ بِخَيْرٍ ثُمَّ تَرَكُوهُ، فَلَمَّا أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَا وَرَاءَكَ؟» قَالَ: شَرٌّ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا تُرِكْتُ حَتَّى نِلْتُ مِنْكَ، وَذَكَرْتُ آلِهَتَهُمْ بِخَيْرٍ قَالَ: «كَيْفَ تَجِدُ قَلْبَكَ؟» قَالَ: مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ قَالَ: «إِنْ عَادُوا فَعُدْ» (٣).

قال ابنُ بطال تبعاً لابن المنذر: "أجمع العلماء على أن من أكره على الكفر حتى خشى على نفسه القتل أنه لا إثم عليه إنْ كفر وقلبه مطمئن بالإيمان، ولا تبِيْنُ منه زوجته، ولا يُحكم عليه بحكم الكفر"(٤).

«يكون الإكراه عذراً إذا تحققت المشقة وحُمِل على مالا يرضاه كأن يكون المكره عاجزاً عن الدفع عن نفسه بالهرب أو الاستغاثة أو المقاومة ونحو ذلك ويغلب على ظنه وقوع الوعيد إن لم يفعل ما طلب منه أو يكون مما يستضر به ضرراً شديداً كالقتل والضرب الشديد والقيد

---

(١) الاستقامة(١/١٦٤-١٦٥).

(٢) أحكام القرآن(٣/١٩٢).

(٣) أخرجه البيهقي (١٦٨٩٦)، والحاكم (٣٣٦٢)، وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

(٤) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٨/٢٩١)، وفتح الباري(١٢/٣١٤).

والحبس الطويلين، فأما الشتم والسب فليس بإكراه رواية واحدة، وكذلك أخذ المال اليسير، وهناك من يفرِّق بين الإكراه بالقول والإكراه بالفعل، والصواب أنه لا فرق بينهما ما دام أن الإكراه ملجئ لا اختيار له فيه»[1].

٤- التأويل:

وهو أن يقول القولَ أو يفعل الفعلَ المقتضي للكفر وهو يظنّ أنه لم يخالف الشريعة، أو يفهم النصّ على غير وجهه، لشبهةٍ قامت عنده، فيقع في المخالفة دون قصدٍ، فإذا صدر من الشخص كلامٌ أو فعلٌ، وكان له وجهٌ غير الكفر، فنحمل كلامه على غير الكفر، ولو كان هذا الاحتمال ضعيفاً، لأن الخطأ في الترك خير من الخطأ في استباحة دم مسلم، وقد صاغ العلماء هذه القاعدة (يُدفع التكفير عن المتأوِّل ما أمكن)، وقد حذّر العلماء من التسرع في التكفير أو حمل الكلام على المعنى المكفّر مع احتماله لغيره .

وقد استدل ابن القيم بالقصة التي ذكرناها سابقاً عن الرجل الذي أحرق نفسه من بني إسرائيل فقال: "وأما جحدُ ذلك جهلاً أو تأويلاً يُعذر فيه صاحبه فلا يكفر صاحبه به، كحديث الذي جحد قدرة الله عليه، وأمر أهله أن يحرقوه ويذروه في الريح[2]، ومع هذا فقد غفر الله له ورحمه لجهله إذْ كان ذلك الذي فعله مبلغ علمه، ولم يجحد قدرة الله على إعادته عناداً أو تكذيباً"[3].

ويقول القاضي عياض: "الذي يجبُ: الاحتراز من التكفير في أهل التأويل، فإن استباحة دماء المصلين الموحدين خطر، والخطأ في ترك ألف كافر أهون من الخطأ في سفك مَحجَمَةٍ من دم مسلم واحد، وقد قال صلى الله عليه وسلم: (فإذا قالوها -يعني الشهادة- عصموا

---

(١) معجم التوحيد (١/ ٤٨٥).

(٢) وقد سبق الحديث.

(٣) مدارج السالكين(١/٣٣٣).

مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله)[١]، فالعصمة مقطوع بها مع الشهادة، ولا ترتفع ويستباح خلافها إلا بقاطع، ولا قاطع من شرع ولا قياس عليه"[٢].

ومن أمثلة التأول: شربُ قدامة بن مظعون -رضي الله عنه- الخمر مستحلاً لها بتأوّل، فلم يكفّره الصحابة، ولكن بيّنوا له الصواب، وأقاموا عليه الحد، فعَنْ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قال: "أُتِيَ بِرَجُلٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ وَقَدْ شرب فأمر به أن يجلد، فقال لِمَ تَجْلِدُنِي؟ بَيْنِي وَبَيْنَكَ كِتَابُ اللَّهِ! فَقَالَ عُمَرُ: وَفِي أَيِّ كِتَابِ اللَّهِ تَجِدُ أَلَّا أَجْلِدَكَ؟ فَقَالَ لَهُ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ فِي كِتَابِهِ: {لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيما طَعِمُوا} الْآيَةَ. فَأَنَا مِنَ الذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا، ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا، شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَدْرًا وَأُحُدًا وَالْخَنْدَقَ وَالْمَشَاهِدَ كُلَّهَا، فَقَالَ عُمَرُ: أَلَا تَرُدُّونَ عَلَيْهِ مَا يَقُولُ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ هَؤُلَاءِ الآيات أنزلن عُذْرًا لِمَنْ غَبَرَ، وَحُجَّةً عَلَى النَّاسِ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ} الْآيَةَ، ثُمَّ قَرَأَ حَتَّى أَنْفَذَ الْآيَةَ الْأُخْرَى، فَإِنْ كَانَ مِنَ الذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، الْآيَةَ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ نَهَاهُ أَنْ يَشْرَبَ الْخَمْرَ، فَقَالَ عُمَرُ: صَدَقْتَ، مَاذَا تَرَوْنَ؟ فَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّهُ إِذَا شَرِبَ سَكِرَ وَإِذَا سَكِرَ هَذَى، وإذا هَذَى افْتَرَى، وَعَلَى الْمُفْتَرِي ثَمَانُونَ جَلْدَةً، فَأَمَرَ بِهِ عُمَرُ فَجُلِدَ ثَمَانِينَ جَلْدَةً"[٣].

ومن أمثلة ذلك أيضًا: الخوارج الذين استحلوا أشدَّ المحرمات القطعية، فكفَّروا كبار الصحابة، واستباحوا قتلهم، ومع ذلك لم يحكم الصحابة بكفرهم، قال ابن تيمية رحمه الله: "والخوارج المارقون الذين أمر النبي -صلى الله عليه وسلم- بقتالهم قاتلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أحد الخلفاء الراشدين. واتفق على قتالهم أئمة الدين من الصحابة والتابعين ومن

---

(١) وهذا لفظ الحديث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: " أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَإِذَا قَالُوهَا، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ عز وجل ".

وهو في مسند أحمد (١٥/ ٢٨٦ ط الرسالة)ح(٩٤٧٥)، وسنن الترمذي (٥/ ٧١٧ ت شاكر) ح(٢٦٠٦) وقال:"هذا حديث حسن صحيح"، وسنن ابن ماجه (٢/ ١٢٩٥ ت عبد الباقي)ح(٣٩٢٧) وهو حديث صحيح وقد سبق وأصله في الصحيحين.

(٢) الشفا(٢/١٠٥٨).

(٣) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٥٢٦٩)، والحاكم في المستدرك (٨١٣٢)، وصححه، ووافقه الذهبي.

بعدهم. ولم يكفرهم علي بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص وغيرهما من الصحابة، بل جعلوهم مسلمين مع قتالهم، ولم يقاتلهم علي حتى سفكوا الدم الحرام وأغاروا على أموال المسلمين، فقاتلهم لدفع ظلمهم وبغيهم، لا لأنهم كفار.

ولهذا لم يسبِ حريمهم ولم يغنم أموالهم، وإذا كان هؤلاء الذين ثبت ضلالهم بالنص والإجماع لم يُكفَّروا مع أمر الله ورسوله بقتالهم، فكيف بالطوائف المختلفين الذين اشتبه عليهم الحق في مسائل غلط فيها من هو أعلم منهم؟ فلا يحل لأحد من هذه الطوائف أن تكفر الأخرى ولا تستحل دمها ومالها، وإن كانت فيها بدعة محققة، فكيف إذا كانت المكفرة لها مبتدعة أيضًا؟ وقد تكون بدعة هؤلاء أغلظ، والغالب أنهم جميعًا جهّال بحقائق ما يختلفون فيه.

والأصل أن دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم محرمة من بعضهم على بعض لا تحل إلا بإذن الله ورسوله"[١].

فإذا كان في المسألة الواحدة وجوهٌ توجب التكفير، ووجهٌ واحدٌ يمنع التكفير فنحمل كلامه على الوجه الذي يمنع التكفير بناء على الأصل، وقد تنبه المحققون لهذه المسألة، ونبهوا عليها في كتبهم، وقد تقدم النقل عن ابن نجيم في ذلك.

---

(١) مجموع الفتاوى(٣/٢٨٢-٢٨٣).

المطلب الخامس: علاقة ضوابط التكفير وشروطه وموانعه بعمل القلب.

هناك ارتباط وثيق بين عمل القلب والالتزام بهذه الضوابط المتعلقة بالتكفير وشروطه وموانعه، وذلك من عدة أوجه:

خطورة التسرع في تكفير المعين بدون بينة وعلاقته بعمل القلب.

وقد سبق الكلام في ذلك وتظهر علاقته بعمل القلب بالأمور الآتية:

الأول: أن التكفير أمر شرعي قائم على قواعد شرعية ينبغي شدة الاهتمام بها والحذر من التسرع والتساهل في ذلك خوفاً من الله تعالى، لأن الخوف من الله في هذه المسألة يدخل في تعظيم شعائر الله، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]، **وخوفاً من الله من القول عليه بغير علم.**

كما يقول ابن عثيمين رحمه الله: "فإذا لم يثبت أن هذا القول، أو الفعل، أو الترك كفر بمقتضى دلالة الكتاب والسنة، فإنه لا يحل لأحد أن يحكم بأنه كفر؛ لأن ذلك من القول على الله بلا علم، وقد قال الله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣]، وقال: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾ [الإسراء: ٣٦]"(١).

الثاني: أن رمي المعين بالكفر بدون تحقق الشروط وانتفاء الموانع، فيه خطورة عظيمة؛ لأن غالب هذا الأمر مرتبط بعمل القلب الذي لا يعلمه إلا الله، والتقحم فيه بدون بينة خطر عظيم، فقد يسقط الإنسان بسببه في حفر النار وهو لا يشعر، لأن فيه اجتراء على حق الله، وكما في الحديث «عَنْ ضَمْضَمِ بْنِ جَوْسٍ الْيَمَامِيِّ، قَالَ: قَالَ لِي أَبُو هُرَيْرَةَ: يَا يَمَامِيُّ، لَا تَقُولَنَّ لِرَجُلٍ: وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لَكَ، أَوْ لَا يُدْخِلُكَ اللهُ الْجَنَّةَ أَبَدًا. قُلْتُ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، إِنَّ هَذِهِ لَكَلِمَةٌ يَقُولُهَا أَحَدُنَا لِأَخِيهِ وَصَاحِبِهِ إِذَا غَضِبَ. قَالَ: فَلَا تَقُلْهَا، فَإِنِّي سَمِعْتُ

(١) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٣/ ٥٢).

النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: "كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلَانِ، كَانَ أَحَدُهُمَا مُجْتَهِدًا فِي الْعِبَادَةِ، وَكَانَ الْآخَرُ مُسْرِفًا عَلَى نَفْسِهِ، فَكَانَا مُتَآخِيَيْنِ، فَكَانَ الْمُجْتَهِدُ لَا يَزَالُ يَرَى الْآخَرَ عَلَى ذَنْبٍ، فَيَقُولُ: يَا هَذَا، أَقْصِرْ. فَيَقُولُ: خَلِّنِي وَرَبِّي، أَبُعِثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا؟! قَالَ: إِلَى أَنْ رَآهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ اسْتَعْظَمَهُ، فَقَالَ لَهُ: وَيْحَكَ، أَقْصِرْ. قَالَ: خَلِّنِي وَرَبِّي، أَبُعِثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا؟! قَالَ: فَقَالَ: وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لَكَ، أَوْ لَا يُدْخِلُكَ اللهُ الْجَنَّةَ أَبَدًا. قَالَ أَحَدُهُمَا، قَالَ: فَبَعَثَ اللهُ إِلَيْهِمَا مَلَكًا، فَقَبَضَ أَرْوَاحَهُمَا، وَاجْتَمَعَا عِنْدَهُ، فَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي. وَقَالَ لِلْآخَرِ: أَكُنْتَ بِي عَالِمًا، أَكُنْتَ عَلَى مَا فِي يَدِي قَادِرًا، اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ. قَالَ: فَوَالَّذِي نَفْسُ أَبِي الْقَاسِمِ بِيَدِهِ، لَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ "(١).

وهو يخشى على نفسه من أن يعود الكفر عليه فيسقط في الهاوية، كما في الحديث الذي سبق،« أَيُّمَا امْرِئٍ قَالَ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا، إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ، وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ»(٢).

الثالث: خطر ما يترتب على تكفير المعين من آثار في الدنيا قبل الآخرة، يجعل المؤمن يستشعر بقلبه خطر ذلك.

«والذي ينبغي أن نُؤَصِّلَهُ هنا: أن الحكم بالكفر على إنسان ما: حكم خطير؛ لِمَا يترتّب عليه من آثار، هي غاية في الخطر، منها الأخطار الآتية:

١ – أنَّه لا يحل لزوجته البقاءُ معه، ويجب أن يُفرَّق بينها وبينه؛ لأن المسلمة لا يصح أن تكون زوجة لكافر بالإجماع المتيقَّن.

٢ – أنَّ أولاده لا يجوز أن يبقوا تحت سلطانه؛ لأنَّه لا يُؤتَمن عليهم، ويُخشى أن يُؤثِّر عليهم بكفره، وبخاصة أن عُودَهم طريّ، وهم أمانة في عنق المجتمع الإسلامي كله.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند واللفظ له (١٤/ ٤٦-٤٧ ط الرسالة)ح(٨٢٩٢)، وأبو داود (٤/ ٢٧٥ ت محيي الدين عبد الحميد) ح(٤٩٠١)، وصححه الألباني في صحيح ابي داود.

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٥٧ ط التركية)ح(٦٠).

٣ – أنَّه فقد حق الولاية والنُّصرة من المجتمع الإسلامي بعد أن مرق منه وخرج عليه بالكفر الصريح، والرِّدَّة البَوَاح. ولهذا يجب أن يُقاطع، ويُفرَض عليه حصار أدبي من المجتمع، حتى يفيق لنفسه، ويثوب إلى رشده.

٤ – أنَّه يجب أن يُحاكم أمام القضاء الإسلامي، ليُنفَّذَ فيه حكم المرتدِّ، بعد أن يُستتاب وتُزال من ذهنه الشبهات وتُقام عليه الحجة.

٥ – أنَّه إذا مات لا تُجرى عليه أحكام المسلمين، فلا يُغسَّل، ولا يُصلَّى عليه، ولا يُدفن في مقابر المسلمين، ولا يُورث، كما أنه لا يرث إذا مات مورِّث له.

٦ – أنَّه إذا مات على حاله من الكفر يستوجب لعنة الله وطرده من رحمته، والخلود الأبدي في نار جهنم.

وهذه الأحكام الخطيرة توجب على من يتصدَّى للحكم بتكفير خلق الله أن يتريَّث مرات ومرات قبل أن يقول ما يقول.

٧ – أنَّه لا يُدعَى له بالرَّحمة، ولا يُستغفر له؛ لقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣]»[١].

(١) قضية التكفير بين أهل السنة وفرق الضلال في ضوء الكتاب والسنة (ص٣٨-٣٩).

المبحث الثاني: نواقض الشهادتين الاعتقادية، وفيه تمهيد وعدة مطالب.

التمهيد.

نواقض الشهادتين وارتباطها بعمل القلب بإجمال.

تنقسم النواقض الشهادتين إلى نوعين:

النوع الأول: نواقض قوليه وعملية، ولها ارتباط بالقلب، للتلازم بين الظاهر والباطن، وسيأتي الحديث عن ذلك، ولكن الحديث سيكون بإذن الله تعالى بشيء من التفصيل في النوع الثاني لتعلقها بالقلب.

النوع الثاني: نواقض اعتقادية تتعلق بالقلب ولها قسمان[1]:

أولاً: ما ينقض قول القلب.

ونجمله في الآتي:

١- الشرك في الربوبية.
٢- الشرك في الألوهية.
٣- كفر الجحود والتكذيب.
٤- استحلال ما علم تحريمه من الدين بالضرورة.
٥- الشك في حكم من أحكام الله أو خبر من أخباره.
٦- من اعتقد أن بعض الناس لا يجب عليه اتباع النبي ﷺ.

ثانياً: ما ينقض عمل القلب.

ونجمله كذلك في الآتي:

١- كفر الإباء والاستكبار.
٢- الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به.

---

(١) ينظر في ذلك: نواقض الإيمان الاعتقادية وبالذات الجزء الثاني، الموسوعة العقدية موقع الدرر السنية على الشبكة.

٣- الشرك الأكبر بعمل القلب كالمحبة والإرادة والقصد.

٤- النفاق الاعتقادي وله صور:

أ- تكذيب الرسول ﷺ أو تكذيب بعض ما جاء به.

ب- بغض الرسول ﷺ أو بغض بعض ما جاء به.

ت- المسرة بانخفاض دين الرسول ﷺ أو كراهية انتصار دين الرسولﷺ.

ث- عدم اعتقاد تصديقه فيما أخبر به ﷺ.

ج- أذية الرسولﷺ أو عيبه أو لمزه.

ح- مظاهرة الكافرين ومناصرتهم على المؤمنين.

خ- الاستهزاء بالله ورسوله ﷺ والمؤمنين لأجل طاعتهم لله ولرسوله.

د- التولي والإعراض عن حكم الله وحكم رسوله.

ودونك الحديث عن هذه النواقض في المطالب الآتية.

المطلب الأول: الشرك في الربوبية، وفيه عدة مسائل.

المسألة الأولى: معنى الشرك في الربوبية وصوره.

«هو اعتقاد متصرف مع الله عز وجل في أي شيء من تدبير الكون، من إيجاد أو إعدام، أو إحياء أو إماتة، جلب خير أو دفع شر، أو غير ذلك من معاني الربوبية، أو اعتقاد منازع له في شيء من مقتضيات أسمائه وصفاته كعلم الغيب وكالعظمة والكبرياء ونحو ذلك»(١).

«فكل اعتقاد، أو قول، أو فعل؛ فيه إنكار لخصائص ربوبية الله تعالى، أو بعضها؛ كفر وردة»(٢).

ولذلك صور عدة متعلقة بنقض توحيد الربوبية عند المسلم(٣)، ومنها:

- الاعتقاد بأن لله تعالى شريكاً في الخلق والرزق والإحياء والإماتة والتدبير.
- الاعتقاد بأن الأولياء لهم تصرف في الكون مع الله تعالى.
- اعتقاد تأثير وتصرف غير الله تعالى؛ من الأبراج والكواكب ومساراتها ومواقعها على حياة الناس.
- الاعتقاد بأن المخلوق يمكنه أن يرزق المخلوق، أو يمنع عنه الرزق، أو يمكنه أن يضر، أو ينفع من دون الله تعالى.
- الاعتقاد بأن أحداً دون الله تعالى يعلم الغيب.
- اعتقاد حلول الله تعالى في خلقه، أو أن الله في كل مكان.
- الاعتقاد بأن الشفاء من الطبيب أو الدواء، أو اعتقاد التوفيق في حياة العبد من ذكائه، أو جهده واجتهاده.

---

(١) الموسوعة العقدية (٣/ ٣٨ بترقيم الشاملة آليا).

(٢) الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة (ص٢٨٥).

(٣) الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة (ص٢٨٦)، حقيقة الإيمان ونواقضه، إعداد القسم العلمي بمؤسسة الدرر السنية(٤٣٩-٤٤٠).

- الاعتقاد بأن للمخلوق حقاً في سن القوانين وتشريعها، وهي تلك النظم التي تحكم في أموال الناس وأعراضهم.

وغيرها من الاعتقادات التي تناقض توحيد الربوبية وتضاده.

المسألة الثانية: أكثر الشرك في الربوبية عند غلاة الفرق المنحرفة يقع في أمرين:

الأول: في نسبة العلم الخاص بالله للمخلوق.

العلم التام الكامل لله وحده لا شريك له فهو عالم بما كان وبما سيكون، قال عن نفسه: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [النمل: ٦٥].

وقال تعالى: ﴿فَقُلۡ إِنَّمَا ٱلۡغَيۡبُ لِلَّهِ﴾ [يونس: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [الأنعام: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ﴾ [لقمان: ٣٤].

وفي آيات كثيرة اخبر بأنه عالم الغيب والشهادة، فقال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ﴾ [الرعد: ٩].

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ﴾ [الحشر: ٢٢].

وقال تعالى في بيان علمه المحيط: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُونَ﴾ [الأنعام: ٣] والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً.

وأخبر عن رسله أنه يطلعهم على مقدار من الغيب لأجل رسالتهم، أما هم في أنفسهم لا يستطيعون على ذلك، فقال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا

﴿٢٧﴾ لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا﴾ [الجن: ٢٦-٢٨].

وقال تعالى عن أعظم أنبيائه وأشرف رسله محمد صلى الله عليه وسلم ليخبر أمته بذلك: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٥٠].

وقال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

إذن فالعلم كله لله وحده لا شريك له لا ملك مقرب ولا لنبي مرسل ولا لولي ولا إمام فمن أدعى أن غير الله يحيط بعلم الغيب فقد وقع في شرك الربوبية.

فهذا الأمر موجود لدى الصوفية والرافضة فهم يدعون أن الأولياء والأئمة يعلمون الغيب، وخبر ذلك مشهور عندهم وطافحة به كتبهم، نسأل الله العافية والسلامة.

الثاني: اعتقاد التصرف في هذا الكون من غير الله.

ومن الشرك في الربوبية ادعاء بأن الأئمة والأولياء لهم تصرف في هذا الكون مع الله أو من دونه، وهذا ضلال مبين واعتداء على حق الله تعالى الذي أخبر عن نفسه بأن ملك الدنيا والآخرة خاص به، فهو الذي يتصرف فيه كيف يشاء، فقال تعالى:

﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [يس: ٨٣].

وقال تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١].

حتى أن المشركين الأولين في عهد النبي صلى الله عليه وسلم يقرون بهذه الحقائق لكنهم أشركوا في توحيد الألوهية، فقال تعالى: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ

شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٨٨ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤-٨٩].

وقال تعالى عن نفسه: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا﴾ [الإسراء: ١١١].

وهناك من الفرق المنحرفة عن منهج الحق من يعتقدون أن الأئمة والأولياء لهم تصرف في هذا الكون وفي شئون الخلق مع الله أو من دونه.

المسألة الثالثة: كيف يقدر العبد ربه حق التقدير في توحيد الربوبية؟

وتلك الفرق التي ضلت في توحيد الربوبية بسبب أنهم لا يقدرون الله حق قدره فاعتدوا على حقوق الله وجعلوها للمخلوقين تعالى الله عما يقولون ويفعلون علواً كبيراً.

ودونك شيئ من بيان الحق في هذه المسألة:

وهذا الباب من أعظم الأسباب المعينة على تقدير الله حق قدره من خلال، وذلك من خلال الآتي في لمحات سريعة.

اليقين التام بربوبية الله تعالى والإيمان الحق بذلك، مع الشعور بأثر ذلك في القلب، ولذلك عدة أمثلة، ومنها:

١- **الإيمان الحق واليقين التام بأن الله هو الخالق؛ ولهذا هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له، وقد ذكر الله في كتابه كثيراً الآيات التي ربط فيها بين عبودية الله وحده لا شريك له، و بين أنه الخالق، فقال سبحانه:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١].

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

وقال تعالى: ﴿قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ لَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ نَفۡعٗا وَلَا ضَرّٗاۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ أَمۡ هَلۡ تَسۡتَوِي

ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُۗ أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ﴾ [الرعد: ١٦].

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾ [غافر: ٦٢].

٢- **الإيمان الحق التام بأن الله هو الرازق الذي بيده مفاتيح الرزق يعطي من يشاء ويمنع من يشاء، عطاؤه ومنعه لحكمة يعلمها ﷻ، وأنه المستحق وحده لا شريك له للعبادة، فقال تعالى:** ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ﴾ [يونس: ٣١-٣٢].

وقال تعالى: ﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٣﴾﴾ [فاطر: ٢-٣].

وقال تعالى: ﴿أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [النمل: ٦٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ١٧]

وقال تعالى: ﴿أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي يَرۡزُقُكُمۡ إِنۡ أَمۡسَكَ رِزۡقَهُۥۚ بَل لَّجُّواْ فِي عُتُوّٖ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الملك: ٢١-٢٢].

٣- **الإيمان الحق واليقين التام بأن الله هو المحيي والمميت لا شريك له ذلك، فقال تعالى:** ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٢٦ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٦-٢٧].

٤- **الإيمان الحق واليقين بأن الله هو النافع الضار لا شريك له في ذلك، فقال تعالى:** ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦].

وقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨].

وقال تعالى: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ۝٦٦ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٦-٦٧].

وقال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٣].

وقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٥].

٥- الإيمان الحق واليقين التام بأن الملك التام والتصرف المطلق في هذا الكون هو لله تعالى لا شريك له في ذلك، فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٠٧].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢].

وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ [سبأ: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الزمر: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الزخرف: ٨٥].

وقال تعالى: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٣-١٥].

وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ

مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [المائدة: ١٧].

والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً.

٦- ومن الأحاديث في بيان أن الأمر بيد الله تعالى والتصرف في هذا الكون بيده وحده لا شريك له.

أحاديث يرتبط بها المسلم في كل أحواله في صلاته وبعد صلاته وقبل نومه وفي سائر أحواله يشعر بقلبه أن الأمر والتصرف كله بيد الله وحده لا شريك له:

عنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما، قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ»(١).

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ قَالَ: " رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَمِلْءُ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ، أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ، أَحَقُّ مَا قَالَ الْعَبْدُ، وَكُلُّنَا لَكَ عَبْدٌ، اللهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ "(٢).

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٦٧) ح(٢٥١٦) قال: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٣/ ١٤٥٩) ح(٥٣٠٢)، وقال محقق المسند(٤/ ٤١٠ ط الرسالة): «إسناده قوي».

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٣٤٧)ح(٤٧٧).

وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه يقول: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ إِذَا قَضَى الصَّلَاةَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ »(١).

وفي الحديث المتفق عليه عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ، ثُمَّ قُلِ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ. فَإِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ، فَأَنْتَ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ». قَالَ: فَرَدَّدْتُهَا عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَلَمَّا بَلَغْتُ: اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، قُلْتُ: وَرَسُولِكَ، قَالَ: «لَا، وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ»(٢).

وعَنْ سُهَيْلٍ قَالَ: « كَانَ أَبُو صَالِحٍ يَأْمُرُنَا إِذَا أَرَادَ أَحَدُنَا أَنْ يَنَامَ أَنْ يَضْطَجِعَ عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ، ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ، وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ رَبَّنَا، وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ وَكَانَ يَرْوِي ذَلِكَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٨/ ١٢٦ ط السلطانية)ح(٦٦١٥)،ومسلم (٢/ ٩٦ ط التركية)(٥٩٣).

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٥٨ ط السلطانية)ح(٢٤٧)، ومسلم (٨/ ٧٧ ط التركية) ح(٢٧١٠).

(٣) أخرجه مسلم (٨/ ٧٨ ط التركية)ح(٢٧١٣).

عَنْ عُبَيْدِ بْنِ رَافِعٍ الزُّرَقِيِّ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ انْكَفَأَ الْمُشْرِكُونَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «اسْتَوُوا حَتَّى أُثْنِيَ عَلَى رَبِّي عز وجل» فَصَارُوا خَلْفَهُ صُفُوفًا، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ، اللَّهُمَّ لَا قَابِضَ لِمَا بَسَطْتَ، وَلَا بَاسِطَ لِمَا قَبَضْتَ، وَلَا هَادِيَ لِمَنْ أَضْلَلْتَ، وَلَا مُضِلَّ لِمَنْ هَدَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُقَرِّبَ لِمَا بَعَّدْتَ، وَلَا مُبَاعِدَ لِمَا قَرَّبْتَ، اللَّهُمَّ ابْسُطْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِكَ وَرَحْمَتِكَ وَفَضْلِكَ وَرِزْقِكَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ النَّعِيمَ الْمُقِيمَ الَّذِي لَا يَحُولُ وَلَا يَزُولُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْأَمْنَ يَوْمَ الْخَوْفِ، اللَّهُمَّ عَائِذٌ مِنْ شَرِّ مَا أَعْطَيْتَنَا، وَشَرِّ مَا مَنَعْتَنَا، اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا، وَكَرِّهْ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ، اللَّهُمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ، وَأَحْيِنَا مُسْلِمِينَ، وَأَلْحِقْنَا بِالصَّالِحِينَ غَيْرَ خَزَايَا وَلَا مَفْتُونِينَ، اللَّهُمَّ قَاتِلِ الْكَفَرَةَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ رُسُلَكَ، وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِكَ، وَاجْعَلْ عَلَيْهِمْ رِجْزَكَ وَعَذَابَكَ إِلَهَ الْحَقِّ آمِينَ»(١).

ونختم هذه الأحاديث بالكلام على هذا الثناء العظيم على الله تعالى، وكما أذكّر دائماً نفسي والقارئ بأن هذه الأذكار والأدعية وغيرها لن يكون لها أثر على القلب، إلا إذا كان حاضراً متدبراً مدركاً واعياً بمعاني ما يقوله اللسان، فدعنا نتأمل في هذا الثناء العظيم على الله، الذي يحدث أثره في قلب من يقوله فيقطع تعلق القلب بغير الله، إذا هو استشعر معاني ما يقول:

قوله ﷺ:"اسْتَوُوا حَتَّى أُثْنِيَ عَلَى رَبِّي عز وجل» فَصَارُوا خَلْفَهُ صُفُوفًا".

وهذا الثناء العظيم من النبي صلى الله عليه وسلم على ربه له أثره الكبير على استجابة الدعاء الذي سيكون بعد الثناء على الله تعالى، وتلاحظ أن الثناء كله يغرس في القلوب

---

(١) أخرجه أحمد في المسند(٢٤/ ٢٤٧ ط الرسالة)ح(١٥٤٩٢)، وصححه الحاكم في المستدرك (٣/ ٢٦ ط العلمية)ح(٤٣٠٨) ووافقه الذهبي، وقال محقق مسند الإمام أحمد: "رجاله ثقات" .

تعظيم الله وتقديره حق قدره، ولكن ذلك يكون بحضور القلب المطلوب أصلاً في استجابة الدعاء، كما في الحديث الذي سبق: «ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ»(١)، وعليه فإن هذه المعاني العظيمة في هذا الثناء على الله من قبل نبيه صلى الله عليه وسلم الذي هو أعرف الناس بربه، وأعرف الناس بالثناء المناسب له ﷻ، وكل هذا الثناء يؤسس في القلب تعظيم الله وتقديره حق قدره، ودونك إشارات في هذا المعنى:

أولاً: "اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ".

بداية الثناء على الله بهذه الجملة القصيرة التي جمعت معنى الحمد بكل انواعه، فقد حمد الله في بداية ثنائه بأن له الحمد كله، ولا مزيد على ذلك، فهذه جملة قصيرة جامعة لكل صنوف الحمد.

ثانياً: "اللَّهُمَّ لَا قَابِضَ لِمَا بَسَطْتَ، وَلَا بَاسِطَ لِمَا قَبَضْتَ".

قال تعالى عن نفسه: ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥].

وسمى النبي صلى الله عليه وسلم الله بالقابض الباسط، كما في السنن عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: غَلَا السِّعْرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ غَلَا

(١) أخرجه أحمد (١١/ ٢٣٥) ح(٦٦٥٥)، والترمذي واللفظ له (٥/ ٥١٧) ح(٣٤٧٩) وقال: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه»،، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد(١٠/ ١٤٨)ح(١٧٢٠٣):"رواه أحمد، وإسناده حسن". وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (١/ ١٠٨) ح(٢٤٥).

السِّعْرُ فَسَعِّرْ لَنَا، فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُسَعِّرُ، الْقَابِضُ الْبَاسِطُ الرَّازِقُ، إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَلْقَى رَبِّي وَلَيْسَ أَحَدٌ يَطْلُبُنِي بِمَظْلِمَةٍ فِي دَمٍ وَلَا مَالٍ»(١).

ومعنى هذا الثناء: أي لا قابض لما بسطت من الرزق والنعم، لا يستطيع أحد كائناً من كان أن يرد هذه النعم والارزاق التي بسطت بها يدك على عبدك ولو اجتمع عليه كل الناس ليفعلوا ذلك لما استطاعوا إليه سبيلاً، وفي المقابل لا باسط لما قبضت من الرزق والنعم عن أحد لا يستطيع أحد كائناً من كان أن يأتي بهذا الرزق الذي قبضته ولو اجتمع الخلق كلهم لما استطاعوا أن يفعلوا ذلك، لأن الأمر كله بيد الله ﷻ، فلا تصرف لأحد غيره كائناً من كان، كما قال عن نفسه: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَـٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [فاطر: ٢-٣].

وكما في الحديث الذي سبق وصية النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما «يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ».

---

(١) أخرجه أحمد (٢٠/ ٤٦ ط الرسالة) ح(١٢٥٩١)، وأبو داود (٣/ ٢٧٢ ت محيي الدين عبد الحميد) ح(٣٤٥١)، والترمذي (٣/ ٥٩٧ ت شاكر) ح(١٣١٤) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (٢/ ٧٤١ ت عبد الباقي) ح(٢٢٠٠)، وصححه الألباني فيصحيح الجامع(١/ ٣٧٧) ح(١٨٤٦) وصحح إسناده محقق المسند.

ثالثاً: "وَلَا هَادِيَ لِمَنْ أَضْلَلْتَ، وَلَا مُضِلَّ لِمَنْ هَدَيْتَ".

وفي هذه الجملة من الثناء بيان بأن الهداية والإضلال بيده سبحانه وحده لا شريك له، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ۝٣٦ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ﴾ [الزمر: ٣٦-٣٧].

وقال تعالى: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧].

وقال تعالى: ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٨].

وكما في الحديث كان مما يقوله صلى الله عليه وسلم في مقدمة خطبه: «مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ. وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ»(١).

---

(١) أخرجه مسلم (٣/ ١١ ط التركية)ح(٨٦٧).

رابعاً: "وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ".

وهذا الثناء يشبه في معناه -والله أعلم- ما سبق في جملة الثناء: **"اللَّهُمَّ لَا قَابِضَ لِمَا بَسَطْتَ، وَلَا بَاسِطَ لِمَا قَبَضْتَ".**

خامساً: "وَلَا مُقَرِّبَ لِمَا بَعَّدْتَ، وَلَا مُبَاعِدَ لِمَا قَرَّبْتَ".

وهذه الجملة من الثناء كما في الجمل السابقة كلها بيان أن التصرف في هذا الكون لله وحده لا شريك له ولا يملك أحد ذرة تصرف فيه لا نبي مرسل ولا ملَك مقرب فضلاً عن غيرهم ممن هم دون ذلك من أئمة الدين أولياء الله الصالحين، فالأمر كله لله وحده لا شريك له، وبهذا يظهر عظم معاني هذه الجمل من الثناء على الله، وأنها تغرس في قلب قائلها عظمة الله تعالى، وتجعل العبد يقدر ربه حق التقدير.

سادساً: "اللَّهُمَّ ابْسُطْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِكَ وَرَحْمَتِكَ وَفَضْلِكَ وَرِزْقِكَ...." ومن هنا يبدأ الدعاء.

ثم انتقل النبي صلى الله عليه وسلم بعد هذا الثناء على الله إلى الدعاء، وهذا ادعى للإجابة من الله تعالى، فهو ثناء عظيم يليه دعاء عظيم، فإذا حضر القلب عند ذلك خشع وخضع لله تعالى، وهو يردد جمل هذا الثناء العظيم على الله وشعر وأدرك حاجته وفقره العظيم لربه الكريم، وتوجه القلب إلى الله بعد هذا الثناء بهذا الدعاء العظيم الذي جمع فيه أعظم مطالب الدنيا والآخرة.

المطلب الثاني: الشرك في الألوهية[1].

وقد مر معنا في معنى لا إله إلا الله أن الله هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له وأنه خلق الخلق لأجل عبادته وحده لا شريك له، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وأن المعبودات سواه كلها باطلة، فمن صرف شيئاً من العبادة لغيره فقد وقع في شرك الألوهية، الذي هو أكثر أنواع الشرك انتشاراً في الأمة، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦].

ومما نقل ابن جرير رحمه الله في تفسيره عن السلف في معنى هذه الآية:

عن عامر وعكرمة: قالا: "يعلمون أنه ربهم، وأنه خلقهم، وهم مشركون به"[2].

وعن مجاهد، قال: "يقولون: الله ربنا، وهو يرزقنا، وهم يشركون به بعد"[3].

وعن قتادة "إنك لست تلقى أحداً منهم إلا أنبأك أن الله ربه، وهو الذي خلقه ورزقه، وهو مشرك في عبادته"[4].

وعن ابن زيد قال: "ليس أحد يعبد مع الله غيره إلا وهو مؤمن بالله، ويعرف أن الله ربه، وأن الله خالقه ورازقه، وهو يشرك به، ألا ترى كيف قال إبراهيم: ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۝٧٥ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ۝٧٦ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٧٥-٧٧]. قد عرف أنهم يعبدون رب العالمين مع ما يعبدون. قال: فليس أحد يشرك به إلا وهو يؤمن به، ألا ترى كيف كانت العرب تلبي تقول: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك، إلا شريك هو لك، تملكه وما ملك. المشركون كانوا يقولون هذا"[5].

---

(١) الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة (٢٩٠)، حقيقة الإيمان ونواقضه، إعداد القسم العلمي بمؤسسة الدرر السنية(٤٤٠-٤٤٧).

(٢) تفسير الطبري (١٣/ ٣٧٣ ت التركي).

(٣) تفسير الطبري (١٣/ ٣٧٤ ت التركي).

(٤) تفسير الطبري (١٣/ ٣٧٥ ت التركي).

(٥) تفسير الطبري (١٣/ ٣٧٦ ت التركي).

وقال الشنقيطي رحمه الله: «قال ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وعامر الشعبي، وأكثر المفسرين: إن معنى هذه الآية أن أكثر الناس -وهم الكفار- ما كانوا يؤمنون بالله بتوحيدهم له في ربوبيته إلا وهم مشركون به غيره في عبادته.

فالمراد بإيمانهم اعترافهم بأنه ربهم الذي هو خالقهم ومدبر شئونهم، والمراد بشركهم عبادتهم غيره معه»(١).

وله أمثلة كثيرة منها(٢):

- عبادة أحد مع الله، أو دون الله، أو يدعي مع الله تعالى، وأن يستغاث بغيره سبحانه؛ في جلب خير، أو دفع ضر، أو يتوكل عليه، أو يستعاذ به، أو يخاف منه، أو يرجى، أو يخضع له، أو يتقرب إليه بأي نوع من أنواع العبادة، أو يطاع الطاعة المطلقة، أو يحب كحب الله تبارك وتعالى، أو يعظم كتعظيم الله تعالى؛ سواء كان هذا المعظم أو المدعو ملكاً، أو نبياً، أو ولياً، أو قبراً، أو حجراً، أو شجراً.

- الركوع، والسجود، والصوم، والطواف، والذبح، والنذر، والخشوع لغير الله تعالى.

- الطاعة والانقياد لغير الله تعالى، وامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

- الاعتقاد بأن لشخص حق تشريع ما لم يأذن به الله تعالى؛ من التحليل والتحريم وسن القوانين.

وهذا النوع من الشرك قد سبق الكلام عنه كثيراً.

وغالبه مرتبط بالقلب، إما بقوله أو عمله، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك، وسيأتي مزيد من التفصيل.

---

(١) أضواء البيان(٣/ ٨٦ ط عطاءات العلم).

(٢) الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة (ص٢٩٠).

المطلب الثالث: كفر الجحود والتكذيب(١).

وهو يناقض الشهادتين ويناقض قول القلب، وهو جحد وإنكار فريضة من فرائض الإسلام الظاهرة المتواترة أو التكذيب بحكم من أحكام الله الظاهرة المتواترة أو خبر من أخبار الشرع الظاهرة المتواترة، وعده العلماء من الكفر الأكبر، ودونك بعض النقل عنهم في ذلك:

قال ابن بطه رحمه الله: «فكل من ترك شيئاً من الفرائض التي فرضها الله عز وجل في كتابه أو أكدها رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنته على سبيل الجحود لها والتكذيب بها ، فهو كافر بيّن الكفر لا يشك في ذلك عاقل يؤمن بالله واليوم الآخر»(٢).

وقال القاضي عياض رحمه الله: «وكذلك نقطع بتكفير كل من كذب وأنكر قاعدة من قواعد الشرع، وما عرف يقينا بالنقل المتواتر من فعل الرسول صلى الله عليه وسلم ووقع الإجماع المتصل عليه. كمن أنكر وجوب الصلوات الخمس، وعدد ركعاتها وسجداتها»(٣).

ويقول النووي رحمه الله: «وأن من جحد ما يعلم من دين الإسلام ضرورة حكم بردته وكفره إلا أن يكون قريب عهد بالإسلام أو نشأ ببادية بعيدة ونحوه ممن يخفى عليه فيعرف ذلك فإن استمر حكم بكفره»(٤).

وقال ابن تيمية رحمه الله: «ومن جحد وجوب بعض الواجبات الظاهرة المتواترة: كالصلوات الخمس وصيام شهر رمضان وحج البيت العتيق أو جحد تحريم بعض المحرمات الظاهرة المتواترة: كالفواحش والظلم والخمر والميسر والزنا وغير ذلك. أو جحد حل بعض المباحات الظاهرة المتواترة: كالخبز واللحم والنكاح. فهو كافر مرتد يستتاب فإن تاب وإلا قتل»(٥).

وأقوال أهل العلم في ذلك كثيرة متضافرة.

---

(١) ينظر: نواقض الإيمان الاعتقادية(٢/ ٦٢-٦٤).

(٢) الإبانة الكبرى - ابن بطة (٢/ ٧٦٤).

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى - محذوف الأسانيد (٢/ ٦١٢).

(٤) شرح النووي على مسلم (١/ ١٥٠).

(٥) مجموع الفتاوى (١١/ ٤٠٥).

المطلب الرابع: استحلال ما علم تحريمه من الدين بالضرورة[١].

ومعناه: كما يقول شيخ الإسلام رحمه الله: "والاستحلال اعتقاد أنها حلال وذلك يكون تارة باعتقاد أن الله أحلها، وتارة اعتقاد أن الله لم يحرمها وتارة بعدم اعتقاد أن الله حرمها وهذا يكون لخلل في الإيمان بالربوبية ولخلل في الإيمان بالرسالة"[٢].

وهو مرتبط بالناقض السابق كفر الجحود والتكذيب، واستحلاله لما علم تحريمه بالضرورة[٣] يكون إما بجحود وتكذيب بذلك، وإما باعتقاد أنها حلال لم يحرمها الله، مثل الذي يستحل الزنا وشرب الخمر ونحو ذلك مما علم تحريمه ضرورة.

وهذا الاستحلال مضبوط بضابط وهو أن يكون المحرم مجمعاً على تحريمه، لم يخالف فيه أحد من الأمة، والإجماع أن يجتمع علماء المسلمين في عصر من العصور على حكم من الأحكام[٤].

«أما إذا كانت المسألة مما فيها خلاف بين الأمة فمن ذهب إلى أحد القولين ولو كان قولًا شاذًا مستحلًا للعمل به، فإنه لا يكون كافراً بذلك، لأنه لم يستحل مجمعاً عليه، ولذلك يُعَبِّر عنه بعض العلماء بقولهم: "من استحل معلوما من الدين بالضرورة". وقولُهم: معلومًا من الدين بالضرورة يعنون به: لا يحتاج الناس في إثباته إلى برهان مثل وجوب الصلاة وحرمة الخمر والزنا والقتل.

---

(١) ينظر: معجم التوحيد (٣/ ٢٩١)، نواقض الإيمان الاعتقادية(٢/ ٦٤-٦٨).

(٢) الصارم المسلول على شاتم الرسول (ص٥٢١).

(٣) قال في شرح تسهيل العقيدة الإسلامية (ص٢٠٥ -٢٠٦ط ٢): «المعلوم من الدين بالضرورة هو الأمر المقطوع به الذي يجد الإنسان نفسه مضطراً إلى التصديق به، لكثرة النصوص الواردة فيه وتواترها ونقل العامة والخاصة لهذه النصوص أو لنقلهم الحكم الذي دلّت عليه، ولا يجد الإنسان في قلبه أدنى شبهة تدعوه إلى إنكاره، فيكون من كذب به مكذباً لهذه النصوص ولإجماع الأمة القطعي، كوجوب أركان الإسلام الخمسة، وكتحريم الزنا والسرقة، ونحو ذلك».

(٤) ينظر: معجم التوحيد (٣/ ٢٩١).

فمن استحل مجمعًا عليه معلومًا من الدين بالضرورة صار كافرًا، ويشترط أن يكون الإجماع معلومًا..

فمن ضوابط الاستحلال أن يكون مما قامت عليه الأدلة من الكتاب والسنة وشاعت، ليست خفية ما يعلمها إلا بعض الناس، فلا تكفير باستحلال عمل لا يعلم حكمه إلا طائفة من أهل العلم، بل الاستحلال مقيد بما أُجمع عليه، بما هو معلوم من الدين بالضرورة فمثلًا: العلماء لم يكفروا طائفة من الفقهاء ممن يبيحون النبيذ الذي يسكر كثيره مع أن فيه أدلة كثيرة، وهذا النبيذ الذي يبيحه طائفة من أهل الرأي يستحلونه ويشربونه ويعتقدونه حلالًا، لم يحكم أحد من أهل السنة على تلك الطائفة من الفقهاء بأنهم كفار، لأنهم استحلوا محرمًا وهو النبيذ، الذي يسكر كثيره وهذا لا تكفير لمستحله لأن فيه قولًا لطائفة من الفقهاء بإباحته ولو كان ضعيفًا؛ إذ لا تكفير إلا في المجمع عليه المعلوم من الدين بالضرورة»(١).

وهو الذي عبر عنه الشافعي بعلم العامة وذكر أن العامة يعلمونه ومثل له بعدة أمثلة ومما ذكر أنهم يعلمون: «.. أنه حرَّمَ عليهم الزِّنا والقتْل والسَّرِقة والخمْر وما كان في معنى هذا مِمَّا كُلِّفَ العِبادُ أنْ يَعْقِلوه ويعْملوه ويُعْطُوه مِن أنفسهم وأموالهم وأن يَكُفُّوا عنه ما حرم عليه منه.

وهذا الصنف كله من العلم موجوداً نَصًّا في كتاب الله وموْجوداً عامًّا عنْد أهلِ الإسلام ينقله عَوَامُّهم عن مَن مضى من عوامِّهم يَحْكونه عن رسول الله ولا يتنازعون في حكايته ولا وجود به عليهم، وهذا العلم العام الذي لا يمكن فيه الغلط مِن الخبر ولا التأويلُ ولا يجوز فيه التنازُعُ»(٢).

وأقوال العلماء في أن ذلك من الكفر كثيرة منها:

(١) معجم التوحيد (٣/ ٢٩١-٢٩٢).

(٢) الرسالة للشافعي (ص٣٥٧-٣٥٩).

قال الطحاوي رحمه الله: «ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله»[١].

وقال ابن قدامة رحمه الله: "ومن اعتقد حل شيء أجمع على تحريمه، وظهر حكمه بين المسلمين، وزالت الشبهة فيه للنصوص الواردة فيه، كلحم الخنزير، والزني، وأشباه هذا، مما لا خلاف فيه، كفر؛ لما ذكرنا في تارك الصلاة. وإن استحل قتل المعصومين، وأخذ أموالهم، بغير شبهة ولا تأويل، فكذلك.."[٢].

ونقل ابن قدامة أن الإمام أحمد قال: "من قال: الخمر حلال، فهو كافر يستتاب، فإن تاب، وإلا ضربت عنقه".

وعلق على كلام الإمام أحمد بقوله: "وهذا محمول على من لا يخفى على مثله تحريمه"[٣].

ونقل الإمام البغوي رحمه الله اتفاق أهل السنة على عدم تكفير فاعل الكبائر إذا لم يستحل[٤].

وقال القاضي عياض رحمه الله: «وكذلك أجمع المسلمون على تكفير كل من استحل القتل أو شرب الخمر، أو الزنا، مما حرم الله بعد علمه بتحريمه كأصحاب الإباحة من القرامطة وبعض غلاة المتصوفة»[٥].

وقال ابن تيمية رحمه الله: «والإنسان متى حلل الحرام – المجمع عليه – أو حرم الحلال – المجمع عليه – أو بدل الشرع – المجمع عليه – كان كافرا مرتداً باتفاق الفقهاء»[٦].

---

(١) متن العقيدة الطحاوية – شرح وتعليق الألباني (ص٦٠).

(٢) المغني لابن قدامة (١٢/ ٢٧٦ ت التركي)

(٣) المغني لابن قدامة (١٢/ ٢٧٧ ت التركي).

(٤) ينظر: شرح السنة للبغوي (١/ ١٠٣).

(٥) الشفا بتعريف حقوق المصطفى – محذوف الأسانيد (٢/ ٦١١-٦١٢).

(٦) مجموع الفتاوى (٣/ ٢٦٧).

المطلب الخامس: الشك في أحكام الله وأخباره.

وهذا ينقض الشهادتين، وينقض قول القلب.

وقد سبق أن من شروط لا إله إلا الله اليقين وضده الشك، فمن شك في أحكام الله وأخباره وقع فيما ينقض شهادته، لأن «الشك هو التردد بين شيئين، كالذي لا يجزم بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم ولا كذبه، ولا يجزم بوقوع البعث ولا عدم وقوعه، ونحو ذلك، كالذي لا يعتقد وجوب الصلاة ولا عدم وجوبها، أو لا يعتقد تحريم الزنا ولا عدم تحريمه، وهذا كفر بإجماع العلماء، ولا عذر لمن حاله هكذا بكونه لم يفهم حجج الله وبيناته، لأنه لا عذر له بعد بلوغها، وإن لم يفهمها، وقد أخبر الله عن الكفار أنهم لم يفهموا فقال: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًاۚ﴾ [الإسراء: ٤٦]. والآيات في هذا المعنى كثيرة، والله أعلم» (١).

وقال حافظ الحكمي رحمه الله في بيان أن الإيمان قائم على اليقين: «فإن الإيمان لا يغني فيه إلا علم اليقين لا علم الظن، فكيف إذا دخله الشك، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥]، فاشترط في صدق إيمانهم بالله ورسوله كونهم لم يرتابوا أي: لم يشكوا، فأما المرتاب فهو من المنافقين، والعياذ بالله، الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ [التوبة: ٤٥]»(٢).

وقد سبقت الأدلة في شرط اليقين من شروط لا إله إلا الله.

---

(١) الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق (ص٣٧٤).

(٢) معارج القبول بشرح سلم الوصول (٢/ ٤١٩).

ومن أمثلة ذلك الشك في كفر الكافرين، يقول الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في الناقض الثالث من نواقض الإسلام : «من لم يكفر المشركين أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم كفر»[1].

كمن يشك في كفر اليهود والنصارى الذين كفرهم الله في كتابه، فقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧].

وقال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ [المائدة: ٧٣].

وقال تعالى عن اليهود: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ٦١].

وقال تعالى عنهم: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩].

المطلب السادس: من اعتقد أن بعض الناس لا يجب عليه اتباع النبي ﷺ.

وهذا يناقض شهادة أن محمداً رسول الله التي مر الكلام على مقتضياتها ولوازمها، وقد عده الشيخ محمد بن عبد الوهاب من نواقض الإسلام العشرة فقال رحمه الله: «من اعتقد أن بعض الناس لا يجب عليه اتباعه صلى الله عليه وسلم، وأنه يسعه الخروج من شريعته كما وسع الخضر الخروج من شريعة موسى، عليهما السلام، فهو كافر»[2].

قال الشيخ البراك حفظه الله في شرح هذا الناقض: «ومعنى هذا الاعتقاد: أن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ليست عامة لجميع الناس، فاليهود يسعهم الخروج عن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم، والنصارى يسعهم الخروج عن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم، أو

(١) الرسائل الشخصية (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، الجزء السادس) (ص٢١٣).

(٢) الرسائل الشخصية (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، الجزء السادس) (ص٢١٤).

كما يقول بعض الصوفية: إن العارف المحقق لا يلزمه العمل بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم؛ لأنه قد وصل إلى الله، وهو يتلقى المعرفة من الله بلا واسطة!

فمن زعم أن أحدًا يسعه الخروج عن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم، وأنه يمكنه التدين لله والوصول إلى رضاه من غير طريق الرسول صلى الله عليه وسلم، «كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام» فمن اعتقد ذلك «فهو كافر»؛ لأن هذا يناقض شهادة أن محمدًا رسول الله؛ لأن شهادة أن محمدًا رسول الله تقتضي الإيمان بأنه رسول الله إلى الناس كافَّة، وأن أحدًا لا يسعه الخروج عن شريعته؛ إذ لا طريق إلى الله أبدًا منذ بعثه الله إلى أن تقوم الساعة إلا شريعته الخالدة المحفوظة، وقد سد الله كل طريق إلى الجنة، فلا يفتح إلا من طريقه، قال صلى الله عليه وسلم: « وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»(١)» (٢).
وقَالَ صلى الله عليه وسلم: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى»(٣).

وقد تكلم العلماء على كفر من اعتقد هذا الاعتقاد:

وقد حكى القاضي عياض إجماع المسلمين على كفر بعض المتصوفة القائلين: "إن العبادة وطول المجاهدة إذا صفت نفوسهم أفضت بهم إلى إسقاطها، وإباحة كل شيء لهم، ورفع عهد الشرائع عنهم"(٤).

وقال ابن كثير في الرد على من يستدلون بقوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩] على سقوط التكاليف بالوصول إلى مرحلة اليقين: «ويستدل بها على

(١) أخرجه مسلم (١/ ٩٣ ط التركية)ح(١٥٣).
(٢) شرح نواقض الإسلام – البراك (ص٤٠-٤١).
(٣) أخرجه البخاري (٩/ ٩٢)ح(٧٢٨٠).
(٤) الشفا بتعريف حقوق المصطفى – محذوف الأسانيد (٢/ ٦١٢)، معجم التوحيد (١/ ١٥٧).

تخطئة من ذهب من الملاحدة إلى أن المراد باليقين المعرفة، فمتى وصل أحدهم إلى المعرفة سقط عنه التكليف عندهم. وهذا كفر وضلال وجهل، فإن الأنبياء، عليهم السلام، كانوا هم وأصحابهم أعلم الناس بالله وأعرفهم بحقوقه وصفاته، وما يستحق من التعظيم، وكانوا مع هذا أعبد الناس وأكثر الناس عبادة ومواظبة على فعل الخيرات إلى حين الوفاة. وإنما المراد باليقين هاهنا الموت»[١].

وقال في الاقناع: «من اعتقد أن لأحد طريقاً إلى الله من غير متابعة محمد صلى الله عليه وسلم أولا يجب عليه اتباعه وأن له أو لغيره خروجا عن اتباعه وأخذ ما بعث به: أو قال: أنا محتاج إلى محمد في علم الظاهر دون علم الباطن أو في علم الشريعة دون علم الحقيقة أو قال أن من الأولياء من يسعه الخروج من شريعته كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى أو إن هدى غير النبي صلى الله عليه وسلم من هديه - فهو كافر»[٢].

المطلب السابع: شرك النيات والمقاصد.

يقول ابن القيم رحمه الله: «وأما الشرك في الإرادات والنيّات، فذلك البحر الذي لا ساحل له، وقلّ من ينجو منه. فمن أراد بعمله غيرَ وجه الله، أو نوى شيئًا غيرَ التقرّبِ إليه وطلبِ الجزاء منه، فقد أشرك في نيته وإرادته والإخلاص أن يخلص لله في أقواله وأفعاله وإراداته ونيته. وهذه هي الحنيفية ملة إبراهيم التي أمر الله بها عبادَه كلَّهم، ولا يقبل من أحدٍ غيرَها. وهي حقيقة الإسلام، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]»[٣].

وذلك بأن يأتي بالعبادة ومقصده منها لغير الله لأجل الدنيا أو مراءة الناس، قال تعالى في بيان خطر ذلك: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ

---

(١) تفسير ابن كثير - ت السلامة (٤/ ٥٥٤).

(٢) الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل (٤/ ٢٩٨-٢٩٩).

(٣) الداء والدواء (ص٣١٢-٣١٣).

فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝١٥ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥-١٦].

وقال ابن رجب رحمه الله: «واعلم أن العمل لغير الله أقسام: فتارة يكون رياء محضاً، بحيث لا يراد به سوى مرآت المخلوقين لغرض دنيوي، كحال المنافقين في صلاتهم، كما قال الله عز وجل: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢].

وقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ﴾ [الماعون: ٤-٦].

وكذلك وصف الله الكفار بالرياء في قوله: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ [الأنفال: ٤٧].

وهذا الرياء المحض لا يكاد يصدر من مؤمن في فرض الصلاة والصيام، وقد يصدر في الصدقة الواجبة أو الحج، وغيرهما من الأعمال الظاهرة، أو التي يتعدى نفعها، فإن الإخلاص فيها عزيز، وهذا العمل لا يشك مسلم أنه حابط، وأن صاحبه يستحق المقت من الله والعقوبة.

وتارة يكون العمل لله، ويشاركه الرياء، فإن شاركه من أصله، فالنصوص الصحيحة تدل على بطلانه وحبوطه أيضاً.

وفي "صحيح مسلم"[(١)] عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يقول الله تبارك وتعالى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ"، وخرجه ابن ماجه[(٢)]، ولفظه: «فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ، وَهُوَ لِلَّذِي أَشْرَكَ»... وأما إن كان أصل العمل لله، ثم طرأت عليه نية الرياء، فإن كان خاطراً ودفعه، فلا يضره بغير خلاف، وإن استرسل معه، فهل يحبط به عمله أم لا يضره ذلك ويجازى على أصل نيته؟ في ذلك اختلاف بين العلماء من السلف قد حكاه الإمام أحمد وابن جرير الطبري، ورجحا أن

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٨٩) ح (٢٩٨٥).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٤٠٥ ت عبد الباقي)ح(٤٢٠٢)، وحكم الألباني بصحته.

عمله لا يبطل بذلك، وأنه يجازى بنيته الأولى، وهو مروي عن الحسن البصري وغيره... فأما إذا عمل العمل لله خالصاً، ثم ألقى الله له الثناء الحسن في قلوب المؤمنين بذلك، ففرح بفضل الله ورحمته، واستبشر بذلك، لم يضره ذلك، وفي هذا المعنى جاء حديث أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه سئل عن الرجل يعمل العمل لله من الخير ويحمده الناس عليه، فقال: «تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ» خرجه مسلم(١)، وخرجه ابن ماجه(٢)، وعنده: الرجل يعمل العمل لله فيحبه الناس عليه، وبهذا المعنى فسره الإمام أحمد، وإسحاق بن راهويه، وابن جرير الطبري وغيرهم»(٣).

وقال حافظ الحكمي رحمه الله: «فإن كان الباعث على العمل هو إرادة الله والدار الآخرة وسلم من الرياء في فعله وكان موافقاً للشرع فذلك العمل الصالح المقبول، وإن كان الباعث على العمل هو إرادة غير الله عز وجل فذلك النفاق الأكبر، سواء في ذلك من يريد به جاهاً ورئاسة وطلب دنيا، ومن يريد حقن دمه وعصمة ماله وغير ذلك، فهذان ضدان ينافي أحدهما الآخر لا محالة، قال الله عز وجل: ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْآخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ﴾ [آل عمران: ١٤٥]، وقال تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ۝١٨ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٨-١٩]، وقال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝١٥ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥-١٦]، وقال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ [الشورى:

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٣٤) ح (٢٦٤٢).

(٢) ولفظه عند ابن ماجه (٢/ ١٤١٢ ت عبد الباقي)ح(٤٢٢٥) عَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: الرَّجُلُ يَعْمَلُ الْعَمَلَ لِلَّهِ، فَيُحِبُّهُ النَّاسُ عَلَيْهِ، قَالَ: «ذَلِكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ» صححه الألباني ح(٤٢٢٥).

(٣) جامع العلوم والحكم (١/ ٧٩ -٨٤ت الأرنؤوط).

٢٠]، وقال تعالى يثني على عباده المخلصين: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٨-٩]، وقال: ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الليل: ٢٠] وغير ذلك من الآيات.

وإن كان الباعث على العمل هو إرادة الله عز وجل والدار الآخرة ولكن دخل عليه الرياء في تزيينه وتحسينه، فذلك هو الذي سماه النبي صلى الله عليه وسلم الشرك الأصغر وفسره بالرياء العملي، وزاده إيضاحاً بقوله: «يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّي، فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ؛ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ إليه»(١)، وهذا لا يخرج من الملة ولكنه ينقص من العمل بقدره، وقد يغلب على العمل فيحبطه كله والعياذ بالله، اللهم اجعل أعمالنا كلها صالحة واجعلها لوجهك خالصة ولا تجعل لأحد فيها شيئاً»(٢).

المطلب الثامن: شرك المحبة.

قال ابن القيم رحمه الله في تعريفه: «الشرك بالله في المحبة والتعظيم أن يحبّ مخلوقًا كما يحبّ الله، فهذا من الشرك الذي لا يغفره الله. وهو الشرك الذي قال سبحانه فيه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وقال أصحاب هذا الشرك لآلهتهم وقد جمعتهم الجحيم: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٩٧ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٩٧-٩٨].

ومعلوم أنهم ما سوّوهم به سبحانه في الخلق والرزق والإماتة والإحياء والملك والقدرة، وإنّما سوّوهم به في الحبّ والتأله والخضوع لهم والتذلّل»(٣).

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٤٠٦) ح (٤٢٠٤)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٦٥) ح (٧٩٣٦) وصححه ووافقه الذهبي، وحسن إسناده البوصيري في زوائد ابن ماجه (٤/ ٢٣٦) ح (١٥٠٥)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ١١٩) ح (٣٠).

(٢) معارج القبول بشرح سلم الوصول (٢/ ٤٩٣-٤٩٤).

(٣) الداء والدواء (ص٣٠٤).

«والمراد محبة العبودية المستلزمة للإجلال والتعظيم والذل والخضوع، التي لا تنبغي إلا لله وحده لا شريك له، ومتى صرف العبد هذه المحبة لغير الله فقد أشرك به الشرك الأكبر، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]»(١).

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «وأصل الأعمال كلها هو المحبة فالإنسان لا يعمل إلا لما يحب; إما لجلب منفعة، أو لدفع مضرة، فإذا عمل شيئا; فلأنه يحبه إما لذاته كالطعام، أو لغيره كالدواء.

وعبادة الله مبنية على المحبة، بل هي حقيقة العبادة; إذ لو تعبدت بدون محبة صارت عبادتك قشرا لا روح فيها، فإذا كان الإنسان في قلبه محبة لله وللوصول إلى جنته; فسوف يسلك الطريق الموصل إلى ذلك.

ولهذا لما أحب المشركون آلهتهم؛ توصلت بهم هذه المحبة إلى أن عبدوها من دون الله، أو مع الله.

والمحبة تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: محبة عبادة، وهي التي توجب التذلل والتعظيم، وأن يقوم بقلب الإنسان من إجلال المحبوب وتعظيمه؛ ما يقتضي أن يمتثل أمره، ويجتنب نهيه، وهذه خاصة بالله، فمن أحب مع الله غيره محبة عبادة; فهو مشرك شركا أكبر، ويعبر العلماء عنها بالمحبة الخاصة.

القسم الثاني: محبة ليست بعبادة في ذاتها، وهذه أنواع:

النوع الأول: المحبة لله وفي الله، وذلك بأن يكون الجالب لها محبة الله، أي: كون الشيء محبوباً لله تعالى من أشخاص، كالأنبياء، والرسل، والصديقين، والشهداء، والصالحين.

أو أعمال، كالصلاة، والزكاة، وأعمال الخير، أو غير ذلك. وهذا النوع تابع للقسم الأول الذي هو محبة الله.

النوع الثاني: محبة إشفاق ورحمة، وذلك كمحبة الولد، والصغار، والضعفاء، والمرضى.

---

(١) بغية المستفيد في شرح كتاب التوحيد (ص٦٨).

النوع الثالث: محبة إجلال وتعظيم لا عبادة; كمحبة الإنسان لوالده، ولمعلمه، ولكبير من أهل الخير.

النوع الرابع: محبة طبيعية، كمحبة الطعام، والشراب، والملبس، والمركب، والمسكن»[١].

وقد سبق الكلام عن عبادة المحبة.

المطلب التاسع: كفر الإباء والاستكبار.

يناقض عمل القلب، وهو ككفر إبليس وفرعون وعلماء اليهود، حيث أنهم عرفوا الحق ولم ينقادوا ويستسلموا له، وهو ينقض الشهادتين ممن يعرف الحق ولا يقبله ويأبى منه ويستكبر كمن يعبد المقبورين، فيتوجه لهم بلقبه خاضعاً ذليلاً يطلب منهم المدد وتفريج الكروب، وهو مع هذا يعلم أن هذه الأعمال حق خالص لله لا يجوز صرفها لغيره، ولكنه يأبى أن ينقاد كبراً وعناداً واتباعاً للهوى، فهو بذلك يشابه إبليس وفرعون واليهود.

فقال تعالى عن إبليس: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤].

قال ابن جرير رحمه الله: «وهذا وإن كان من الله تعالى ذكره خبراً عن إبليس، فإنه تقريع لضربائه[٢] من خلق الله الذين يتكبرون عن الخضوع لأمر الله، والانقياد لطاعته فيما أمرهم به وفيما نهاهم عنه، والتسليم له فيما أوجب لبعضهم على بعض من الحق. وكان ممن تكبر عن الخضوع لأمر الله، والتذلل لطاعته، والتسليم لقضائه فيما ألزمهم من حقوق غيرهم اليهود الذين كانوا بين ظهراني مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأحبارهم الذين كذبوا برسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم بصفته عارفون، وبأنه لله رسول عالمون. ثم استكبروا -مع علمهم بذلك- عن الإقرار بنبوته، والإذعان لطاعته، بغياً منهم له وحسداً»[٣].

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/ ٤٤-٤٥).

(٢) أشباهه وأمثاله.

(٣) تفسير الطبري (١/ ٥٤٤-٥٤٥ ت التركي).

وقال تعالى عن فرعون وقومه: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤].

وقال تعالى عن اليهود: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦].

وقال ابن تيمية رحمه الله: «وكفر إبليس وفرعون واليهود ونحوهم لم يكن أصله من جهة عدم التصديق والعلم؛ فإن إبليس لم يخبره أحد بخبر بل أمره الله بالسجود لآدم فأبى واستكبر وكان من الكافرين فكفره بالإباء والاستكبار وما يتبع ذلك؛ لا لأجل تكذيب. وكذلك فرعون وقومه جحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً»(١).

ويقول أيضاً: «وكلام الله خبر وأمر فالخبر يستوجب تصديق المخبر والأمر يستوجب الانقياد له والاستسلام وهو عمل في القلب جماعه الخضوع والانقياد للأمر وإن لم يفعل المأمور به فإذا قوبل الخبر بالتصديق والأمر بالانقياد فقد حصل أصل الإيمان في القلب وهو الطمأنينة والإقرار فإن اشتقاقه من الأمن الذي هو القرار والطمأنينة وذلك إنما يحصل إذا استقر في القلب التصديق والانقياد..."(٢).

إلى أن قال رحمه الله: «الإيمان قول وعمل أعني في الأصل قولاً في القلب وعملاً في القلب فإن الإيمان بحسب كلام الله ورسالته وكلام الله ورسالته يتضمن إخباره وأوامره فيصدق القلب إخباره تصديقا يوجب حالاً في القلب بحسب المصدق به والتصديق هو من نوع العلم والقول وينقاد لأمره ويستسلم وهذا الانقياد والاستسلام هو نوع من الإرادة والعمل ولا يكون مؤمناً إلا بمجموع الأمرين فمتى ترك الانقياد كان مستكبرا فصار من الكافرين وإذا كان مصدقاً»(٣).

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٥٣٤).

(٢) الصارم المسلول على شاتم الرسول (ص٥١٩).

(٣) الصارم المسلول على شاتم الرسول (ص٥٢٠).

وقال حافظ الحكمي رحمه الله: «وإن انتفى عمل القلب وعمل الجوارح مع المعرفة بالقلب والاعتراف باللسان، فكفر عناد واستكبار، ككفر إبليس وكفر غالب اليهود الذين شهدوا أن الرسول حق ولم يتبعوه أمثال: حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف وغيرهما، وكفر من ترك الصلاة عناداً واستكباراً، ومحال أن ينتفي انقياد الجوارح بالأعمال الظاهرة مع ثبوت عمل القلب»(١).

المطلب العاشر: الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به.

«والمقصود بالإعراض: الإعراض التام عن دين الله تعالى لا يتعلمه ولا يعمل به، لا يبالي بالدين أصلًا، فلا يتعلم شيئًا من الدين ولا يوالي فيه ولا يعادي فيه، وهؤلاءلايعلمون الحق كما قال الله جل وعلا: ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡحَقَّۖ فَهُم مُّعۡرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٤].

فجعل سبب عدم علمهم بالحق، لا لخفاء الحق في نفسه، ولكن لأنهم معرضون عن الديانة، وكذلك قال جل وعلا: ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤].

فالإعراض المكفر هو الإعراض عن تعلُّم أصل الإيمان، أما إذا كان معه أصل الإيمان وأعرض عن فعل واجب من الواجبات الشرعية فهذا ينقص الإيمان ولا ينفيه بالكلية»(٢).

قال تعالى في وصف المنافقين: ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ﴾ [النور: ٤٨].

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: «فبين سبحانه أن من دعي إلى التحاكم إلى كتاب الله وإلى رسوله فصد عن رسوله كان منافقاً وقال سبحانه: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعۡنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ ﴿٤٩﴾

---

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول (٢/ ٥٩٤).

(٢) معجم التوحيد (١/ ١٦٤).

﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥۚ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٥٠ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٤٧-٥١] فبين سبحانه أن من تولى عن طاعة الرسول وأعرض عن حكمه فهو من المنافقين وليس بمؤمن وأن المؤمن هو الذي يقول: سمعنا وأطعنا فإذا كان النفاق يثبت ويزول الإيمان بمجرد الإعراض عن حكم الرسول وإرادة التحاكم إلى غيره مع أن هذا ترك محض وقد يكون سببه قوة الشهوة فكيف بالتنقص والسب ونحوه»(١).

وذكر ابن القيم ضابطًا للإعراض فقال رحمه الله: "وأما كفر الإعراض فأن يعرض بسمعه وقلبه عن الرسول، لا يصدق ولا يكذب، ولا يواليه ولا يعاديه، ولا يصغي إلى ما جاء به البتة"(٢).

وقال الشيخ ابن باز رحمه الله: «وقد وصف الله الكفار بالإعراض عما خلقوا له وعما أنذروا به؛ تنبيهاً لنا على أن الواجب على المسلم أن يقبل على دين الله، وأن يتفقه في دين الله، وأن يسأل عمل أشكل عليه، وأن يتبصر، قال عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعْرِضُونَ﴾ [الأحقاف: ٣]، وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُۚ﴾ [الكهف: ٥٧].

فمن شأن المؤمن طلب العلم، والتفقه في الدين، والتبصر، والعناية بكتاب الله، والإقبال عليه وتدبره، والاستفادة منه، والعناية بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتفقه فيها، والعمل بها، وحفظ ما تيسر منها، فمن أعرض عن هذين الأصلين وغفل عنهما، فذلك دليل وعلامة على أن الله سبحانه لم يرد به خيراً، وذلك علامة الهلاك والدمار، وعلامة فساد القلب وانحرافه عن الهدى، نسأل الله السلامة والعافية من كل ما يغضبه»(٣).

---

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول (ص٣٧-٣٨).

(٢) مدارج السالكين (١/ ٥٢١ ط عطاءات العلم)، معجم التوحيد (١/ ١٦٦).

(٣) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز (٩/ ١٣٠).

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «فمن تولى وكفر بعد أن بلغه الوحي النازل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه سيعذب ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ﴾ [الغاشية: ٢٣].

التولي أي: الإعراض، فلا يتجه للحق ولا يقبل الحق ولا يسمع الحق، حتى لو سمعه بإذنه لم يسمعه بقلبه كما قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ۝٢٠ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٠-٢١] أي: لا ينقادون.

فهنا يقول عز وجل: ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ﴾ [الغاشية: ٢٣] تولى: أعرض، كفر: أي: استكبر، ولم يقبل ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَكۡبَرَ﴾ [الغاشية: ٢٤] يوم القيامة»(١).

وعد الإمام ابن عبد الوهاب هذا الإعراض الناقض العاشر من نواقض الإسلام فقال:

« العاشر: الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعۡرَضَ عَنۡهَآۚ إِنَّا مِنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢]»(٢).

وقال الشيخ البراك في شرحه لنواقض الإسلام: «من ضروب الكفر: كفر الإعراض، فمن الكفار من يعرض عن دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم؛ لا يصغي لها ولا يدري عنها، يُدعى فلا يُصغي، ولا يتفكر ولا يتأمل.

ثم إذا كان الإنسان مظهرًا للإسلام شاهدًا للشهادتين، لكنه أعرض عن دين الله، فلا يهمه حلال ولا حرام، ولا يعمل بشيء من دين الله، ولا يسأل عن شيء، فهو لا يصلي، ولا يصوم، ولا يحج، ولا يتصدق لله، ولا يذكر الله، ولا يتلو شيئًا من القرآن، ولا يترك الزنا خوفًا من الله، ولا يترك شرب الخمر خوفًا من الله، فإن تركه؛ فإنما لأنه لا يتهيأ له، فهل يمكن أن يكون مسلمًا؟!

---

(١) لقاء الباب المفتوح رقم ٦١ (٣/٣٣٦-٣٣٧).

(٢)الرسائل الشخصية (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، الجزء السادس) (ص٢١٤).

لا يمكن أبدًا؛ لأن هذا الإعراض الكلي مناقض للشهادتين، فلو كان صادقًا لعمل بشيء من دين الله.

والكلام على هذا غير الكلام على بعض الأعمال التي يختلف أهل العلم: هل تركها كُفْرٌ أم لا؟ كالصلاة مثلًا، فهذا موضوع آخر، فترك الصلاة فيه خلاف بين أهل العلم، ولا ريب أن الذي لا يصلي أبدًا، أو لا يصلي إلا مجاملة للناس؛ أنه كافر»(١).

المطلب الحادي عشر: النفاق الاعتقادي، وفيه تمهيد وعدة مسائل.

التمهيد.

وهو النفاق الأكبر المخرج من ملة الإسلام الذي صاحبه في أسفل دركات النار لشدة خطره وعظيم ضرره على المسلمين، وهو الذي يظهر الإسلام ويبطن الكفر، يقول تعالى عنهم: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٤٢-١٤٥].

وغالب هذا النفاق يقع في حق الرسول ﷺ، يقول ابن تيمية رحمه الله: «فالنفاق يقع كثيرًا في حق الرسول، وهو أكثر ما ذكره الله في القرآن من نفاق المنافقين في حياته»(٢)، وهو ينقض قول القلب وعمله.

وله صور كثيرة من أبرزها الصور الآتية:

المسألة الأولى: تكذيب الرسول ﷺ أو تكذيب بعض ما جاء به.

(١) شرح نواقض الإسلام - البراك (ص٤٢-٤٣).

(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ٦٣٩).

وهذا التكذيب منهم لا يظهرونه في الغالب لكنه يظهر من لحن القول، كما قال الله تعالى لرسوله عنهم: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَـٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَـٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَـٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَـٰلَكُمْ﴾ [محمد: ٢٩-٣٠].

يقول ابن كثير رحمه الله: «أي: اعتقد المنافقون أن الله لا يكشف أمرهم لعباده المؤمنين؟ بل سيوضح أمرهم ويجليه حتى يفهمهم ذوو البصائر، وقد أنزل تعالى في ذلك سورة "براءة"، فبين فيها فضائحهم وما يعتمدونه من الأفعال الدالة على نفاقهم؛ ولهذا إنما كانت تسمى الفاضحة.

والأضغان: جمع ضغن، وهو ما في النفوس من الحسد والحقد للإسلام وأهله والقائمين بنصره.

وقوله: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَـٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَـٰهُمْ﴾ يقول تعالى: ولو نشاء يا محمد لأريناك أشخاصهم، فعرفتهم عياناً، ولكن لم يفعل تعالى ذلك في جميع المنافقين ستراً منه على خلقه، وحملاً للأمور على ظاهر السلامة، ورد السرائر إلى عالمها، ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾ أي: فيما يبدو من كلامهم الدال على مقاصدهم، يفهم المتكلم من أي الحزبين هو بمعاني كلامه وفحواه، وهو المراد من لحن القول، كما قال أمير المؤمنين عثمان بن عفان، رضي الله عنه: ما أسر أحد سريرة إلا أبداها الله على صفحات وجهه»(١).

ويقول تعالى عن كذبهم في شهادتهم للرسول ﷺ، وتكذيب الله لهم وهو العالم بسرائرهم: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَـٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ * وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون: ١-٤].

---

(١) تفسير ابن كثير – ت السلامة (٧/ ٣٢١).

المسألة الثانية: بغض أو كراهية بعض ما جاء به الرسول ﷺ[1].

وهذا ينقض شرط من شروط لا إله إلا الله وهو شرط المحبة لأن محبة الله تستلزم محبة رسوله صلى الله عليه وسلم ومحبة ما جاء به ﷺ، والبغض والكراهية من علامات مرض القلب وهي من صفات الكافرين وعلى رأسهم المنافقين، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد: ٩].

وقال تعالى: ﴿بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٠].

وقال تعالى عن المجرمين أهل النار: ﴿لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾ [الزخرف: ٧٨].

وخص المنافقين بذلك في أكثر من آية، فقال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ [التوبة: ٥٤].

وقال تعالى: ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٨١].

والبغض والكراهية تنافي عمل القلب من ناحية الإخلال بشرط المحبة والإخلال بترك القبول والانقياد والتسليم.

ولكن ينبغي التفريق بين أمرين الأول الكره والنفور الطبعي وهذا لا يعاقب عليه إلا إذا أدى إلى ترك أمر الله. والأمر الثاني البغض والكره الاعتقادي الناتج عن مرض في القلب، وهو الذي نعينه نتحدث عنه.

ومن النوع الأول قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦].

قال البغوي رحمه الله: « أي شاق عليكم قال بعض أهل المعاني: هذا الكره من حيث نفور الطبع عنه لما فيه من مؤنة المال ومشقة النفس وخطر الروح، لا أنهم كرهوا أمر الله تعالى»[2].

---

(١) ينظر: نواقض الإيمان الاعتقادية(٢/١٧٧-١٧٩).

(٢) تفسير البغوي – طيبة (١/ ٢٤٦).

وخلاصة القول أن بغض أو كراهة بعض ما جاء به الرسول ينقض عمل القلب من ناحية المحبة والرضا والتسليم والانقياد.

المسألة الثالثة: المسرة بانخفاض دين الرسول ﷺ أو كراهية انتصار دين الرسول ﷺ[1].

وهذه علامة قوية على مرض النفاق في القلب وذلك بسبب موالاتهم للكافرين ومحبتهم لظهورهم على المسلمين، فهم يحبون ظهور الكافرين وانتصارهم ويفرحون بذلك، ولا يحبون انتصار المسلمين ويكرهون ذلك كما قال تعالى عنهم: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَاۖ﴾ [آل عمران: ١٢٠].

وقال تعالى: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾ [التوبة: ٥٠].

قال الشوكاني رحمه الله: «إن تصبك حسنة أي حسنة كانت، بأي سبب اتفق، كما يفيده وقوعها في حيز الشرط، وكذلك القول في المصيبة، وتدخل الحسنة والمصيبة الكائنة في القتال كما يفيده السياق دخولاً أولياً، فمن جملة ما تصدق عليه الحسنة: الغنيمة والظفر، ومن جملة ما تصدق عليه المصيبة: الخيبة والانهزام، وهذا ذكر نوع آخر من خبث ضمائر المنافقين وسوء أفعالهم، والإخبار بعظيم عداوتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين، فإن المساءة بالحسنة، والفرح بالمصيبة من أعظم ما يدل على أنهم في العداوة قد بلغوا إلى الغاية»[2].

وعلى رأس ذلك يفرحون بانخفاض دين الرسول صلى الله عليه وسلم ويكرهون انتصاره، وهذه من أبرز علامات النفاق الاعتقادي المخرج من الملة.

ومن أبرز مظاهر ذلك الفرح بانتصار اليهود والنصارى وأعوانهم على المسلمين.

---

(١) ينظر: نواقض الإيمان الاعتقادية(٢/١٦٩-١٧٢).

(٢) فتح القدير للشوكاني (٢/ ٤٢٠-٤٢١).

المسألة الرابعة: أذية الرسول ﷺ أو عيبه أو لمزه[١].

وهذا يناقض عمل القلب بحب الله ورسوله ﷺ، وهو داخل في سبه صلى الله عليه وسلم فالعيب واللمز هي من أنواع سبه وأذيته ﷺ، ومن علامات النفاق الأكبر، قال تعالى عن المنافقين في ذكر هذه الصفة فيهم: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [التوبة: ٥٨].

وقال تعالى في آية أخرى: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٦١] إلى أن قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْيُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٦٣].

قال الشوكاني رحمه الله: «ومنهم هذا نوع آخر مما حكاه الله من فضائح المنافقين وقبائحهم، وذلك أنهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم على وجه الطعن والذم: هو أذن. قال الجوهري: يقال: رجل أذن: إذا كان يسمع مقال كل أحد، يستوي فيه الواحد والجمع ومرادهم، أقمأهم الله، أنهم إذا آذوا النبي وبسطوا فيه ألسنتهم، وبلغه ذلك اعتذروا له، وقبل ذلك منهم، لأنه يسمع كل ما يقال له فيصدقه، وإنما أطلقت العرب على من يسمع ما يقال له فيصدقه أنه أذن، مبالغة، لأنهم سموه بالجارحة التي هي آلة السماع، حتى كأن جملته أذن سامعة... وإيذاؤهم له هو قوله: هو أذن لأنهم نسبوه إلى أنه يصدق كل ما يقال له، ولا يفرق بين الصحيح والباطل، اغتراراً منهم بحلمه عنهم، وصفحه عن جناياتهم كرماً وحلماً وتغاضياً»[٢].

وقال ابن تيمية بعد ذكره للآيات السابقة: «وذلك لأن الإيمان والنفاق أصله في القلب وإنما الذي يظهر من القول والفعل فرع له ودليل عليه فإذا ظهر من الرجل شيء من ذلك ترتب الحكم عليه فلما أخبر سبحانه أن الذين يلمزون النبي صلى الله عليه وسلم والذين يؤذونه من

---

(١) ينظر: نواقض الإيمان الاعتقادية(٢/١٦١-١٦٣).

(٢) فتح القدير للشوكاني (٢/ ٤٢٨).

المنافقين ثبت أن ذلك دليل على النفاق وفرع له ومعلوم أنه إذا حصل فرع الشيء ودليله حصل أصله المدلول عليه فثبت أنه حيثما وجد ذلك كان صاحبه منافقاً سواء كان منافقاً قبل هذا القول أو حدث له النفاق بهذا القول»[1].

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول (ص٣٤).

المسألة الخامسة: مظاهرة الكافرين ومناصرتهم على المؤمنين[1].

وهذه الصفة من أخص صفات المنافقين فهم في الظاهر مع المسلمين وفي الحقيقة مع الكفار عيوناً وأعواناً لهم يكشفون عورات المسلمين وأسرارهم، ويتربصون بالمؤمنين الدوائر.

وجاءت الآيات توضح أن هذا من صفات المنافقين، فقال تعالى عنهم: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٨-١٣٩].

وقال تعالى عنهم: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ﴾ [المائدة: ٥٢].

وقال تعالى في صفاتهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الحشر: ١١].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٤-١٦].

وهذه المظاهرة التامة للكفار وتوليهم من دون المؤمنين دليل على مرض القلب بالنفاق الأكبر وهو ناقض من نواقض الشهادتين لعدة أدلة سبق بعضها ويضاف إليها:

---

(١) ينظر: نواقض الإيمان الاعتقادية(٢/١٦٦-١٦٨)، معجم التوحيد (٣/ ٤٣٩)، حقيقة الإيمان ونواقضه(٦٩١-٧٠٦).

١- قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [المائدة: ٥١].

قال ابن جرير رحمه الله: «يعنى تعالى ذكره بقوله: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ﴾ ومن يتول اليهود والنصارى دون المؤمنين ﴿ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ﴾ يقول: فإن من تولاهم ونصرهم على المؤمنين، فهو من أهل دينهم وملتهم، فإنه لا يتولى متول أحداً إلا وهو به وبدينه وما هو عليه راض، وإذا رضيه ورضى دينه فقد عادى ما خالفه وسخطه، وصار حكمه حكمه»[١].

٢- قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الممتحنة: ١٣].

قال ابن كثير رحمه الله: «ينهى تبارك وتعالى عن موالاة الكافرين في آخر "هذه السورة" كما نهى عنها في أولها فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ يعني: اليهود والنصارى وسائر الكفار، ممن غضب الله عليه ولعنه واستحق من الله الطرد والإبعاد، فكيف توالونهم وتتخذونهم أصدقاء وأخلاء وقد يئسوا من الآخرة، أي: من ثواب الآخرة ونعيمها في حكم الله عز وجل...»[٢].

---

(١) تفسير الطبري (٨/ ٥٠٨ ت التركي).

(٢) تفسير ابن كثير – ت السلامة (٨/ ١٠٣).

٣- أن مظاهرة الكفار على المسلمين موالاة تتضمن بغضاً لدين الله تعالى وحرباً على عباد الله الصالحين، ونصرة للكفار عليهم، ولا شك أن الإيمان لا يجتمع مع هذه الموالاة التامة.

قال تعالى في بيان ذلك: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٨٠-٨١].

وقال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة: ٢٢].

وعد الإمام محمد بن عبد الوهاب مظاهرة المشركين من نواقض الإسلام، فقال رحمه الله: «الثامن: مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]»[١].

---

(١) الرسائل الشخصية (ص٢١٣).

الفرق بين مظاهرة الكفار والاستعانة بهم:

الفرق في ذلك كبير فالمظاهرة كفر مخرج من الملة وأما استعانة بهم ففي النهي عنها خلاف.

قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله: "ومما يجب التنبيه عليه أن بعض الناس قد يظن أن الاستعانة بأهل الشرك تعتبر موالاة لهم، وليس الأمر لك، فالاستعانة شيء والموالاة شيء آخر. فلم يكن النبي صلى الله عليه وسلم حين استعان بالمطعم بن عدي، أو بعبد الله بن أريقط، أو بيهود خيبر مواليًا لأهل الشرك، ولا متخذًا لهم بطانة، وإنما فعل ذلك للحاجة إليهم واستخدامهم في أمور تنفع المسلمين ولا تضرهم. وهكذا بعثه المهاجرين من مكة إلى بلاد الحبشة ليس ذلك موالاة للنصارى، وإنما فعل ذلك لمصلحة المسلمين، وتخفيف الشر عنهم. فيجب على المسلم أن يفرق ما فرق الله بينه، وأن ينزل الأدلة منازلها، والله سبحانه هو الموفق والهادي لا إله غيره ولا رب سواه"[1].

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز (٧/ ٣٦٠-٣٦١)، معجم التوحيد (٣/ ٤٤١).

المسألة السادسة: السب والاستهزاء بالله ورسوله ﷺ وصحابته رضي الله عنهم والمؤمنين لأجل طاعتهم لله ولرسوله، وله عدة صور، منها[1].

الصورة الأولى: السب والاستهزاء بالله ورسوله.

والشهادتان تقضيان أن يعظم الله ورسوله، فمن استهزأ وسخر بشيء من ذلك، فقد وقع فيما ينقض الشهادتين، قال ابن قدامة رحمه الله: «ومن سب الله تعالى، كفر، سواء كان مازحاً أو جاداً. وكذلك من استهزأ بالله تعالى، أو بآياته أو برسله، أو كتبه، قال الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦]. وينبغى أن لا يكتفى من الهازئ بذلك بمجرد الإسلام، حتى يؤدب أدباً يزجره عن ذلك، فإنه إذا لم يكتف ممن سب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتوبة، فممن سب الله تعالى أولى»[2].

وقال ابن تيمية رحمه الله: «فإنا نعلم أن من سب الله ورسوله طوعاً بغير كره؛ بل من تكلم بكلمات الكفر طائعاً غير مكره ومن استهزأ بالله وآياته ورسوله فهو كافر باطناً وظاهراً وأن من قال: إن مثل هذا قد يكون في الباطن مؤمناً بالله وإنما هو كافر في الظاهر، فإنه قال قولاً معلوم الفساد بالضرورة من الدين.

وقد ذكر الله كلمات الكفار في القرآن وحكم بكفرهم واستحقاقهم الوعيد بها، ولو كانت أقوالهم الكفرية بمنزلة شهادة الشهود عليهم أو بمنزلة الإقرار الذي يغلط فيه المقر، لم يجعلهم الله من أهل الوعيد بالشهادة التي قد تكون صدقاً وقد تكون كذباً، بل كان ينبغي أن لا يعذبهم إلا بشرط صدق الشهادة وهذا كقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ

---

(١) ينظر: حقيقة الإيمان ونواقضه(٤٧٥، ٥٨٣-٥٨٩، ٧١٤-٧٤٢)، معجم التوحيد (٢/ ٣٤٠-٣٤٧).

(٢) المغني لابن قدامة (١٢/ ٢٩٨ - ٢٩٩ ت التركي).

ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣]، ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ٧٢]، وأمثال ذلك»[1].

وقال ابن باز رحمه الله: «سب الدين من أعظم الكبائر ومن أعظم المنكرات وهكذا سب الرب عز وجل، وهذان الأمران من أعظم نواقض الإسلام، ومن أسباب الردة عن الإسلام، فإذا كان من سب الرب سبحانه أو سب الدين ينتسب للإسلام فإنه يكون مرتداً بذلك عن الإسلام، ويكون كافراً يستتاب فإن تاب وإلا قتل من جهة ولي أمر البلد بواسطة المحكمة الشرعية، وقال بعض أهل العلم إنه لا يستتاب بل يقتل؛ لأن جريمته عظيمة، ولكن الأرجح أنه يستتاب لعل الله يمن عليه بالهداية فيلزم الحق، ولكن ينبغي أن يعزر بالجلد والسجن حتى لا يعود لمثل هذه الجريمة العظيمة، وهكذا لو سب القرآن أو سب الرسول صلى الله عليه وسلم أو غيره من الأنبياء فإنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل، فإن سب الدين أو سب الرسول أو سب الرب عز وجل من نواقض الإسلام، وهكذا الاستهزاء بالله أو برسوله أو بالجنة أو بالنار أو بأوامر الله كالصلاة والزكاة، فالاستهزاء بشيء من هذه الأمور من نواقض الإسلام، قال الله سبحانه: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ٦٥ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦] نسأل الله العافية»[2].

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٥٥٨-٥٥٧).

(٢) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز (٦/ ٣٨٧).

الصورة الثانية: سب الصحابة رضي الله عنهم[١].

مما يندرج في شروط لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله محبة أصحاب رسول الله ومعرفة حقهم الذي أوجبه الله علينا بالنصوص، وقد أثنى الله عليهم وأثنى عليهم رسوله ﷺ في سنته، فمن ذلك:

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨].

وقال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٨-٩].

---

(١) ينظر: معجم التوحيد (٢/ ٣٤٠-٣٤٧).

وقال ﷺ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ: تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ»(١).

وقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: « خَيْرُ أُمَّتِي الْقَرْنُ الَّذِينَ بُعِثْتُ فِيهِمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ – وَاللهُ أَعْلَمُ أَذَكَرَ الثَّالِثَ أَمْ لَا، قَالَ: ثُمَّ يَخْلُفُ قَوْمٌ يُحِبُّونَ السَّمَانَةَ، يَشْهَدُونَ قَبْلَ أَنْ يُسْتَشْهَدُوا »(٢).

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد صلى الله عليه وسلم خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه، فما رأى المسلمون حسناً فهو عند الله حسن وما رأوا سيئاً فهو عند الله سيئ"(٣).

وعنه رضي الله عنه قال: "من كان منكم متأسياً فليتأسى بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، وأقومها هدياً، وأحسنها حالاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم، فإنهم كانوا علي الهدى المستقيم"(٤).

قال الطحاوي في متنه المشهور: "وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان"(٥).

وقال الهيثمي رحمه الله: «أما سبّ جَمِيعهم فَلَا شكّ أَنه كفر وَكَذَا سبّ وَاحِد مِنْهُم من حَيْثُ هُوَ صَحَابِيّ لِأَنَّهُ استخفاف بالصحبة فَيكون استِخْفَافًا بِهِ صلى الله عليه وسلم»(٦).

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٧١)ح(٢٦٥٢)، ومسلم (٧/ ١٨٥ ط التركية)ح(٢٥٣٣).

(٢) أخرجه مسلم (٧/ ١٨٥ ط التركية)ح(٢٥٣٤).

(٣) أخرجه أحمد في المسند(٦/ ٨٤ ط الرسالة).

(٤) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٤٧).

(٥) متن العقيدة الطحاوية – شرح وتعليق الألباني (ص٨١).

(٦) الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة (١/ ١٣٥).

وقال ابن الصلاح رحمه الله: "للصحابة بأسرهم خصيصة وهي أنه لا يسأل عن عدالة أحد منهم، بل ذلك أمر مفروغ منه لكونهم على الإطلاق معدلين بنصوص الكتاب والسنة وإجماع من يعتد به في الإجماع من الأمة"(١).

ويقول ابن كثير رحمه الله: "والصحابة كلهم عدول عند أهل السنة والجماعة لما أثنى الله عليهم في كتابه العزيز، وبما نطقت به السنة النبوية في المدح لهم في جميع أخلاقهم وأفعالهم وما بذلوه من الأموال والأرواح بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، رغبة فيما عند الله من الثواب الجزيل والجزاء الجميل"(٢).

ملخص معتقد المسلم في صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم.

قال ابن تيمية رحمه الله فيما يجب على المسلم أن يعتقده في أصحاب رسول ﷺ:

«ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما وصفهم الله به في قوله تعالى: (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم) وطاعة النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: (لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أُحُدٍ ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه).

ويقولون ما جاء به الكتاب والسنة والإجماع من فضائلهم ومراتبهم، ويفضلون من أنفق من قبل الفتح وهو صلح الحديبية وقاتل على من أنفق من بعد وقاتل، ويقدمون المهاجرين على الأنصار، ويؤمنون بأن الله قال لأهل بدر وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر: (اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) وبأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة كما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم بل لقد رضي الله عنهم ورضوا عنه وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة، ويشهدون بالجنة لمن شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم كالعشرة وثابت بن قيس بن شماس وغيرهم من

---

(١) مقدمة ابن الصلاح = معرفة أنواع علوم الحديث - ت عتر (ص٢٩٤).

(٢) الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث ط ابن الجوزي (ص٣٦٧).

الصحابة ويقرون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وغيره من أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر، ويثلثون بعثمان ويربعون بعلي رضي الله عنهم كما دلت عليه الآثار وكما أجمع الصحابة على تقديم عثمان في البيعة مع أن بعض أهل السنة كانوا قد اختلفوا في عثمان وعلي رضي الله عنهما بعد اتفاقهم على تقديم أبي بكر وعمر – أيهما أفضل فقدم قوم عثمان وسكتوا وربّعوا بعلي، وقدم قوم علياً، وقوم توقفوا لكن استقر أمر أهل السنة على تقديم عثمان ثم علي وإن كانت هذه المسألة – مسألة عثمان وعلي – ليست من الأصول التي يضلل المخالف فيها عند جمهور أهل السنة، لكن التي يضلل فيها مسألة الخلافة وذلك أنهم يؤمنون أن الخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر ثم عثمان ثم علي، ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء فهو أضل من حمار أهله.

ويحبون أهل بيت رسول الله ويتولونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال يوم غدير خم: (أذكركم الله في أهل بيتي، وقال أيضاً للعباس عمه وقد اشتكى إليه أن بعض قريش يجفو بني هاشم فقال: (والذي نفسي بيده لا يؤمنون حتى يحبوكم لله ولقرابتي) «وقال: (إن الله اصطفى بني إسماعيل واصطفى من بني إسماعيل كنانة واصطفى من كنانة قريشاً واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم) ويتولون أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين ويؤمنون بأنهن أزواجه في الآخرة خصوصاً خديجة رضي الله عنها أم أكثر أولاده أول من آمن به وعاضده على أمره وكان لها منه المنزلة العالية والصِدّيقة بنت الصدّيق رضي الله عنها التي قال النبي صلى الله عليه وسلم: (فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام)، ويتبرءون من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم وطريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل ويمسكون عما شجر من الصحابة ويقولون: إن هذه الآثار المروية في مساويهم منها ما هو كاذب ومنها ما قد زيد فيه ونقص، وغُيِّر عن وجهه. والصحيح منه هم فيه معذورون إما مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون. وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن

كبائر الإثم وصغائره بل يجوز عليهم الذنوب في الجملة ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر عنهم إن صدر، حتى إنهم يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم، لأن لهم من الحسنات التي تمحو السيئات مما ليس لمن بعدهم. وقد ثبت بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم إنهم خير القرون وأن المدَّ مِن أحدهم إذا تصدق به كان أفضل من جبل أحد ذهبا ممن بعدهم، ثم إذا كان قد صدر من أحدهم ذنب فيكون قد تاب منه، أو أتى بحسنات تمحوه أو غفر له بفضل سابقته، أو بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم الذي هم أحق الناس بشفاعته، أو ابتلى ببلاء في الدنيا كُفِّرَ به عنه. فإذا كان هذا في الذنوب المحققة فكيف الأمور التي كانوا فيها مجتهدين إن أصابوا فلهم أجران، وإن أخطأوا فلهم أجر واحد والخطأ مغفور.

ثم القدر الذي ينكر من فعل بعضهم قليل نزر مغفور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم من الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله والهجرة والنصرة والعلم النافع والعمل الصالح.

ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة وما من الله عليهم به من الفضائل علم يقيناً أنهم خير الخلق بعد الأنبياء لا كان ولا يكون مثلهم وأنهم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمها على الله» انتهى بطوله[1].

التحذير من سب الصحابة رضي الله عنهم وخطره العظيم على المعتقد.

قال تعالى في التحذير من أذية الله ورسوله والمؤمنين ولا شك أن الصحابة هم أعظم المؤمنين وسبهم وأذيتهم من أذية الله ورسوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٧-٥٨].

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره: «أي: ينسبون إليهم ما هم برآء منه لم يعملوه ولم يفعلوه، ﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ وهذا هو البهت البين أن يحكى أو ينقل عن المؤمنين

(١) العقيدة الواسطية (ص٢٤-٢٧).

والمؤمنات ما لم يفعلوه، على سبيل العيب والتنقص لهم، ومن أكثر من يدخل في هذا الوعيد الكفرة بالله ورسوله، ثم الرافضة الذين يتنقصون الصحابة ويعيبونهم بما قد برأهم الله منه، ويصفونهم بنقيض ما أخبر الله عنهم؛ فإن الله، عز وجل، قد أخبر أنه قد رضي عن المهاجرين والأنصار ومدحهم، وهؤلاء الجهلة الأغبياء يسبونهم ويتنقصونهم، ويذكرون عنهم ما لم يكن ولا فعلوه أبداً، فهم في الحقيقة منكوسو القلوب يذمون الممدوحين، ويمدحون المذمومين»[1].

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ»[2].

وفي الرواية الأخرى عند مسلم من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: « لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ »[3].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ سَبَّ أَصْحَابِي فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»[4].

---

(١) تفسير ابن كثير – ت السلامة (٦/ ٤٨٠-٤٨١).

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ٨)ح(٣٦٧٣).

(٣) أخرجه مسلم (٧/ ١٨٨ ط التركية)ح(٢٥٤٠).

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير(١٢/ ١٤٢)ح(١٢٧٠٩) وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٥/ ٤٤٦)ح(٢٣٤٠) وحسنه في صحيح الجامع (٢/ ١٠٧٧)ح(٦٢٨٥).

وقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: " اللَّهَ اللَّهَ فِي أَصْحَابِي، اللَّهَ اللَّهَ فِي أَصْحَابِي، لَا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا بَعْدِي، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ، وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ، وَمَنْ آذَى اللَّهَ فَيُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ "(١).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: "لا تسبوا أصحاب محمد، فلمقام أحدهم ساعة خير من عبادة أحدكم أربعين سنة"(٢).

وعن عبد الملك بن عبد الحميد الميموني قال: قال أحمد بن حنبل: "يا أبا الحسن، إذا رأيت رجلا يذكر أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوء فاتهمه على الإسلام"(٣).

وقال أبو زرعة الرازي رحمه الله: "إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله، فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم، عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن، أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة"(٤).

---

(١) أخرجه في المسند(٣٤/ ١٦٩- ١٧٠ ط الرسالة)ح(٢٠٥٤٩)، والترمذي (٥/ ٦٩٦ ت شاكر)ح(٣٨٦٢) وقال:"هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه" وحسنه رحمه الله في بعض النسخ ،كما نقل عنه ذلك البغوي فقال في شرح السنة(١٤/ ٧١): "قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ"، وذهب كثير من المحققين إلى تضعيف الحديث، وصاحب كتاب الأحاديث الواردة في فضائل الصحابة يرى أنه لا ينزل عن رتبة الحسن لغيره والله أعلم.

ينظر: الأحاديث الواردة في فضائل الصحابة (١/ ٤٦٥).

(٢) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل (١/ ٦٠).

(٣) مناقب الإمام أحمد (ص٢١٦).

(٤) الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي (ص٤٩).

وقال بقية بن الوليد: "قال لي الأوزاعي: يا بقية! لا تذكر أحداً من أصحاب نبيك إلا بخير. يا بقية! العلم ما جاء عن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، وما لم يجيء عنهم، فليس بعلم"(١).

وقال شيخ الإسلام: "ولهذا كان معرفة أقوالهم في العلم الدين وأعمالهم، خيراً وأنفع من معرفة أقوال المتأخرين وأعمالهم في جميع علوم الدين وأعماله، كالتفسير وأصول الدين، وفروعه، والزهد، والعبادة، والأخلاق، والجهاد، وغير ذلك فإنهم أفضل ممن بعدهم كما دل عليه الكتاب والسنة، فالاقتداء بهم خير من الاقتداء بمن بعدهم، ومعرفة إجماعهم ونزاعهم في العلم والدين خير وأنفع من معرفة ما يذكر من إجماع غيرهم ونزاعهم. وذلك أن إجماعهم لا يكون إلا معصوماً، وإذا تنازعوا فالحق لا يخرج عنهم"(٢).

---

(١) سير أعلام النبلاء (٧/ ١٢٠ ط الرسالة).

(٢) مجموع الفتاوى (١٣/ ٢٤).

حكم سب الصحابة(١):

قال شيخ الإسلام: "وبالجملة فمن أصناف السابة من لا ريب في كفره، ومنهم من لا يحكم بكفره ومنهم من تردد فيه"(٢). وإليك تفصيل ذلك في الحالات الآتية:

الحالة الأولى: سب عموم الصحابة: من سب الصحابة أو رماهم بالكفر والردة أو فسق جميعهم أو معظمهم فهو كافر لأسباب كثيرة منها:

١- أن الطعن في نقلة الكتاب والسنة يلزم منه الطعن فيهما، لأن سب الصحابة يفضي إلى الطعن في الدين الذي نقلوه وهدم لأصله وإبطال للشريعة.

قال أبو زرعة الرازي رحمه الله: "إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله، فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم، عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن، أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة"(٣).

وقال محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في الرد على من يقول أن أكثر الصحابة ارتدوا بعد النبي صلى الله عليه وسلم أن في ذلك: « هدم لأساس الدين لأن أساسه القرآن والحديث، فإذا فرض ارتداد من أخذ من النبي صلى الله عليه وسلم إلا النفر الذين لا يبلغ خبرهم التواتر، وقع الشك في القرآن والأحاديث، نعوذ بالله من اعتقاد يوجب هدم الدين...فهؤلاء أشد ضرراً على الدين من اليهود والنصارى، وفي هذه الهفوة الفساد من وجوه: فإنها توجب إبطال الدين والشك فيه، وتجوز كتمان ما عورض به القرآن، وتجوز تغيير القرآن»(٤).

---

(١) ينظر: معجم التوحيد (٢/ ٣٤٣).

(٢) الصارم المسلول على شاتم الرسول (ص ٥٨٧).

(٣) الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي (ص٤٩).

(٤) رسالة في الرد على الرافضة (ص١٣) (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء الثاني عشر).

٢- أنه تكذيب لنص القرآن الكريم وإنكار لما تضمنته الآيات من الثناء الحسن عليهم وتزكيتهم.

٣- فيه طعن في الرسول وتنقص منه لأنه هو من رباهم وزكاهم وعلمهم، ومن المعلوم تنقص رسول الله كفر وردة.

٤- استنبط الإمام مالك رحمه الله من قوله تعالى في الصحابة: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩] أن من يبغض الصحابة كافر، قال الهيثمي رحمه الله في الصواعق المحرقة: «ومن هذه الآية أخذ الإمام مالك في رواية عنه بكفر الروافض الذين يبغضون الصحابة قال لأن الصحابة يغيظونهم ومن غاظه الصحابة فهو كافر، وهو مأخذ حسن يشهد له ظاهر الآية ومن ثم وافقه الشافعي رضي الله تعالى عنهما في قوله بكفرهم ووافقه أيضا جماعه من الأئمة» (١).

٥- قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «آيَةُ الْإِيمَانِ حُبُّ الْأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الْأَنْصَارِ»(٢).

وفي رواية: «الْأَنْصَارُ لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللهُ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللهُ»(٣).

ولمسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: « لَا يُبْغِضُ الْأَنْصَارَ رَجُلٌ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ » (٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية، مبيناً حكم هذا القسم: "وأما من جاوز ذلك إلى أن زعم أنهم ارتدوا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا نفراً قليلاً لا يبلغون بضعة عشر نفساً، أو أنهم

---

(١) الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة (٢/ ٦٠٧).

(٢) أخرجه البخاري (١/ ١٢)ح(١٧).

(٣) أخرجه البخاري (٥/ ٣٢) ح(٣٧٨٣)، ومسلم (١/ ٦٠ ط التركية)ح(٧٥).

(٤) أخرجه مسلم (١/ ٦٠ ط التركية) ح(٧٦).

فسقوا عامتهم، فهذا لا ريب أيضاً في كفره، لأنه مكذب لما نصه القرآن في غير موضع، من الرضا عنهم، والثناء عليهم، بل من يشك في كفر مثل هذا فإن كفره متعين ..." إلى أن قال : "وكفر هذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام"(١).

الحالة الثانية: أن يسب صحابياً تواترت النصوص بفضله كأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فيطعن في دينه وعدالته، وهذا كفر لما فيه من التكذيب بهذه المتواترة، وإنكار لأمر معلوم من الدين بالضرورة.

قال أبو بكر المروذي: سألت أبا عبد الله عن من يشتم أبا بكر وعمر وعائشة؟ قال: "ما أرآه على الإسلام، قال: وسمعت أبا عبد الله يقول: قال مالك: " الذي يشتم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ليس له سهم، أو قال: نصيب في الإسلام "(٢).

عن موسى بن هارون بن زياد، قال: سمعت الفريابي، ورجل يسأله عمن شتم أبا بكر قال: كافر، قال: فيصلى عليه؟ قال: لا، وسألته كيف يصنع به وهو يقول: لا إله إلا الله؟ قال: «لا تمسوه بأيديكم، ارفعوه بالخشب حتى تواروه في حفرته»(٣).

وقال محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: «ومن خص بعضهم بالسب فإن كان ممن تواتر النقل في فضله وكماله كالخلفاء، فإن اعتقد أحقية سبه أو إباحته فقد كفر، لتكذيبه ما ثبت قطعاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومكذبه كافر. وإن سبه من غير اعتقاد حقية سبه أو إباحته فقد تفسق، لأن سباب المسلم فسوق؛ وقد حكم بعض فيمن سب الشيخين بالكفر مطلقاً والله أعلم »(٤).

---

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول (ص٥٨٦-٥٨٧).

(٢) السنة لأبي بكر بن الخلال (٣/ ٤٩٣).

(٣) السنة لأبي بكر بن الخلال (٣/ ٤٩٩).

(٤) رسالة في الرد على الرافضة (ص١٩).

الحالة الثالثة: قذف أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، فأما القاذف لأمنا عائشة رضي الله عنها فانه كافر بالإجماع، وكذلك القذف لبقية أمهات المؤمنين رضي الله عنهن كفر على الصحيح.

أما قذف عائشة رضي الله عنها فإنه كفر لأنه تكذيب لكتاب الله ومعارضة لله في كلامه عنها.

فهي الصديقة الطاهرة المبرأة من السماء على لسان جبريل، إخباراً من الله، متلواً في كتابه، مثبتاً في صدور الأمة ومصاحفها إلى يوم القيامة، وأنها زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاضلة، وأنها زوجته وصاحبته في الجنة، وهي أم المؤمنين في الدنيا والآخرة، فمن شك في ذلك أو طعن فيه أو توقف عنه، فقد كذب بكتاب الله وشك فيما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم وزعم أنه من عند غير الله، قال الله تعالى ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [النور: ١٧]، فمن أنكر هذا فقد بريء من الإيمان[1].

قال ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ٢٣] «هذا وعيد من الله تعالى للذين يرمون المحصنات الغافلات -خرج مخرج الغالب -المؤمنات.

فأمهات المؤمنين أولى بالدخول في هذا من كل محصنة، ولا سيما التي كانت سبب النزول، وهي عائشة بنت الصديق، رضي الله عنهما.

وقد أجمع العلماء، رحمهم الله، قاطبة على أن من سبها بعد هذا ورماها بما رماها به بعد هذا الذي ذكر في هذه الآية، فإنه كافر؛ لأنه معاند للقرآن.

---

(١) ينظر: الابانة الصغرى لابن بطة(٢٩٦-٢٩٧)، الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة (٢/ ٧٠٧-٧٠٨).

وفي بقية أمهات المؤمنين قولان: أصحهما أنهن كهي، والله أعلم»[1].

كما أن قذف سائر أمهات المؤمنين حكمه حكم قذف عائشة رضي الله عنهن على الصحيح من أقوال العلماء.

قال ابن تيمية رحمه الله: «وهو الأصح أن من قذف واحدة من أمهات المؤمنين فهو كقذف عائشة رضي الله عنها .. وذلك لأن هذا فيه عار وغضاضة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأذى له أعظم من أذاه بنكاحهن بعده»[2].

الحالة الرابعة: سب بعض الصحابة من غير طعن في دينهم أو عدالتهم وهذا حرام بالكتاب والسنة بل هو من الكبائر.

والأدلة على ذلك كثيرة منها:

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَـٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحجرات: ١١].

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ﴾ [الحجرات: ١٢].

والآيات والأحاديث العامة في النهي سب المسلم تكون من باب أولى أصحاب رسول الله ﷺ.

(١)تفسير ابن كثير – ت السلامة (٦/ ٣١- ٣٢).

(٢)الصارم المسلول على شاتم الرسول (ص٥٦٧).

قال ابن تيمية رحمه الله: «وأما من سبهم[1] سباً لا يقدح في عدالتهم ولا في دينهم، مثل وصف بعضهم بالبخل أو الجبن أو قلة العلم أو عدم الزهد ونحو ذلك، فهذا هو الذي يستحق التأديب والتعزير ولا نحكم بكفره بمجرد ذلك، وعلى هذا يحمل كلام من لم يكفرهم من أهل العلم»[2].

وخلاصة مسألة سب الصحابة كما يذكرها ابن عثيمين رحمه الله: «سب الصحابة على ثلاثة أقسام:

الأول: أن يسبهم بما يقتضي كفر أكثرهم، أو أن عامتهم فسقوا، فهذا كفر؛ لأنه تكذيب لله ورسوله بالثناء عليهم والترضي عنهم، بل من شك في كفر مثل هذا فإن كفره متعين؛ لأن مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب أو السنة كفار، أو فساق.

الثاني: أن يسبهم باللعن والتقبيح، ففي كفره قولان لأهل العلم وعلى القول بأنه لا يكفر يجب أن يجلد ويحبس حتى يموت أو يرجع عما قال.

الثالث: أن يسبهم بما لا يقدح في دينهم كالجبن والبخل فلا يكفر ولكن يعزر بما يردعه عن ذلك»[3].

---

(١) يعني الصحابة رضي الله عنهم.

(٢) الصارم المسلول على شاتم الرسول (ص٥٨٦).

(٣) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٥/ ٨٣-٨٤).

الصورة الثالثة: السب والاستهزاء بالمؤمنين لأجل طاعتهم لله ورسوله، وعلى رأسهم العلماء والصالحين[1].

الواجب نحو العلماء والصالحين محبتهم في الله وتوقيرهم وإجلالهم كما جاءت بذلك الشريعة دون غلو وإفراط، ولا شك أن الاستهزاء والسب والسخرية من المؤمنين عمل قبيح ذميم لا يصدر إلا من ضعيف الإيمان، وهو من خصال الكافرين وسمات المنافقين، كما ذكر الله في كتابه عن الكافرين: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البقرة: ٢١٢].

وقال أيضاً عن الكافرين في أستهزائهم بعباد الله الصالحين: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٣-١١١].

وقال تعالى عن الكفرة المجرمين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [المطففين: ٢٩-٣٦].

---

(١) ينظر: حقيقة الإيمان ونواقضه(٧٤٢-٧٥٢).

وقال تعالى في شأن المنافقين: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ١٣ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ١٤ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة: ١٣-١٥].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٧٩].

والاستهزاء بالعلماء والصالحين على نوعين:

النوع الأول:السخرية من أوصافهم الخَلْقِية والخُلُقِية، فهذا محرم لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّۖ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١].

ولقول النَّبِيِّ ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ»، قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً! قَالَ: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ(١)، وَغَمْطُ النَّاسِ(٢)»(٣).

---

(١) أي: يتكبر عن الحق ولا يقبله.

ينظر: تهذيب اللغة (١٣/ ٢٢٩)، النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ١٣٥) مادة (بطر).

(٢) أي: احتقار الناس وازدراؤهم والاستهانة بهم.

ينظر: غريب الحديث لابن سلام (٣/ ٣١٤)، النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٣٨٧) مادة (غمط).

(٣) أخرجه مسلم(١/ ٩٣) ح (٩١).

النوع الثاني: الاستهزاء بهم بسبب ما لديهم من علم وطاعة لله ورسوله، فهذا كفر لأنه استهزاء بدين الله.

ولما كان الاستهزاء من العلماء والصالحين محتملاً للنوعين فقد وقع فيه الخلاف، وبهذا التفريق يزول الإشكال.

أما كون النوع الثاني من الاستهزاء ينقض الإيمان فلعدة أسباب:

١- **لأن الله تعالى جعل الاستهزاء بالمؤمنين استهزاء بالله تعالى وآياته ورسوله صلى الله عليه وسلم**، وفي فتاوى اللجنة الدائمة: "من يستهزئ بالمسلمة أو المسلم من أجل تمسكه بالشريعة الإسلامية فهو كافر، سواء كان ذلك في احتجاب المسلمة احتجاباً شرعياً أم في غيره؛ لما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «قال رجل في غزوة تبوك في مجلس: ما رأيت مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطوناً، ولا أكذب ألسناً، ولا أجبن عند اللقاء، فقال رجل: كذبت ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل القرآن، فقال عبد الله بن عمر: وأنا رأيته متعلقاً بحقب ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم تنكبه الحجارة وهو يقول: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦](١)، فجعل استهزاءه بالمؤمنين استهزاء بالله وآياته ورسوله"(٢).

قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ

(١) وهذا الحديث أورده ابن جرير في تفسيره(١١/ ٥٤٣ ت التركي)، وابن أبي حاتم في تفسيره(٦/ ١٨٢٩)، وقال صاحب الجامع الكامل في الحديث الصحيح الشامل المرتب على أبواب الفقه (١٠/ ٣٨٨): «وإسناده حسن من أجل هشام بن سعد؛ فإنه حسن الحديث». والله أعلم.

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة – المجموعة الأولى (٢/ ٢٥).

وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦].

وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة: «سب الدين والاستهزاء بشيء من القرآن والسنة والاستهزاء بالمتمسك بهما نظراً لما تمسك به كإعفاء اللحية وتحجب المسلمة هذا كفر إذا صدر من مكلف، وينبغي أن يبين له أن هذا كفر، فإن أصر بعد العلم فهو كافر، قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾»(١).

٢- **ذكر الله من أسباب دخول النار والخلود فيها الاستهزاء بالمؤمنين،** فعندما ينادي أهل النار قائلين: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٧]. فيجيبهم الله مبيناً سبب خلودهم في النار: ﴿قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ۝١٠٨ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝١٠٩ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٨-١١٠].

قال الشنقيطي رحمه الله: «قد تقرر في الأصول في مسلك الإيماء والتنبيه أن "إن" المكسورة المشددة من حروف التعليل، كقولك: عاقبه إنه مسيء، أي: لأجل إساءته. وقوله في هذه الآية: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى ﴾الآيتين. يدل فيه لفظ "إن" المكسورة المشددة على أن من الأسباب التي أدخلتهم النار هو استهزاؤهم، وسخريتهم من هذا الفريق المؤمن الذي يقول: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾، فالكفار يسخرون من ضعفاء المؤمنين في الدنيا حتى ينسيهم ذلك ذكر الله، والإيمان به فيدخلون بذلك النار»(٢).

٣- أن الاستهزاء بالعلماء والصالحين لأجل ما هم عليه من العلم الشرعي واتباعهم

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة - المجموعة الأولى (٢/ ٢٤).

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٥/ ٩٠٤-٩٠٥ ط عطاءات العلم).

للقرآن والسنة الصحيحة، هو في حقيقته استهزاء بالله وآياته وسخرية بشرعه وهذا مما يناقض الإيمان.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [الجاثية: ٩].

ولم يجيء ذكر العذاب المهين في القرآن إلا في حق الكفار(١).

قال ابن حزم رحمه الله: «وصح بالنص أن كل من استهزأ بالله تعالى أو بملك من الملائكة أو بنبي من الأنبياء عليهم السلام أو بآية من القرآن أو بفريضة من فرائض الدين فهي كلها آيات الله تعالى بعد بلوغ الحجة إليه فهو كافر»(٢).

وقال القرطبي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا﴾ [المؤمنون: ١١٠] ﴿حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى﴾ [المؤمنون: ١١٠]"أي حتى اشتغلتم بالاستهزاء بهم عن ذكري. ﴿وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٠] استهزاء بهم، وأضاف الإنساء إلى المؤمنين لأنهم كانوا سبباً لاشتغالهم عن ذكره، وتعدي شؤم استهزائهم بالمؤمنين إلى استيلاء الكفر على قلوبهم. ﴿إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ﴾ [المؤمنون: ١١١] على أذاكم، وصبروا على طاعتي، ﴿أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [المؤمنون: ١١١]... ويستفاد من هذا: التحذير من السخرية والاستهزاء بالضعفاء والمساكين والاحتقار لهم، والإزراء عليهم والاشتغال بهم فيما لا يغني، وأن ذلك مبعد من الله عز وجل"(٣).

وسئل ابن باز رحمه الله «ما حكم من يستهزئ بالمؤمنين المتمسكين بالسنة؟ وخاصة موضوع اللحية، ويقول أيضاً: أولئك الذين يرفعون الثوب إلى الكعبين؟

فأجاب رحمه الله: "الاستهزاء من أقبح الكبائر، ومن أقبح الشرور، لا يجوز الاستهزاء بالمسلم، فيما فعله من الشرع، وإذا استهزأ بالدين قصده أن هذا الشرع ليس بشيء أو أنه هزئ بنوع من العبادات صار كافراً، نعوذ بالله، يقول الله جل وعلا: ﴿قُلْ

(١) ينظر: الصارم المسلول على شاتم الرسول (ص٥٢).

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٣/ ١٤٢).

(٣) تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن (١٢/ ١٥٥).

أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْۚ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦]، فالاستهزاء بالصلاة أو باللحى أو غير المسبلين، أو بالصيام أو بالحج، يكون كفراً، ردة عن الإسلام، إذا كان قصده الاستهزاء بالشرع. أما إذا كان قصده الإنسان نفسه، وليس قصده اللحية، بل استهزأ بمشيته أو سوء تصرفه هذا لا يجوز، لكن لا يكون كفرا. أما إذا كان قصده استنكار اللحية، واستقباح عمله، أو استقباح منع الإسبال فهذا كفر، يعني استهزاء بالشرع، فالواجب الحذر من هذا الأمر العظيم، يعني خطير، يجب الحذر منه، فلا يجوز الاستهزاء بشيء من الشرع، لا باللحى ولا بمنع الإسبال ولا بالصلاة ولا بالصوم ولا بغير ذلك، يجب على المؤمن أن يخضع لشرع الله، وأن يؤمن به، وأن يعظمه، وألا يستهزئ به، نسأل الله العافية»(١).

وسئل ابن عثيمين: عن حكم من يسخر بالملتزمين بدين الله ويستهزئ بهم؟

فأجاب رحمه الله بقوله: "هؤلاء الذين يسخرون بالملتزمين بدين الله المنفذين لأوامر الله فيهم نوع نفاق؛ لأن الله قال عن المنافقين: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٧٩]. ثم إن كانوا يستهزئون بهم من أجل ما هم عليه من الشرع فإن استهزاءهم بهم استهزاء بالشريعة، والاستهزاء بالشريعة كفر، أما إذا كانوا يستهزئون بهم يعنون أشخاصهم وزيهم بقطع النظر عما هم عليه من اتباع السنة فإنهم لا يكفرون بذلك؛ لأن الإنسان قد يستهزئ بالشخص نفسه بقطع النظر عن عمله وفعله، لكنهم على خطر عظيم»(٢).

---

(١) فتاوى نور على الدرب لابن باز بعناية الشويعر (٤/ ١٧٢-١٧٣).

(٢) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٢/ ١٥٨).

المبحث الثالث: ترك العمل بالكلية ناقض من نواقض الإيمان[1]، وفيه ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: الأدلة على أن ترك العمل الظاهر بالكلية ناقض للإيمان، وفيه مسألتان.

المسألة الأولى: مفهوم التلازم بين الظاهر والباطن.

ومعنى التلازم بين الظاهر والباطن: ارتباط الظاهر بالباطن وتأثير كل منهما في الآخر، بحيث يستحيل وجود إيمان صحيح في الباطن من غير أن يظهر موجبه ومقتضاه على أعمال الجوارح قولاً وعملاً، فالعمل الظاهر لازم للإيمان الباطن لا ينفك عنه، فيستدل بنتفاء العمل الظاهر بالكلية على فساد الباطن.

وقال ابن تيمية رحمه الله في بيان هذا التلازم: «وإذا قام بالقلب التصديق به والمحبة له لزم ضرورة أن يتحرك البدن بموجب ذلك من الأقوال الظاهرة؛ والأعمال الظاهرة فما يظهر على البدن من الأقوال والأعمال هو موجب ما في القلب ولازمه؛ ودليله ومعلوله كما أن ما يقوم بالبدن من الأقوال والأعمال له أيضا تأثير فيما في القلب. فكل منهما يؤثر في الآخر لكن القلب هو الأصل، والبدن فرع له والفرع يستمد من أصله، والأصل يثبت ويقوى بفرعه»[2].

وقال أيضاً: «ثم إنه إذا تحقق القلب بالتصديق والمحبة التامة المتضمنة للإرادة لزم وجود الأفعال الظاهرة، فإن الإرادة الجازمة إذا اقترنت بها القدرة التامة لزم وجود المراد قطعاً، وإنما ينتفي وجود الفعل لعدم كمال القدرة أو لعدم كمال الإرادة، وإلا فمع كمالها يجب وجود الفعل الاختياري»[3].

---

(١) ينظر: حقيقة الإيمان ونواقضه(٦٣٩-٦٥٦)، الإيمان عند السلف وعلاقته بالعمل(٣١٥-٣٣٣).

(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ٥٤١).

(٣) مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٧٢).

وقال رحمه الله: "ما يقوم بالقلب من تصديق، وحب الله ورسوله، وتعظيم، لا بد أن يظهر على الجوارح، وكذلك بالعكس، ولهذا يستدل بانتفاء اللازم الظاهر على انتفاء الملزوم الباطن...فإن الإرادة التي في القلب مع القدرة توجب فعل المراد، والسفر في غزوة بعيدة لا يكون إلا بعدة»(١).

المسألة الثانية: الأدلة على التلازم بين الظاهر والباطن.

١- قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

قال ابن تيمية رحمه الله: «ولما كانت الأقوال والأعمال الظاهرة لازمة ومستلزمة للأقوال والأعمال الباطنة كان يستدل بها عليها، كما في قوله تعالى ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ﴾ فأخبر أن من كان مؤمناً بالله واليوم الآخر لا يوجدون موادين لأعداء الله ورسوله، بل نفس الإيمان ينافي مودتهم، فإذا حصلت الموادة دل ذلك على خلل الإيمان وكذلك قوله: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَـٰلِدُونَ﴾ [المائدة: ٨٠]»(٢).

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (٦/ ٤٨٧-٤٨٩).

(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ٥٤٢).

٢- وقال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ [المائدة: ٨١].

فالإيمان في الباطن يستلزم عدواة الكافرين وترك موالاتهم في الظاهر.

٣- وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً﴾ [التوبة: ٤٦].

«فإذا وجدت الإرادة الجازمة مع القدرة، لزم أن يوجد المراد، وتخلف المراد هنا، وهو إعداد العدة للسفر، يدل على انتفاء إرادة الخروج[1].

قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً﴾ [التوبة: ٤٦]" أي لو أرادوا الجهاد لتأهبوا أهبة السفر، فتركهم الاستعداد دليل على إرادتهم التخلف»[2].

٤- قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

قال الشنقيطي رحمه الله: «يؤخذ من هذه الآية الكريمة أن علامة المحبة الصادقة لله ورسوله صلى الله عليه وسلم هي اتباعه صلى الله عليه وسلم، فالذي يخالفه ويدعي أنه يحبه فهو كاذب مفتر؛ إذ لو كان محباً له لأطاعه، ومن المعلوم عند العامة أن المحبة تستجلب الطاعة، ومنه قول الشاعر:

لو كان حبك صادقاً لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع»[3].

وقال ابن القيم رحمه الله: «فأصلُ العبادة: محبّةُ الله، بل إفرادُه بالمحبّة، وأن يكون الحبُّ كلُّه لله، فلا يُحِبُّ معه سواه، وإنّما يُحِبُّ ما يحبُّه لأجله وفيه، كما يُحِبُّ أنبياءَه

---

(١) الموسوعة العقدية (٧/ ١٢١ بترقيم الشاملة آليا).

(٢) تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن (٨/ ١٥٦).

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١/ ٣٢٧ ط عطاءات العلم).

ورسلَه وملائكتَه وأولياءه. فمحبّتنُا لهم من تمام محبّته، وليست محبّةً معه كمحبَّة من يتّخذ من دون الله أندادًا يحبُّهم كحبِّه.

وإذا كانت المحبّة له هي حقيقة عبوديّته وسرّها، فهي إنّما تتحقَّق باتِّباع أمره واجتناب نهيه. فعندَ اتِّباع الأمر والنّهي تتبيَّن حقيقةُ العبوديّة والمحبّة. ولهذا جعل سبحانه اتِّباعَ رسوله صلى الله عليه وسلم عَلَمًا عليها، وشاهدًا لمن ادَّعاها، فقال تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، فجعَل اتِّباعَ رسوله مشروطًا بمحبّتهم لله، وشرطًا لمحبّة الله لهم. ووجودُ المشروط ممتنعٌ بدون تحقُّق شرطه، فعُلِمَ انتفاءُ المحبّة عند انتفاء المتابعة. فانتفاءُ محبّتهم لله لازمٌ لانتفاء المتابعة لرسوله، وانتفاءُ المتابعة ملزومٌ لانتفاء محبّة الله لهم، فيستحيل إذًا ثبوتُ محبّتهم لله، وثبوتُ محبّة الله لهم بدون المتابعة لرسوله صلى الله عليه وسلم. ودلَّ على أنّ متابعة الرَّسول هي حبُّ الله ورسوله وطاعةُ أمره»[1].

وقال ابن كثير رحمه الله: «هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله، وليس هو على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر، حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأحواله...وقال الحسن البصري وغيره من السلف: زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية، فقال: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾»[2].

(١) مدارج السالكين (١/ ١٥١-١٥٢ ط عطاءات العلم).

(٢) تفسير ابن كثير - ت السلامة (٢/ ٣٢).

٥- ومن أعظم الأدلة على التلازم بين الظاهر والباطن قوله ﷺ:«أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ»[1].

قال ابن تيمية رحمه الله: «فبين أن صلاح القلب مستلزم لصلاح الجسد فإذا كان الجسد غير صالح دل على أن القلب غير صالح والقلب المؤمن صالح فعلم أن من يتكلم بالإيمان ولا يعمل به لا يكون قلبه مؤمنا حتى إن المكره إذا كان في إظهار الإيمان فلا بد أن يتكلم مع نفسه وفي السر مع من يأمن إليه ولا بد أن يظهر على صفحات وجهه وفلتات لسانه كما قال عثمان. وأما إذا لم يظهر أثر ذلك لا بقوله ولا بفعله قط فإنه يدل على أنه ليس في القلب إيمان»[2].

وقال الحسن البصري رحمه الله: «إن الإيمان ليس بالتحلي ولا بالتمني، إنما الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل»[3].

وقال حافظ الحكمي رحمه الله: «ومحال أن ينتفي انقياد الجوارح بالأعمال الظاهرة مع ثبوت عمل القلب، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ».

ومن هنا يتبين لك أن من قال من أهل السنة في الإيمان: هو التصديق على ظاهر اللغة، أنهم إنما عنوا التصديق الإذعاني المستلزم للانقياد ظاهراً وباطناً بلا شك، لم يعنوا مجرد التصديق»[4].

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٢٠) ح (٥٢)، ومسلم (٣/ ١٢١٩) ح (١٥٩٩).

(٢) مجموع الفتاوى (١٤/ ١٢١).

(٣) مصنف ابن أبي شيبة (١٧/ ٢٩ ت الشثري).

(٤) معارج القبول بشرح سلم الوصول (٢/ ٥٩٤).

المطلب الثاني: إجماع أهل السنة على أن العمل جزء لا يصح الإيمان إلا به.

يقول الإمام البخاري رحمه الله: "كتبتُ عن ألف نفر من العلماء وزيادة، ولم أكتب إلا عمن قال: الإيمان قول وعمل، ولم أكتب عمن قال: الإيمان قول"(١).

وقد نقل الحافظ ابن عبد البر رحمه الله الإجماع على ذلك، فقال: "أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل"(٢).

ونقل اللالكائي هذا القول عن الكثير من السلف، ومنهم: "أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم قال: سألت أبي وأبا زرعة عن مذاهب أهل السنة في أصول الدين، وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار، وما يعتقدان من ذلك، فقالا: "أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازًا وعراقًا وشامًا ويمنًا، فكان من مذهبهم: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص"(٣).

قال ابن كثير رحمه الله: «بل قد حكاه الشافعي وأحمد بن حنبل وأبو عبيد وغير واحد إجماعاً: أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص»(٤).

وقال الشافعي رحمه الله: «وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ممن أدركناهم أن الإيمان قول وعمل ونية، لا يجزئ واحد من الثلاثة إلا بالآخر»(٥).

وقال الحميدي رحمه الله: "وأخبرت أن ناساً يقولون: " من أقر بالصلاة والزكاة والصوم والحج ولم يفعل من ذلك شيئا حتى يموت، أو يصلي مستدبر القبلة حتى يموت فهو مؤمن، ما لم يكن جاحداً... إذا كان يقر بالفرائض واستقبال القبلة، فقلت: هذا الكفر الصراح وخلاف

(١) سبق نقله عن الإمام البخاري ص (١٠٢).

(٢) التمهيد (٩/ ٢٣٨) لابن عبد البر.

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٩٨).

(٤) تفسير ابن كثير – ت السلامة (١/ ١٦٥).

(٥) نقله عنه في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٥/ ٩٥٧).

كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وفعل المسلمين قال الله عز وجل: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ﴾ [البينة: ٥].

قال حنبل، قال: سمعت أبا عبد الله يعني أحمد بن حنبل يقول: «من قال هذا، فقد كفر بالله ورد على الله أمره وعلى الرسول ما جاء به»(١).

وقال الآجري رحمه الله: «بل نقول والحمد لله قولاً يوافق الكتاب والسنة، وعلماء المسلمين الذين لا يستوحش من ذكرهم، وقد تقدم ذكرنا لهم: إن الإيمان معرفة بالقلب تصديقا يقينا، وقول باللسان، وعمل بالجوارح، ولا يكون مؤمنا إلا بهذه الثلاثة، لا يجزئ بعضها عن بعض، والحمد لله على ذلك»(٢).

وقال أيضاً: «اعملوا رحمنا الله وإياكم أن الذي عليه علماء المسلمين أن الإيمان واجب على جميع الخلق، وهو تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح، ثم اعلموا أنه لا تجزئ المعرفة بالقلب والتصديق إلا أن يكون معه الإيمان باللسان نطقاً، ولا تجزيء معرفة بالقلب، ونطق باللسان، حتى يكون عمل بالجوارح، فإذا كملت فيه هذه الثلاث الخصال: كان مؤمناً دل على ذلك القرآن، والسنة، وقول علماء المسلمين... ولا ينفع القول إذ لم يكن القلب مصدقاً بما ينطق به اللسان مع العمل، فاعلموا ذلك، وأما فرض الإيمان باللسان، فقوله تعالى في سورة البقرة ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ﴾ [البقرة: ١٣٦-١٣٧] الآية، وقال تعالى من سورة آل عمران: ﴿قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٥/ ٩٥٧).

(٢) الشريعة للآجري (٢/ ٦٨٦).

عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ [آل عمران: ٨٤] الآية وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وأني رسول الله» وذكر الحديث، فهذا الإيمان باللسان نطقاً فرضاً واجباً، وأما الإيمان بما فرض على الجوارح تصديقا بما آمن به القلب، ونطق به اللسان: فقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧]، وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣] في غير موضع من القرآن، ومثله فرض الصيام على جميع البدن، ومثله فرض الجهاد بالبدن، وبجميع الجوارح فالأعمال رحمكم الله بالجوارح: تصديق عن الإيمان بالقلب واللسان، فمن لم يصدق الإيمان بعمله وبجوارحه: مثل الطهارة، والصلاة والزكاة، والصيام والحج والجهاد، وأشباه لهذه ورضي من نفسه بالمعرفة والقول لم يكن مؤمناً، ولم ينفعه المعرفة والقول، وكان تركه للعمل تكذيباً منه لإيمانه، وكان العمل بما ذكرناه تصديقاً منه لإيمانه، وبالله التوفيق»(١).

وقال ابن تيمية رحمه الله في معرض الاستدلال على كفر تارك الصلاة: «الإيمان عند أهل السنة والجماعة قول وعمل، كما دلَّ عليه الكتاب والسنة، وأجمع عليه السلف، على ما هو مقرَّر في موضعه. فالقولُ تصديق الرسول، والعملُ تصديق القول؛ فإذا خلا العبد عن العمل بالكلِّية لم يكن مؤمنًا. والقولُ الذي يصير به مؤمنًا قول مخصوص، وهو الشهادتان، فكذلك العمل هو الصلاة...وأيضًا فإنَّ حقيقة الدين هو الطاعة والانقياد، وذلك إنما يتمُّ بالفعل، لا بالقول فقط. فمن لم يفعل لله شيئًا فما دان لله دينًا، ومن لا دين له فهو كافر»(٢).

«فأهل السنة مجمعون على أنه متى زال عمل القلب فقط أو هو مع عمل الجوارح زال الإيمان بكليته وإن وجد مجرد التصديق، فلا ينفع مجرداً عن عمل القلب والجوارح معاً أو أحدهما،

---

(١) الشريعة للآجري (٢/ ٦١١-٦١٥).

(٢) شرح عمدة الفقه - ابن تيمية - ط عطاءات العلم (٢/ ٨١-٨٢).

كما لم ينفع إبليس وفرعون وقومه واليهود والمشركين الذين كانوا يعتقدون صدق الرسول صلى الله عليه وسلم سراً وجهراً»(١).

وقال عبد الرحمن بن حسن رحمه الله: «قوله: " من شهد أن لا إله إلا الله " أي من تكلم بها عارفاً لمعناها، عاملاً بمقتضاها، باطناً وظاهراً، فلا بد في الشهادتين من العلم واليقين والعمل بمدلولها; كما قال الله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، وقوله: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦].

أما النطق بها من غير معرفة لمعناها ولا يقين ولا عمل بما تقتضيه: من البراءة من الشرك، وإخلاص القول والعمل: قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح فغير نافع بالإجماع»(٢).

وقال محمد بن إبراهيم رحمه الله: «بل إجماع بين أهل العلم (أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل) فلابد من الثلاثة؛ لابد أن يكون هو المعتَقَد في قلبه، ولابد أن يكون هو الذي ينطق به لسانه، ولابد أن يكون هو الذي تعمل به جوارحه (فإن اختل شيء من هذا) لو وحَّد بلسانه دون قلبه ما نفعه توحيده، ولو وحد بقلبه وأركانه دون لسانه ما نفعه ذلك، ولو وحد بأركانه دون الباقي (لم يكن الرجل مسلماً) هذا إجماع أن الإنسان لابد أن يكون موحداً باعتقاده ولسانه وعمله»(٣).

---

(١) التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق (ص١٣٩).

(٢) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص٣٥).

(٣) شرح كشف الشبهات لمحمد بن إبراهيم آل الشيخ (ص١٢٦).

المطلب الثالث: أقوال أهل العلم في بيان منزلة أعمال الجوارح من الإيمان.

لا ينفع اعتقاد بالقلب بدون عمل الجوارح، فالأعمال جزء من الإيمان، والإيمان لا يصح ولا يستقيم بدونها، ودونك بعض أقوال أهل العلم في بيان أن أعمال الجوارح من الإيمان.

١- قال سعيد بن جبير رحمه الله: «لا يقبل قول إلا بعمل ، ولا يقبل عمل إلا بقول ، ولا يقبل قول وعمل إلا بنية ، ولا يقبل قول وعمل ونية إلا بنية موافقة للسنة»(١).

٢- وقال الحسن البصري رحمه الله: «الإيمان قول ، ولا قول إلا بعمل ، ولا قول وعمل إلا بنية ، ولا قول وعمل ونية إلا بسنة»(٢).

٣- وقال الأوزاعي رحمه الله: «لا يستقيم الإيمان إلا بالقول، ولا يستقيم الإيمان والقول إلا بالعمل، ولا يستقيم الإيمان والقول والعمل إلا بنية موافقة للسنة ، وكان من مضى من سلفنا لا يفرقون بين الإيمان والعمل، والعمل من الإيمان ، والإيمان من العمل. وإنما الإيمان اسم يجمع هذه الأديان اسمها ، ويصدقه العمل ، فمن آمن بلسانه وعرف بقلبه ، وصدق بعمله ، فتلك العروة الوثقى التي لا انفصام لها ، ومن قال بلسانه ، ولم يعرف بقلبه ، ولم يصدقه بعمله ، لم يقبل منه ، وكان في الآخرة من الخاسرين»(٣).

٤- سئل سفيان بن عيينة رحمه الله عن الإرجاء، فقال: " يقولون: الإيمان قول، ونحن نقول الإيمان قول وعمل والمرجئة أوجبوا الجنة لمن شهد أن لا إله إلا الله مصراً بقلبه على ترك الفرائض، وسموا ترك الفرائض ذنباً بمنزلة ركوب المحارم وليس بسواء لأن ركوب المحارم من غير استحلال معصية، وترك الفرائض متعمداً من غير جهل

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ٦٤).

(٢)الإبانة الكبرى – ابن بطة (٢/ ٨٠٣).

(٣) الإبانة الكبرى – ابن بطة (٢/ ٨٠٧).

ولا عذر هو كفر، وبيان ذلك في أمر آدم صلوات الله عليه وإبليس وعلماء اليهود، أما آدم فنهاه الله عز وجل عن أكل الشجرة وحرمها عليه فأكل منها متعمداً ليكون ملكاً أو يكون من الخالدين فسمي عاصياً من غير كفر، وأما إبليس لعنه الله فإنه فرض عليه سجدة واحدة فجحدها متعمداً فسمي كافراً، وأما علماء اليهود فعرفوا نعت النبي صلى الله عليه وسلم وأنه نبي رسول كما يعرفون أبناءهم وأقروا به باللسان ولم يتبعوا شريعته فسماهم الله عز وجل كفاراً، فركوب المحارم مثل ذنب آدم عليه السلام وغيره من الأنبياء، وأما ترك الفرائض جحودا فهو كفر مثل كفر إبليس لعنه الله، وتركهم على معرفة من غير جحود فهو كفر مثل كفر علماء اليهود والله أعلم»[١].

٥- قال ابن بطة رحمه الله: «الإيمان قول وعمل ، وأن من صدق بالقول وترك العمل كان مكذباً، وخارجاً من الإيمان ، وأن الله لا يقبل قولاً إلا بعمل ، ولا عملاً إلا بقول»[٢].

٦- قال حافظ الحكمي رحمه الله كما سبق: «ومحال أن ينتفي انقياد الجوارح بالأعمال الظاهرة مع ثبوت عمل القلب، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ»، ومن هنا يتبين لك أن من قال من أهل السنة في الإيمان: هو التصديق على ظاهر اللغة، أنهم إنما عنوا التصديق الإذعاني المستلزم للانقياد ظاهراً وباطناً بلا شك، لم يعنوا مجرد التصديق»[٣].

---

(١) السنة لعبد الله بن أحمد (١/ ٣٤٧).

(٢) الإبانة الكبرى – ابن بطة (٢/ ٧٩٥).

(٣) معارج القبول بشرح سلم الوصول (٢/ ٥٩٤).

٧- قال ابن عثيمين رحمه الله: "لابد أن يكون الإنسان موحداً بقلبه وقوله وعمله فإن كان موحداً بقلبه ولكنه لم يوحد بقوله أو بعمله فإنه غير صادق في دعواه، لأن توحيد القلب يتبعه توحيد القول والعمل لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ»، فإذا وحد الله- كما زعم- بقلبه ولكنه لم يوحده بقوله أو فعله، فإنه من جنس فرعون الذين كان مستيقناً بالحق عالماً به لكنه أصر وعاند وبقي على ما كان عليه من دعوى الربوبية"[١].

(١) شرح كشف الشبهات ويليه شرح الأصول الستة (ص١٠٠).

الفصل الخامس: مقتضيات الشهادتين وآثارهما العامة على أمة الإسلام، وفيه تمهيد وعدة مباحث.

تمهيد:

بعد أن تم ذكر مقتضيات الشهادتين الخاصة من خلال الشروط واللوازم والمقتضيات، ننتقل الآن إلى المقتضيات والآثار العامة للشهادتين على مجموع أمة الإسلام، ولا شك أن للشهادتين آثاراً عظيمة على الأمة عامة، وذلك إذا حققت الشروط واللوازم والمقتضيات الخاصة واجتنبت نواقضها، وهذا ما سيتضح بإذن الله من خلال المباحث الآتية:

المبحث الأول: اجتماع كلمة المسلمين وتوحد صفهم.

وهذا من أعظم آثار الشهادتين على الأمة؛ لأنه لا تجتمع كلمة الأمة ويتوحد صفها إلا بتحقيق كلمة التوحيد، والله الذي يؤلف بين القلوب إذا تحقق التوحيد كما قال تعالى ممتناً على رسوله ﷺ: ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٦٢ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ [الأنفال: ٦٢-٦٣].

وأمر الله الأمة بالاعتصام بكتاب الله وسنة نبيه، وأساس هذا البناء الذي يقوم عليه ولا يتم إلا به التوحيد والاتباع للنبي صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا﴾ [النساء: ١٧٥].

وقال صلى الله عليه وسلم عن أمة الإسلام في وصفها: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»(١)، وهذه ثمرة من ثمرات تحقيق التوحيد في حياة الأمة.

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾ [الحجرات: ١٠] الآية.

وعَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»(٢).

ويوم تحصل هذه المعاني في القلوب ترى الأمة صفاً واحداً وكأنهم بنيان مرصوص، فلا يجد الأعداء مجالاً للتفريق بينهم، وهكذا كلما قويت العقيدة في القلوب قويت شوكة الأمة وتوحد صفها واتحدت كلمتها، وصارت أمة قوية مرهوبة الجانب يحسب لها عدوها ألف حساب.

وما يحصل في الأمة من التفرق والاختلاف من أعظم أسبابه الخلل في عقيدة التوحيد ومخالفة مقتضيات الشهادتين، قال تعالى محذراً الأمة من ذلك: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ۝٥٢ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٢-٥٣].

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٩٩) ح (٢٥٨٦).

(٢) أخرجه البخاري (١/ ١٢)ح(١٣)، ومسلم (١/ ٤٩)ح(٤٥).

وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾ [الأنفال: ٤٦].

المبحث الثاني: النصر والتمكين في الأرض.

وعد من الله لمن سلم توحيده من الشرك أن ينصره ويمكن له في الأرض كما قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ﴾ [النور: ٥٥].

«فربط سبحانه حصول هذه المطالب العالية بعبادته وحده لا شريك له الذي هو معنى ومقتضى لا إله إلا الله»(١)، وهذا النصر والتمكين للأمة في الأرض لا يتحقق إلا بتحقيق مقتضيات ولوازم الشهادتين واجتناب نواقضهما.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد: ٧]، فالنصر مرتبط بتحقيق التوحيد والسلامة من الشرك، قال مقاتل في معنى هذه الآية: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ﴾ حتى يُوحّد ﴿يَنصُرۡكُمۡ﴾ على عدوكم ﴿وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ فلا تزول عند اللقاء عن التوحيد، وقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «نُصِرتُ بالرّعب مسيرة شهر»، فما ترك التوحيد قوم إلا سقطوا من عين الله وسلط الله عليهم السبي"(٢).

ولما حصل الخلل في المجموع من الأمة في فهم الشهادتين وتحقيق مقتضياتهما، ووقع فئام كبير من الأمة في النواقض وقصرت في ذلك، وجد عليها عدوها مدخلاً فتسلط عليها في كثير

---

(١) معنى لا إله إلا الله ومقتضاها وآثارها في الفرد والمجتمع (ص٤٣).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٥٤).

المواطن، وتخلف عنها كثيراً النصر والتمكين في الأرض، ودب الاختلاف والتنازع بين المسلمين، فضعفت شوكتهم وقلت هيبتهم بين الأمم، وعلاج ذلك بالعودة إلى تصحيح الخلل في هذا الأمر العظيم على مستوى الأفراد والمجتمع.

المبحث الثالث: انتشار الأمن في بلاد المسلمين.

وقد ربط الله في كتابه بين التوحيد والأمن والاهتداء التام، فإن من أعظم أسباب حصول الأمن تحقيق التوحيد -الذي هو من أعظم مقتضيات الشهادتين- والسلامة من الشرك الذي هو أعظم الظلم على الإطلاق، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

المبحث الرابع: سلامة الأمة من داء الوهن الذي هو من أعظم أسباب تسلط الأعداء على الأمة، وسببه ضعف عقيدة التوحيد في القلب وتعلق القلب بغير الله وخوفه من غيره، وقد شخص النبي صلى الله عليه وسلم هذا الداء في الحديث، فعن ثوبان ﵁: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا(١)»، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟! قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ(٢)، وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ»، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»(٣).

---

(١) الأَكَلَة: جمع آكِل والمراد من يأكل الطعام. ينظر: المفردات في غريب القرآن (٨١) لسان العرب (١١/ ١٩).
والقصعة: إناء الطعام الضخم الذي يشبع عشرة. ينظر: لسان العرب (٨/ ٢٧٤).

(٢) غثاء السيل: ما يحمله السيل من رغوة وورق الشجر ووسخ ومن فتات الأشياء التي يجدها في مجراه.
ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٣٤٣)، لسان العرب (١٥/ ١١٦)، المعجم الوسيط (٢/ ٦٤٥).

(٣) أخرجه أحمد(٣٧/ ٨٢) ح (٢٢٣٩٧)، وأبو داود واللفظ له (٤/ ١١١) ح (٤٢٩٧)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد بلفظ مقارب (٧/ ٢٨٧) ح (١٢٢٤٤) وقال: "رواه أحمد والطبراني في الأوسط بنحوه، وإسناد أحمد =

وفي هذا الحديث دلالة على أثر عمل القلب على الأمة في مجموعها، إذا غلب عليها تعلق القلوب بحب الدنيا وكراهية الموت في سبيل الله، فعند ذلك يقل قدرها وهيبتها في أعين عدوها، وصار العدو يدعو بعضه بعضًا لحرب الأمة، مثلما يُدْعَى الناس إلى الطعام، لا مشقة في ذلك ولا كلفة بل فيه اللذة.

وذلك مع كثرة الأمة إلا أنها لا رصيد لها في الواقع، وذكر النبي ﷺ سبب ذلك في الحديث: «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ» حثًّا للأمة على علاج الخلل، والله المستعان.

جيد"، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ٦٤٨) ح (٩٥٨)، وحسن إسناده شعيب الأرناؤوط في تحقيقه للمسند (٣٧/ ٨٢) ح (٢٢٣٩٧).

المبحث الخامس: تميز الأمة المسلمة بسمو أخلاقها.

وهذا أثر عظيم من آثار كلمة التوحيد على الأفراد والمجتمعات، فإن كلمة التوحيد تؤسس لأعظم الأخلاق وأحسنها، ودونك إشارات في ذلك:

١- ذكر الله تعالى في كتابه في أكثر من موضع صفات عباده المؤمنين، فوصفهم بسمو الأخلاق وحث ورغب في ذلك، وحذر من صفات السوء.

فمن ذلك من القرآن العظيم على سبيل المثال، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤],

وقال تعالى: ﴿أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلۡمِيثَٰقَ ٢٠ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ ٢١ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ١٩-٢٢]الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ٢٣ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤].

وقال تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ٣ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ٤ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ٦ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ٧ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ٨ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ

يُحَافِظُونَ ۝٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١-١١].

وقال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ۝١٣ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ۝١٤ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝١٥ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ۝١٦ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ۝١٧ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ۝١٨ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٣-١٩].

وقال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ ۝٨ أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ۝٩ عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ أَرَءَيۡتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلۡهُدَىٰٓ ۝١١ أَوۡ أَمَرَ بِٱلتَّقۡوَىٰٓ﴾ [العلق: ٦-١٢].

وقال تعالى: ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ۝٢٢ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ﴾ [محمد: ٢٢-٢٣].

٢- **أثنى الله على نبيه بحسن الخلق في أكثر من الآية بياناً لمكانته صلى الله عليه وسلم وترغيباً لأمته في الاقتداء به**، كما قال تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٢١].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾ [القلم: ٤].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وقال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

٣- **وجاء في السنة الترغيب في حسن الخلق وبيان مكانته، وفي مقابل ذلك حذر أشد التحذير من سوء الخلق، ومن ذلك:**

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «أَثْقَلُ شَيْءٍ فِي الْمِيزَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُلُقٌ حَسَنٌ»(١).

وقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو رضي الله عنهما: قال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ أَحْسَنَكُمْ أَخْلاَقًا»(٢).

وفي رواية أخرى عن عَبْدِ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو رضي الله عنهما: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلاَقًا»(٣).

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ»(٤).

---

(١) أخرجه أحمد (٤٥/ ٥٣٧) ح (٢٧٥٥٥)، وابن حبان في صحيحه (٢/ ٢٣٠) ح (٤٨١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع(١/ ٨٩) ح (١٣٤)، وقال محقق المسند ح (٢٧٥٥٥): "حديث صحيح".

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ٢٨) ح (٣٧٥٩).

(٣) أخرجه البخاري وهذا لفظه (٨/ ١٤) ح (٦٠٣٥)، ومسلم (٤/ ١٨١٠) ح (٢٣٢١).

(٤) أخرجه أحمد(٤٢/ ٣٤٦) ح (٢٥٥٣٧)، وأبو داود (٤/ ٢٥٢) ح (٤٧٩٨)، وابن حبان في صحيحه (٢/ ٢٢٨) ح (٤٨٠)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ٨) ح (٢٦٤٣)، وقال شعيب الأرناؤوط في تحقيقه للمسند (٤٢/ ٣٤٦) ح (٢٥٥٣٧): "حديث صحيح لغيره".

وانظر رحمك الله إلى مكانة الخلق الحسن، وأنه يرفع الله به العبد إلى أعلى درجات عبادة الصيام والقيام، وأن كان مقلاً في هذه النوافل، فحسن الخلق يعوض له عن ذلك، فيرفعه به إلى أعلى مقام العباد، وكفى بهذا دليلاً على مكانة الخلق الحسن عند الله، نسأل الله من فضله.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الجَنَّةَ، فَقَالَ: «تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الخُلُقِ»، وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ، فَقَالَ: «الفَمُ وَالفَرْجُ»(١).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟»، فَسَكَتَ الْقَوْمُ، فَأَعَادَهَا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، قَالَ الْقَوْمُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «أَحْسَنُكُمْ خُلُقًا»(٢).

وانظر يا رعاك الله إلى مكانة الخلق، حيث يسكن أصحابه بجوار الحبيب ﷺ وبالقرب منه في أعلى منازل الجنة، نسأل الله الكريم بمنه وفضله أن يجعلنا من أهل ذلك.

وإن هذا من أعظم ما يدل على مكانة الخلق الحسن في ديننا العظيم، فهي عبادة شريفة القدر والمقدار، فالحديث فيه إشارة أن عبادة الخلق الحسن تفضل على كثير من نوافل العبادات من صلاة وصيام وقيام ونحو ذلك من النوافل، فربط النبي صلى الله عليه وسلم القرب منه في أعلى جنة النعيم في الفردوس الأعلى حيث يسكن النبي صلى الله عليه وسلم بهذه العبادة العظيمة الجليلة القدر والمقدار عبادة حسن الخلق.

---

(١) أخرجه أحمد(١٥/ ٤٧) ح (٩٠٩٦)، والترمذي (٤/ ٣٦٣) ح (٢٠٠٤) وقال: "صحيح غريب"، وابن ماجه (٢/ ١٤١٨) ح (٤٢٤٦)، وابن حبان في صحيحه (٢/ ٢٢٤) ح (٤٧٦)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٦٠) ح (٧٩١٩) وصححه ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٣١٨) ح (١٧٢٣).

(٢) أخرجه أحمد(١١/ ٣٤٧) ح (٦٧٣٥)، وابن حبان في صحيحه (٢/ ٢٣٥) ح (٤٨٥)، وقال في مجمع الزوائد (٨/ ٢١) ح (١٢٦٦٦): "رواه أحمد بإسناد جيد"، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ١٠) ح (٢٦٥٠).

فلنتفقد أنفسنا ونجاهدها على التخلق بالخلق الحسن، لأن من أسباب حصوله مجاهدة النفس عليه حتى يصبح عادة وسجية للعبد، كما في حديث أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: "إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَإِنَّمَا الْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ.."الحديث(١).

ومما يدل على مكانة حسن الخلق وأثره العظيم أنه سبب لدخول الجنة مع قلة النوافل، أو العقوبة بالنار لمن ساء خلقه ولو كثرة نوافله، لكنها لا تنفعه، بسبب سوء خلقه، نسأل الله العافية والسلامة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهَا وَصِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا، غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: «هِيَ فِي النَّارِ»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَإِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ قِلَّةِ صِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا وَصَلَاتِهَا، وَإِنَّهَا تَصَدَّقُ بِالْأَثْوَارِ مِنَ الْأَقِطِ، وَلَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: «هِيَ فِي الْجَنَّةِ»(٢).

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ»(٣).

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ: اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ"(٤).

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٣/ ١١٨) ح(٢٦٦٣)، وتاريخ بغداد ت بشار (٦/ ٤٤٢) ح(٢٩٤٤)، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة(١/ ٦٧٠)ح(٣٤٢)، وضعفه غيره والله أعلم.

(٢) أخرجه أحمد(٢٩/ ٣٣) ح (٩٦٧٤)، وابن حبان في صحيحه (١٣/ ٧٦) ح (٥٧٦٤)، والحاكم في المستدرك(٤/ ١٨٣) ح (٧٣٠٤) وصححه ووافقه الذهبي، ولفظه عند الحاكم: إِنَّ فُلَانَةَ تُصَلِّي اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ وَفِي لِسَانِهَا شَيْءٌ يُؤْذِي جِيرَانَهَا سَلِيطَةٌ، قَالَ: «لَا خَيْرَ فِيهَا هِيَ فِي النَّارِ» وَقِيلَ لَهُ: إِنَّ فُلَانَةَ تُصَلِّي الْمَكْتُوبَةَ وَتَصُومُ رَمَضَانَ وَتَتَصَدَّقُ بِالْأَثْوَارِ وَلَيْسَ لَهَا شَيْءٌ غَيْرُهُ وَلَا تُؤْذِي أَحَدًا، قَالَ: «هِيَ فِي الْجَنَّةِ»، وقال في مجمع الزوائد (٨/ ١٦٩): "رواه أحمد والبزار، ورجاله ثقات"، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٦٨٢) ح (٢٥٦٠).

(٣) أخرجه البخاري (١/ ١١)ح(١٠) واللفظ له، ومسلم بعضه دون قوله:"والمهاجر.." (١/ ٦٥) ح(٤١).

(٤) أخرجه أحمد (٣٥/ ٢٨٤)ح(٢١٣٥٤)، والدارمي(٢/ ٩٢٥) ح(٢٨٢٠)، والترمذي(٤/ ٣٥٥)ح(١٩٨٧) وقال:" حسن صحيح"، والحاكم (١/ ١٢١)ح(١٧٨)وصححه ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٨١)ح(٩٧).

وقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ "[(١)].

ويقُولُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " الحَلَالُ بَيِّنٌ، وَالحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى المُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ: كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ القَلْبُ "[(٢)].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ لَا يَرَى بِهَا بَأْسًا يَهْوِي بِهَا سَبْعِينَ خَرِيفًا فِي النَّارِ»[(٣)].

وعَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»[(٤)].

ويطول الحديث في هذا الموضوع العظيم فنكتفي بما سبق.

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٢٥٩)ح(١٧٣٧)، والترمذي (٤/ ٥٥٨) ح(٢٣١٧) وقال: "حديث غريب"، وابن ماجه (٢/ ١٣١٥) ح(٣٩٧٦)، وابن حبان (١/ ٤٦٦) ح(٢٢٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع(٢/ ١٠٢٧) ح(٥٩١١) وفي غيره، وقال في صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ٩٦)ح(٢٨٨١):"حسن لغيره"، وحسنه بمجموع شواهده الارناؤوط في تعليقه على سنن ابن ماجه(٥/ ١١٩).

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٢٠)ح(٥٢)، ومسلم (٣/ ١٢١٩) ح(١٥٩٩).

(٣) أخرجه أحمد (١٢/ ١٤٩) ح(٧٢١٥)، والترمذي(٤/ ٥٥٧)ح(٢٣١٤) وقال: "حسن غريب"، والحاكم (٤/ ٦٤٠)ح(٨٧٦٩) وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح(١/ ٣٣٤) ح(١٦١٨)، وصححه محقق مسند أحمد (١٢/ ١٤٩).

(٤) أخرجه البخاري (١/ ١٢)ح(١٣)، ومسلم (١/ ٦٧)ح (٤٥).

المبحث السادس: شعور المسلمين بتميزهم بإسلامهم وعزتهم بربهم ودينهم.

فإذا تمكنت لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله من القلوب ورسخت فيها، وعمل بها وبمقتضياتها ولوازمها واجتنبت نواقضها أثمرت في الأمة عزة عظيمة بالله وبدينه، وشعر المسلمون بتميزهم بدينهم وعرفوا طريق العزة به، يقول الله تعالى في بيان هذه المعاني:

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠].

وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [يونس: ٦٥].

وقال تعالى محذراً الأمة في ابتغاء العزة من غير الله وتعلق القلب بغيره في هذه الأمور، وبين أن ذلك من مسالك أهل النفاق: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٨-١٣٩].

وقال تعالى محذراً الأمة من الانكسار أمام أعدائهم: ﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٥].

وقال تعالى تعقيباً على أحداث غزوة أحد بعد ما حدث من خلل في أحداث المعركة أثرت على النفوس: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩-١٤٠].

وقال تعالى في بيان عدم استواء المؤمن مع غيره: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: ٣٤-٣٦].

وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١].

وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٧-٢٨].

فهرس المحتويات

المقدمة ٣
التمهيد، وفيه فضائل كلمة التوحيد. ١٠
المبحث الأول: أثر عمل القلب على معنى كلمة التوحيد، ومجمل عقيدة أهل السنة والجماعة في عمل القلب، وفيه مطلبان.................................. ١٥
المطلب الأول: معنى لا إله إلا الله، وفيه مسائل. ١٥
المسألة الأولى: مدلول كلمة إله.................................. ١٥
المسألة الثانية: معنى لا إله إلا الله. ١٧
المسألة الثالثة: شرح معنى لا إله إلا الله والأدلة عليه. ١٧
المسألة الرابعة: ارتباط معنى لا إله إلا الله وشروطها ولوازمها بالقلب. ٢٠
المسألة الخامسة: بعض المعاني المنحرفة أو القاصرة في معنى كلمة التوحيد... ٢٠
المطلب الثاني: ارتباط الشهادتين بقول القلب وعمله، وقول اللسان وعمله، وفيه مسائل. ٢٣
المسألة الأولى: الإيمان قول وعمل، والأدلة على ذلك. ٢٣
المسألة الثانية: أقوال السلف في أن الإيمان قول وعمل......................... ٢٦
المسألة الثالثة: قول القلب، وعمله. ٢٦
المسألة الرابعة: قول اللسان وعمله. ٢٧
المبحث الثاني: أركان كلمة التوحيد وارتباطها بعمل القلب، وفيه مطلبان. ٢٩
المطلب الأول: ركنا كلمة التوحيد ومعناهما والأدلة عليهما................. ٢٩
المطلب الثاني: ارتباط النفي والإثبات في كلمة التوحيد بعمل القلب....... ٣٥
المبحث الثالث: أثر عمل القلب على شروط لا إله إلا الله، وفيه تمهيد وعدة مطالب. ٣٩
الكلام على شروط لا إله إلا الله مجملة. ٣٩
المطلب الأول: الشرط الأول من شروط لا إله إلا الله: العلم المنافي للجهل، وفيه

ثلاث مسائل.. ٤١
المسألة الأولى :معنى شرط العلم. ٤١
المسألة الثانية: الأدلة على إثبات شرط العلم، وهي كثيرة ومنها. ٤٢
المسألة الثالثة: آثار شرط العلم ولوازمه المتعلقة بعمل القلب. ٤٦
المطلب الثاني: الشرط الثاني من شروط لا إله إلا الله: الإخلاص المنافي للشرك، وفيه ثلاث مسائل.. ٥١
المسألة الأولى :معنى شرط الإخلاص.. ٥١
المسألة الثانية: الأدلة على إثبات شرط الإخلاص كثيرة، منها. ٥٣
المسألة الثالثة: آثار شرط الإخلاص ولوازمه المتعلقة بعمل القلب. ٥٤
المطلب الثالث: الشرط الثالث من شروط لا إله إلا الله: اليقين المنافي للشك، وفيه ثلاث مسائل.. ٦٠
المسألة الأولى :معنى شرط اليقين.. ٦٠
المسألة الثانية: الأدلة على إثبات شرط اليقين. ٦٠
المسألة الثالثة: آثار شرط اليقين ولوازمه المتعلقة بعمل القلب، ومنها....... ٦٢
المطلب الرابع: الشرط الرابع من شروط لا إله إلا الله: القبول المنافي للرد، وفيه ثلاث مسائل.. ٦٤
المسألة الأولى :معنى شرط القبول. ٦٤
المسألة الثانية: الأدلة على إثبات شرط القبول........................ ٦٤
المسألة الثالثة: آثار شرط القبول ولوازمه المتعلقة بعمل القلب، ومنها. ٦٦
المطلب الخامس: من شروط لا إله إلا الله: الانقياد المنافي للترك، وفيه ثلاث مسائل.. ٦٧
المسألة الأولى :معنى شرط الانقياد. ٦٧
المسألة الثانية: الأدلة على إثبات شرط الانقياد........................ ٦٨
المسألة الثالثة: آثار شرط الانقياد ولوازمه المتعلقة بعمل القلب.............. ٦٩
المطلب السادس: من شروط لا إله إلا الله: الصدق المنافي للكذب، وفيه ثلاث

مسائل. ٧١
المسألة الأولى :معنى شرط الصدق. ٧١
المسألة الثانية: الأدلة على إثبات شرط الصدق. ٧١
المسألة الثالثة: آثار شرط الصدق ولوازمه المتعلقة بعمل القلب. ٧٢
المطلب السابع: من شروط لا إله إلا الله: المحبة المنافية لضدها، وفيه ثلاث مسائل.
.... ٧٥
المسألة الأولى :معنى شرط المحبة. ٧٥
المسألة الثانية: الأدلة على إثبات شرط المحبة. ٧٦
المسألة الثالثة: آثار شرط المحبة ولوازمه المتعلقة بعمل القلب. ٨٠
المطلب الثامن: من شروط لا إله إلا الله: الكفر بما يعيد من دون الله المنافي لضده،
وفيه ثلاث مسائل. ٨٢
المسألة الأولى :معنى شرط الكفر بما يعبد من دون الله. ٨٢
المسألة الثانية: الأدلة على إثبات شرط الكفر بما يعبد من دون الله. ٨٣
المسألة الثالثة: آثار شرط الكفر بما يعبد من دون الله ولوازمه المتعلقة بعمل القلب.
.... ٨٥
الفصل الثاني: شهادة أن محمداً رسول الله وما يتعلق بها من معاني وأركان ومقتضيات،
وفيه عدة مباحث. ٨٦
المبحث الأول : شهادة أن محمداً عبده ورسوله معناها وأركانها، وفيه مطلبان. ٨٦
المطلب الأول: معنى شهادة أن محمداً رسول الله. ٨٦
المطلب الثاني: أركان شهادة أن محمداً عبده ورسوله وأثرها على عمل القلب،
وفيه عدة مسائل. ٨٨
المسألة الأولى : أركان شهادة أن محمداً رسول الله. ٨٨
المسألة الثانية: الأدلة على هذين الركنين. ٨٨
المسألة الثالثة: أثر هذين الركنين(عبد الله ورسوله) على عمل القلب. ٩٠
المبحث الثاني: مقتضيات شهادة أن محمداً رسول ﷺ ولوازمها، وفيه تمهيد وعدة مطالب.

.... ٩٣
تمهيد.. ٩٣
المطلب الأول: الإيمان باصطفاء الله تعالى واختياره لنبيه ﷺ للنبوة والرسالة. ٩٥
المطلب الثاني: الإيمان بعموم رسالته ﷺ. ٩٨
المطلب الثالث: الإيمان بأنه خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ. ١٠٠
المطلب الرابع: الإيمان بعصمته ﷺ............................ ١٠٢
المطلب الخامس: الإيمان بأنه بلغ الرسالة ﷺ أتم بلاغ وأكمله........... ١٠٤
المطلب السادس: تصديقه ﷺفيما أخبر. ١٠٦
المطلب السابع: طاعته ﷺ والانقياد التام والاستسلام الكامل لأمره ﷺ من غير معارضة ولا ممانعة. ١٠٧
المطلب الثامن: اجتناب ما نهى عنه وزجر. ١١٠
المطلب التاسع: ألا يعبد الله إلا بما شرع ﷺ. ١١١
المبحث الثالث: معرفة حقوقه ﷺ والاجتهاد في القيام بها خير قيام، وفيه مطالب.١١٤
المطلب الأول: وجوب محبته ﷺ محبة تفوق النفس والوالد والولد والمال والناس جميعاً وفيه مسائل. ١١٤
المسألة الأولى: النصوص الدالة على وجوب محبته صلى الله عليه وسلم. ..١١٤
المسألة الثانية: ثمرات محبته صلى الله عليه وسلم كثيرة، ومنها. ١١٥
المسألة الثالثة: علامات محبته ﷺ.................................. ١١٦
المطلب الثاني: وجوب تعزيره وتوقيره وتعظيمه ﷺ ونصرته.............. ١١٨
المطلب الثالث: الصلاة والسلام عليه ﷺ. ١٢٠
الفصل الثالث: وجوب الحذر من الغلو فيه ﷺ وتجاوز الحد الذي شرعه الله، وفيه تمهيد ومباحث. ١٢٣
التمهيد.. ١٢٣
النصوص في التحذير من الغلو بكل أنواعه. ١٢٣
المبحث الأول: وجوب الحذر من الغلو فيه ﷺ وتجاوز الحد الذي شرعه الله، وفيه تمهيد

ومطلبان..١٢٥
التمهيد..١٢٥
المطلب الأول: النصوص الدالة على التحذير من عبادة غير الله من الأنبياء وغيرهم...١٢٥
المطلب الثاني: الفرق بين ما هو حق خاص لله تعالى وما هو حق للرسول ﷺ. ١٣٠
المبحث الثاني: تحذيره صلى الله عليه وسلم لأمته من كل أسباب الغلو فيه وفي غيره، وفيه مطلبان..١٣٢
المطلب الأول: تحذيره لأمته صلى الله عليه وسلم من أسباب الغلو والشرك. ١٣٢
المطلب الثاني: ما قاله عن نفسه ﷺ في التحذير من الغلو فيه...........١٣٧
المبحث الثالث : نماذج من الغلو الذي حصل في شأن النبي ﷺ، وفيه تمهيد وعدة مطالب. ١٣٨
تمهيد..١٣٨
المطلب الأول: دعاؤه من دون الله وطلب الحوائج منه التي لا تطلب إلا من الله، وجعله واسطة في قضاء الحوائج. ١٣٩
المطلب الثاني: الاستغاثة به بعد موته ﷺ.............................١٤٠
المطلب الثالث: التبرك بقبره ﷺ، وفيه تمهيد وعدة مسائل. ١٤٢
التمهيد..١٤٢
المسألة الأولى: التبرك وأحكامه. ١٤٢
المطلب الرابع: الحلف به ﷺ...١٥٣
المطلب الخامس: الاحتفال بمولده وما يحدث فيه من أنواع الغلو ورفعه فوق منزلته التي أنزله الله فيها، وفيه مسألتان. ١٥٥
المسألة الأولى: حكم المولد النبوي. ١٥٥
المسألة الثانية: ما يحدث فيه من أنواع الغلو. ١٥٦

الفصل الرابع: نواقض الشهادتين، وفيه عدة مباحث. ١٥٨
المبحث الأول : ضوابط التكفير وموانعه وعلاقتها بعمل القلب، وفيه مطالب. ...١٥٨
المطلب الأول : معنى التكفير وخطره، وفيه مسائل.........................١٥٨
المسألة الأولى: معنى التكفير وبيان أنه حكم شرعي. ١٥٨
المسألة الثانية: الأدلة على التحذير من التساهل في التكفير. ١٥٩
المسألة الثالثة: من أقوال أهل العلم في التحذير من التكفير بغير علم. ...١٦١
المطلب الثاني: من ضوابط التكفير، وفيه مسائل. ١٦٣
المسألة الأولى: التفريق بين الإطلاق والتعيين في الكفر. ١٦٣
المسألة الثانية: الحكم يكون على الظاهر، وأدلة ذلك......................١٦٥
المطلب الثالث: قيام الحجة وفهمها، وفيه مسائل. ١٧٠
المسألة الأولى: معنى قيام الحجة والأدلة على ذلك. ١٧٠
المسألة الثانية: يختلف قيام الحجة بحسب الأزمنة والأمكنة والأشخاص. ..١٧٢
المسألة الثالثة: من أقوال العلماء في عدم تكفير الجاهل المعين قبل قيام الحجة عليه. ١٧٥
المسألة الرابعة: فهم الحجة، وأقوال العلماء في ذلك. ١٨٠
المطلب الرابع: شروط تكفير المعين وموانعه وفيه تمهيد ومسائل. ١٨٣
التمهيد..١٨٣
المسألة الأولى: شروط التكفير. ١٨٧
المسألة الثانية: موانع التكفير: ١٨٩
المطلب الخامس: علاقة ضوابط التكفير وشروطه وموانعه بعمل القلب.....١٩٨
المبحث الثاني: نواقض الشهادتين الاعتقادية، وفيه تمهيد وعدة مطالب. ٢٠١
التمهيد..٢٠١
نواقض الشهادتين وارتباطها بعمل القلب بإجمال. ٢٠١
المطلب الأول: الشرك في الربوبية، وفيه عدة مسائل. ٢٠٣
المسألة الأولى: معنى الشرك في الربوبية وصوره. ٢٠٣

المسألة الثانية: أكثر الشرك في الربوبية عند غلاة الفرق المنحرفة يقع في أمرين: ٢٠٤
المسألة الثالثة: كيف يقدر العبد ربه حق التقدير في توحيد الربوبية؟ ٢٠٦
المطلب الثاني: الشرك في الألوهية. ٢١٧
المطلب الثالث: كفر الجحود والتكذيب. ٢١٩
المطلب الرابع: استحلال ما علم تحريمه من الدين بالضرورة. ٢٢٠
المطلب الخامس: الشك في أحكام الله وأخباره. ٢٢٣
المطلب السادس: من اعتقد أن بعض الناس لا يجب عليه اتباع النبي ﷺ. ٢٢٤
المطلب السابع: شرك النيات والمقاصد. ٢٢٦
المطلب الثامن: شرك المحبة. ٢٢٩
المطلب التاسع: كفر الإباء والاستكبار. ٢٣١
المطلب العاشر: الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به. ٢٣٣
المطلب الحادي عشر: النفاق الاعتقادي، وفيه تمهيد وعدة مسائل....... ٢٣٦
التمهيد.. ٢٣٦
المسألة الأولى: تكذيب الرسول ﷺ أو تكذيب بعض ما جاء به. ٢٣٦
المسألة الثانية: بغض أو كراهية بعض ما جاء به الرسول ﷺ. ٢٣٩
المسألة الثالثة: المسرة بانخفاض دين الرسول ﷺ أو كراهية انتصار دين الرسول ﷺ ٢٤٠
المسألة الرابعة: أذية الرسول ﷺ أو عيبه أو لمزه. ٢٤١
المسألة الخامسة: مظاهرة الكافرين ومناصرتهم على المؤمنين. ٢٤٣
المسألة السادسة: السب والاستهزاء بالله ورسوله ﷺ وصحابته رضي الله عنهم والمؤمنين لأجل طاعتهم لله ولرسوله، وله عدة صور، منها. ٢٤٧
الصورة الأولى: السب والاستهزاء بالله ورسوله. ٢٤٧
الصورة الثانية: سب الصحابة رضي الله عنهم. ٢٤٩
حكم سب الصحابة:.. ٢٥٧

الصورة الثالثة: السب والاستهزاء بالمؤمنين لأجل طاعتهم لله ورسوله، وعلى رأسهم العلماء والصالحين. ٢٦٣
المبحث الثالث: ترك العمل بالكلية ناقض من نواقض الإيمان، وفيه ثلاثة مطالب. ٢٦٩
المطلب الأول: الأدلة على أن ترك العمل الظاهر بالكلية ناقض للإيمان، وفيه مسألتان. ٢٦٩
المسألة الأولى: مفهوم التلازم بين الظاهر والباطن. ٢٦٩
المسألة الثانية: الأدلة على التلازم بين الظاهر والباطن. ٢٧٠
المطلب الثاني: إجماع أهل السنة على أن العمل جزء لا يصح الإيمان إلا به. ٢٧٥
المطلب الثالث: أقوال أهل العلم في بيان منزلة أعمال الجوارح من الإيمان. ٢٧٩
الفصل الخامس: مقتضيات الشهادتين وآثارهما العامة على أمة الإسلام، وفيه تمهيد وعدة مباحث. ٢٨٢
تمهيد: ٢٨٢
المبحث الأول: اجتماع كلمة المسلمين وتوحد صفهم. ٢٨٢
المبحث الثاني: النصر والتمكين في الأرض. ٢٨٤
المبحث الثالث: انتشار الأمن في بلاد المسلمين. ٢٨٥
المبحث الرابع: سلامة الأمة من داء الوهن الذي هو من أعظم أسباب تسلط الأعداء على الأمة، ٢٨٥
المبحث الخامس: تميز الأمة المسلمة بسمو أخلاقها. ٢٨٧
المبحث السادس: شعور المسلمين بتميزهم بإسلامهم وعزتهم بربهم ودينهم. ٢٩٣
فهرس المحتويات ٢٩٥